الدكتور أحمد عبد الله السومحي

علي أحمد باكثير

حياته
شعره الوطني والإسلامي

الطبعة الاولى
١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م

كتاب
النادي الأدبي الثقافي
٨

دار البلاد للطباعة والنشر
جدة ـ ص . ب : ٧٦١٤
ت : ٦٧١٦٤٦٦ خمسة خطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

النادى الأدبى الثقافى
جدة - المملكة العربية السعودية
ص . ب: ٥٩١٩   ت : ٦٥٣٣٩٧٢

الإهـــداء

○ إلى الرجل الذى وقف إلى جانبى
ونصرنى فى أيـام الشـدّة

○ إلى الصّديق
عمر بن سالـم البَدوى بالحـمر
أهـدى هذا العمَل المتـواضع

أحمد كسوبحى

المقدمة

للدكتور / عبدالله محمد الغذامى*

● ما أشد ما تطربنى ذكرى ذلك الرجل الفذ على أحمد باكثير وما ذاك لأن روح الطموح العربى قد تجسدت فيه ، بعد أن حمل هموم العرب بين وانحه وطوف بها أو طوفت به الديار ، فهو حضرمى ولد فى اندونيسيا أى ربى ولد فى المهجر ، والعربى من حضرموت ليس كأى عربى آخر حيث انه عشق الصحراء ويتعشقها وفيها يكون ماجدا قوياً وسامقاً صلباً وإذا هو ى عن صحرائه تصيبه القرفصاء حتى يعود اليها فيهيم فيها هيام الأسماك أعماق المياه ، وهكذا يعود الطفل باكثير الى حضرموت برغبة من أبيه كى علم فيها كيف ينشأ عربياً حضرمياً فاذا ما تم له ذلك أو بعضه يعود الى دونيسيا ليفجع برؤية أبناء يعرب هناك فى حرب شعواء مع بعضهم ، يجعل من نفسه وهو الفتى اليافع داعية صلح ووفاق ، ولا يطيب له المقام اك فيعود الى أرضه ، ويطوف فيها وفى عدن ثم الديار المقدسة فى رحاب كة الطاهرة وفى الطائف فيأنس فيها بعض الوقت ولكن روحه تشاغله فى ذابها المرير فى ذكرى الخصام اليعربى الذى تراءى لعينى أديبنا وكأنه رمدى ففى رحلته الى الصومال والحبشة شاهد أرحام أمته تمزق بأيدى نائها فى جيبوتى ، ويشارك شاعرنا مرة أخرى فى محاولة الصلح بين الأشقاء تحاربين ويلقى قصيدة فى مؤتمر الوفاق يمتدح فيها الشيخ محمد بن سالم

* أستاذ مشارك فى الأدب والنقد فى قسم اللغة العربية بجامعة الملك عبدالعزيز ـ بجدة .

البيحانى على سعيه فى الصلح بين الفرقاء .

وهذا التجوال الذى هامت به نفسه الملتهبة بنار الحب والغيض والحرما
والأمل هو ما جعلها نفسا تواقة لليوم المجيد لها ولأمتها ، وما شاهده باكثي
من فقر يعصر نفوس أبناء جلدته وجهل يستخف أحلامهم ، وخصومة تمز
أوصالهم هو ما جعل صدره يتوقد غيرة على هذه الأمة ذات المجد العريق وه
ماجعله يسعى مثابراً ليستنهض همم شبابها وليوقظ عقولهم ، فكان أن جع
باكثير من الأدب بكل فنونه وسيلة لهذا الهدف النبيل .

وبعد أن يضيق بدنياه ذرعاً يعلن فى شعره تبرمه من هذا إذ يقول :

ضقت ذرعاً بذى البلاد ومن ضا ... ق بأرض فليعن بالارتحا
ان لى فى الكون الفسيح مجالا ... ان يكن ضاق فى البلاد مجا

وهذه أبيات لامية أشبه ماتكون بلامية العرب وهى لشاعر يمانى مث
باكثير تصعلك مثلها تصعلك وغضب على قومه مثلما غضب فما أشبه الليا
بالبارحة وما أشبه هذه الأبيات بتلك التى قالها الشنفرى ، مع فارق زمن
يبلغ ألفاً وأربع مائة سنة ولو بعث الشنفرى من قبره لقال لنا :

اقيموا بنى أمى صدور مطيكم ... فانى الى قوم سواكم لأمي

ولقال أيضاً مثلها قال باكثير :

وفى الأرض منأى للكريم عن الأذى ... وفيها لمن خاف القلى متع

ويقر القرار بشاعرنا فى مصر وكأنه وجد فيها وكره الذى يستطيع م
أن يطير وأن يحلق فى سماء يعرب ليرى همومهم فيبكيها لهم ، أو أنه و
فيها ضالته والحكمة ضالة المؤمن فصار شاعرنا الحضرمى كالشاعر اللبنا
إيليا أبو ماضى حيث حل مصر وقال فيها :

أحنى على الحر من أم على ولد ... فالحر فى مصر كالورقاء فى ا

وحلت ورقاء الجزيرة فى أرض الكنانة لتصوغ هديلها شعراً وبيانـاً ، يبدأ باكثير فصلاً مشرقاً من حياته بعد أن أرهص له بمحاولات شعرية فى صائد منظومة ومسرحيات هى أشبه ما تكون بمسرحيات شوقى الشعرية ، لكن باكثير يتطور فنياً فى مصر ويعاوده مس العروبة وأصالة التاريخ بتفجر شعراً حديثاً فيه ابتكار وتجديد ، وذلك ثأرا للسان أمته حيث يهب كثير وهو طالب فى الجامعة فيتصدى لترجمة مسرحية روميو وجولييت الى عربية فى شعر مرسل ، وما فعل ذلك إلا عن غضبة مضرية قدح زنادها علمه الانجليزى عندما اتهم اللغة العربية بعجزها عن إنتاج شعر مرسل ذلك الذى كتب فيه شكسبير مسرحيته تلك ، فما كان من الفتى الحضرمى لا أن يشمر عن ساعديه فيترجم هذه المسرحية بشعر مرسل جعله من رواد شعر المرسل فى الأدب العربى الحديث ، وأدخلـه الى باب الشعـر الحـر ، بعدها يكتب مسرحيته الشعرية الخاصة وهى (اخناتون ونفرتيتى) وفيها ضج التجربة الشعرية لديه ، من حيث النظم الموسيقى للشعر ، وتتكون ده نظرية الأوزان الحرة ، فينظم المسرحية على بحر واحـد هو المتـدارك يقرر طبيعة البحور العروضية التى تصلح للأوزان الحرة ، وهى البحور صافية ، وذلك عام ١٩٤٠ م أى قبل إدعاء نازك الملائكة السبق فى ذلك انية أعوام[١] .

وفى مسرحية اخناتون يستخدم باكثير البحر المتدارك وهو عمل وفق فيه كثير توفيقاً كثيراً ، حيث حول هذا البحر من وزن سريع وصاخب ، بل ن وزن غامض الدور ـ كما تقول سلمى الخضراء الجيوسى ـ حيث إن

) للاستزادة أنظر بحثنا المعنون (الشعر الحر والموقف النقدى حول آراء نازك الملائكة) مجلة كلية الآداب د الأول ١٤٠١ هـ جامعة الملك عبدالعزيز ـ جدة .

تشكيلات هذا البحر تبعث فى الجسد جذلاً صاخباً يجيد استغلاله الصوفيو
فى ترقيص أجسادهم ـ الى وزن هادىء يقترب من الحديث النثرى وهـ
مايحتاجه العمل المسرحى ، وجعل باكثير البحر المتدارك وزناً يسهل ورود
على الأذن ، ويطرد فيه الكلام أطراد النثر ـ كما يقول المازنى فى تقديـ
لمسرحية باكثير .

وكما استخدم باكثير البحر المتدارك فى مسرحيته استخدمه أيضاً ف
قصيدة حرة له نشرت فى مجلة (الرسالة) سنة ١٩٤٥ بعنوان (نموذج م
الشعر المرسل الحر) ولعل نازك الملائكة قد جارته حينما كتبت قصيدتها الح
(الكوليرا) سنة ١٩٤٧ حيث إنها على نفس الوزن ووصفتها الشاعرة بأن
شعر حر (؟) .

ولعلنا نعطى باكثير بعض حقه علينا إذا نحن نسبنا اليه الفضل
اشاعة استخدام هذا البحر فى العصر الحديث ، حتى صار هذا البحـر
الوزن السائد فى الشعر المسرحى وأكثر من استخدامه صلاح عبد الصبو
وعبد الوهاب البياتى فى مسرحياتهما الشعرية ، مثلما صار من أكثر الأوزا
شيوعاً فى الشعر الحر .. لدى شعراء كبار ، مثل نزار قبانى ومحمود درويش
وأمل دنقل وغيرهم .

وان لباكثير دوراً مهماً فى تطور حركة الشعر الحر حيث كان لتجار
الشعرية فى مسرحياته وفى قصائده فضل كبير على هذه الحركة ، إذ ساعد
تثبيت الحركة واشاعتها ، ثم انه هو الذى توصل فى مصر الى استخدام ب
واحد فى القصيدة بدلاً من تعدد البحور كما كان يفعل أبو شادى وخليـ
شيبوب .

وباكثير هو أول من أخذ بنظام الجملة الشعرية فى المسرحيات الأصل

(غير المترجمة) ، ونعنى بذلك قيام الشعر على وحدات موسيقية تتجاوز البيت الواحد الى أبيات عدة متماسكة فى مبناها ومعناها ، وقد سماها باكثير فى مقدمة مسرحيته اخناتون (الجملة التامة) ، ويشيع اليوم تسميتها بالجملة الشعرية .

وفضائل باكثير علينا وعلى أدبنا كثيرة ، ليس الى حصرها فى هذه العجالة من سبيل ، فهذا رجل رائد ما كذب نفسه ولا أهله ، طاف فى أرض الله ما طاف وقرأ من أسفار التاريخ والأدب ماقرأ ، فاستمد منها العزم والقوة والارادة وكان خير ممثل لأهله فى دار لم تكن له بدار ، ولكنه جعلها داراً وفيئاً ، وذلك بطموحه ومثابرته ، وما كل قط وما وهنت نفسه أبداً ، فظل يرود كل الآفاق ويطرق كل الأبواب فى سبيل إنتاج أدب عربى أصيل وحديث ، فكان شاعراً ، وكان كاتباً وصار شاعراً حراً ، يكتب الشعر المرسل والحر ، ويكتب المسرحيات الشعرية بجرأة أدبية لا يؤتاها إلا ذو عزم وإرادة صارمة مثل على أحمد باكثير ، فمهد بذلك الطريق لأدباء العربية الشباب ليسبروا أغوار هذه اللغة العظيمة ، فيستخرجوا من كنوزها البيان المتفتح نوراً .. يبهر الأبصار بسحره .

ولئن قصرت باع شاعرنا عن بلوغ منزلة المبدعين الأوائل ، فانه بكل تأكيد قد أفلح فى رسم طريقها للسالكين من بعده ، بل انه قد شق الطريق لشاعر كبير كبدر شاكر السياب ، ولولا باكثير لما وجد السياب طريقاً معبدة كتلك التى أخذته الى قمة الشعر الحديث فى عصرنا .

وبذلك يسجل اسم على أحمد باكثير فى الأدب الحديث على أنه من أبرز رواد العصر فى تنوع إنتاجه وتعدد محاولاته وجرأة تجاربه ، وعلى أنه أديب شجاع الروح طموح النفس صادق النية ، مخلص لأمته ولغته ، وكفاه ذلك فخراً ، وكفانا ذلك سبباً لجعله نموذجاً حياً لطموح أبناء العربية وصدق

غيرتهم ، وليرحم الله على أحمد باكثير فقد كان رجلاً مؤمناً صادقاً مخلصاً ـ أثابه الله على جهده واجتهاده خير الثواب .

وكما أخلص باكثير فى رسالته يخلص الأخ العزيز الدكتور احمد السومحى لذكرى ابن عشيرته فيتصدى لدراسة حياته ويقدمها لنا فى هذا الكتاب الذى بذل فيه قصارى جهده فتتبع فيه أخبار باكثير ومراحل حياته ، ودرس شعره ، فخفف عن نفوسنا بعض ما تجد بأن وفى باكثير بعض حقه علينا ـ وما أكبر حقه علينا أبناء العرب عامة .

وكم كانت دواعى الاغتباط عندى قوية عندما علمت بعزم الدكتور السومحى على نشر هذا الكتاب ، وذاك لجزمى أنه أقدر الدارسين على دراسة باكثير لكونه حضرمياً مثله ، ولكونه أيضاً حضرمياً قطن مصر ودرس فيها مثل باكثير ، وهاتان الميزتان مكنتاه من مقابلة أناس صاحبوا باكثير وعايشوه مثلما مكنتاه .. من معرفة حقيقة ما عايشه باكثير من أحداث أثرت على مجرى حياته المادية والعلمية .

ان الدكتور السومحى بهذا يضع بين أيدينا وثيقة أدبية مهمة فيها الكثير من آلام أمتنا والكثير من أفراحها ونحن مطالبون بأن نتفاعل معها تفاعلاً حضارياً بناء ، حتى لا يتحول باكثير الى مجرد ذكرى أدبية أو سيرة ذاتية ، بل لابد من أن نصيره مدرسة فكرية نبنى عليها صرحاً جديداً كى نشعر التاريخ أننا قد فهمنا باكثير وادركنا مضمون رسالته ، وهى أن نتجدد مع كل يوم جديد كى لا تنفصم عرى الوحدة الأزلية بأن تتجدد الأيام وحدها ويبقى الإنسان محنطاً .

ومن كل قلبى أشكر أخى وزميلى فى العمل على جهده الطيب ، وأرجو أن يتحفنا دوماً بأعمال أدبية معطاءة كهذا العمل المبارك .

جدة ١٤٠٢/١٢/١ هـ　　　　د. عبدالله محمد الغذامي

مدخل

الحياة الأدبية في حضرموت في أوائل القرن العشرين

الحياة الأدبية في حضرموت في أوائل القرن العشرين

ان التعرف على الحياة السياسة والاجتماعية والدينية لهذه المنطقة من العالم العربى فى أوائل القرن العشرين يعطى ضوءاً على الحياة الأدبية فيها ، ويكشف مام الدارس السبل لفهم هذه الحياة .

لقد عاشت هذه المنطقة قروناً طويلة فى عزلة تامة كغيرها من بلدان الجزيرة العربية وكانت الحياة السياسية فيها غير مستقرة مضطربة أشد الاضطراب ، والحياة الاجتماعية تسيطر عليها الأوهام والخرافات والطبقية ويعيش المجتمع فى فقر مدقع وجهل مميت ، تسيطر عليها القبلية والمحسوبية . أما الحياة الدينية فقد كان فيها تشدد أهل السنة ومحافظتهم كما كان فيها شيء من الصوفية .

ومن هنا فقد تعاونت هذه الظروف مجتمعة على قتل الحياة الأدبية وانعدامها تقريباً وبالتالى محاصرتها فى داخل حضرموت وطبعها بطابع خاص فيه روح المجتمع القبلى وفيه روح الحياة الدينية والسياسية ، ولهذا فقد كان الأدب فى هذه الفترة ممثلاً لحياة هذا المجتمع أصدق تمثيل ولعل مما ساعده على ذلك أن الحياة الثقافية فيها كانت خابية ، إذ ليس فيها عمق ولا توسع أو تنوع ، أضف الى ذلك أنها كانت محصورة فى عائلات معينة .

ونتيجة لهذه العزلة التى عاشت فيها حضرموت ، ونتيجة لهذه الظروف فقد رك الأدب وكادت أن تتوارى فيها ملامحه .

١ ـ الشعر :

أما وقد عرفنا أن حضرموت انعزلت عن العالم العربى كغيرها من أقطار

الجزيرة العربية خلال القرون الماضية ، وعاشت منطوية على نفسها ، بظروفها الاجتماعية والسياسية والدينية والثقافية حيث لم يكن لها اتصال ثقافى ولا أدبى بالعالم العربى ، وخاصة عواصم الثقافة فى ذلك العصر كمصر والعراق والشام لهذا فقد ضعفت الحياة الأدبية فيها بشكل عام والشعر بوجه خاص .

والحقيقة أنه كان يوجد هناك نوعان من الشعر فى حضرموت أحدهما الشعر (الشعبى) والآخر شعر القريض سليم اللغة فصيح العبارة يخضع لقواعد اللغة العربية من نحو وصرف وهو الشعر العربى المتعارف عليه منذ العصر الجاهلى الى يومنا هذا .

والنوع الأول ربما كان الشائع فهو ممثل للحياة فى حضرموت من جميع نواحيها وهو ليس مقصوراً على البوادى بل أن مركزه الرئيسى تكاد تكون الحواضر . وهذا الشعر وان فسدت لغته بعض الشىء إلا أنه تعبير عن الحياة الاجتماعية ، ولهذا نجده منتشراً بين طبقات الشعب المختلفة فهى تتغنى به وتحفظه ، وتردده ، بل وتحرص عليه كل الحرص ، وهذا الشعر تجد فيه روح الحياة البدوية من فخر وهجاء ومدح ورثاء وتجد فيه روح الحياة الحضرية من غزل ووصف وتجد الشعراء فى بعض الأحيان يرتجلونه ارتجالاً فى المواسم والأفراح . وفى أحيان أخرى يحبرون فيه المطولات ، والقصيدة تبدأ بالدعاء والابتهال الى الله وتختتم بالصلاة والسلام على رسول الله (ﷺ) مهما كان غرضها . ومن مثل ذلك هذه القصيدة لأبى بكر بن شهاب يرثى أحد سلاطين حضرموت :

سبحانك الله ياقيوم ياكافى ... يالمنفرد بالبقا يادايم السلطان
حكمت بالموت مافى وعدك اخلافي ... وكل من هو عليها غير وجهك فان
ساويت بين الخلايق ناعل وحافى ... ما باقى إلا أنت وحدك ياعظيم الشأن
نطلبك ياذا الكرم ياعالم الخافى ... تصفح عن الذنوب ياتواب يامنان

ويمضى فى هذا المنحى الى أن يصل الى الرثاء فيقول :

بوتـه أهتـزت البلـد والأطرافى ... وبـات سارى ينعيـه مركب الدخان
والخلـق ضجـت ولجـت بالتلغرافى ... الى الملوك الذى فى روسها التيجان
سرح عوض بن عمـر قفـاز الأنوافى ... بيت الحروبـة وملجـى حجرهـا الرشان
ضجـت عليـه الملا وسجـل الأضافى ... قريبهـا والبعيـد النـازح الأوطان
والسـادة أهـل المعـارف والتعفافى ... عالم ومنصـب وشيـب القـوم والشبان
والعلـم وأهلـه شوافهـم والأضافى ... وأهـل المنابـر خيمـت الأحزان
حزن يافـع على هزاع الاشتافي ... إذا قدم قبلهـم ناطـح جبـل شمان

ويختتم القصيدة بقوله :

والختـم صلـوا على المختـار أضعافى ... محمـد المصطفى مبعـوث من عدنان

وقد ذاع هذا اللون من الشعر ذيوعاً كبيراً حتى بـين طبقـات المتعلمـين ورجالات الدين كما انتشر مع الحضارم فى مهاجرهم ، وذلك لسهولته وتعبـيره الصادق عن النفوس وبالتالى فقد نافس الشعر الفصيح وحاصره فى داخل المدن الكبيرة بل وفى طبقة ضئيلة من الناس . وفى فئة محددة من المثقفين .

أما النوع الثانى : وهو الشعر العربى الفصيح فقد كان مقصوراً على طبقة ضئيلة جداً فلم يحتف به أحد ولم يلتفت إليه غير مجموعة المثقفين فى ذلك الوقت أما فى المجالس والمنتديات فقد كان الفارس الوحيـد هو الشعـر الشعبـى كما أسلفناه .

وقد قيد هذا النوع بقيود اجتماعية ودينية جعلته يغرق فى التقاليد والبهرجة اللفظية وهو صورة للشعر المملوكى فى مصر . فقد بلغ من الركاكة والاسفاف فى المعانى حداً لا يوصف إلا أن لغته ظلت سليمة جزلة وكان أسلوبه قوياً فخم العبارات . وقد ظل مفهوم الشعر عند الشعراء (بأنه الكلام الموزون المقفى)

فهم لا يحتفلون بالمعانى ولا بالصور الشعرية وقد بلغ من هبوط الشعر وابتذال
الى أن نظمت به المنظومات فى جميع الفنون حتى فى الخط العربى ولهذا فانه ل
يجد سوقاً ينفق فيها حتى أنه حوصر داخل حضرموت كما قلت ولم يخرج منها
وإنا لنجد شعراء حضرموت على كثرتهم لم ينشر لهم شعر قط فى أوائل هذ
القرن[١].

وبالاضافة الى ذلك فان الشعر فى هذه المدة كانت تطغى عليه الناحي
الصوفية ، فى أساليبه وأغراضه ومعانيه ومن مثل ذلك :

حيصل الحب للدعا والصلاة ... فهلموا الى اللقا والصلات
وأقيموا قلوبكم واستقيموا ... واستديموا تنزل البركات
ان لله ربنا كل حين ... نفحات تعرض النفحات
ان لله رحمة وضعيف الخلـ ... ـق فيهم أحق بالرحمات
يا أساة القلوب إن فؤادى ... صار مما أمضه كالرفات
فأسألوا الله جبر كسرى فنفسى ... ذهبت حسرات فى حسرات
هل سبيل الى وصولى لما فيـ ... ـه دوائى وفيه أصل نجاتي[٢]

وهذه الصبغة الدينية فى هذا الشعر نتيجة للبيئة الدينية المتشددة والمحافظة
وهذا أشد ماتجده فى شعر الشعراء العلويين[٣].

والخلاصة : ان هناك ظروفاً وأسباباً أدت الى ضعف الشعر وركاكته وأغراقه
فى البديع والصناعة اللفظية وإسفافه ومن ثم وضعه فى قمقم داخل موطنه ومن
هذه الأسباب هى :

---

(١) راجع مقال السنوسى بعنوان الشعر العربى فى حضر موت . الرسالة العدد ٨٨٧ السنة الثامنة عشرة .
(٢) تاريخ الشعراء الحضرميين ٥ / ٩١
(٣) العلويون : قوم ينتسبون الى الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه ويطلقون عليهم فى حضرموت اسم (السادة) .

١ ـ العزلة التى كانت تعانيها حضرموت عن العالم العربى منذ القرون الماضية حتى العقد الرابع من هذا القرن .

٢ ـ طغيان الشعر الشعبى وديوعه فى المجتمع لأنه يخاطب الوجدان ويعبر عن حياته .

٣ ـ قوة العاطفة الدينية وسيطرتها على الحياة الثقافية فى هذه المدة .

٤ ـ ان أغلبية الشعراء فى هذا العصر علماء ، وقلما تجد شاعراً غير عالم ولهذا فقد غلبت الناحية العلمية على شعراء هذه المدة .

هذا مجمل الحديث عن حالة الشعر فى هذه المدة وعن الظروف التى كبلته أما النثر فلا أعتقد أن هناك نثراً بالمفهوم الفنى الذى نعرفه . ومع ذلك فلا بأس من اعطاء صورة مصغرة للنثر فى هذه الحقبة الزمنية .

٢ ـ النثر :

أما النثر الفنى فانه يكاد أن يكون معدوماً وأغلب الكتابات فى هذه الحقبة هى كتابات مسجوعة ممجوجة تغلب عليها الصنعة اللفظية والتكلف حتى أن أحد العلماء ألف كتاباً فى مدح الرسول (ﷺ) من الحروف المهملة . فأنت لاتجد فيها لذة فنية ولا تجد فيها إتساقاً أو تناسقاً . وكلها عبارة عن نقول من كتب السابقين أو تعليق عليها ، أضف الى ذلك أن الناحية النظمية قد غلبت فى هذا العصر فان كثيراً من الكتب الدراسية تحولت من كتبها النثرية الى منظومات لكى يسهل استيعابها على جمهور الدارسين .

٣ ـ كيف نهض الأدب الحضرمى ؟

ولكن كيف بدأت النهضة الأدبية فى حضرموت ، وكيف تطورت الى أن برز كثير من الشعراء فيها ؟ وبوادر النهضة الأدبية فى حضرموت أخذت تظهر على يد

السيد أبو بكر بن عبد الرحمن بن شهاب الدين العلوى فى أوائل هذا القرن . حيث حاول تخليص الأدب من الصناعة البديعية ومن الألاعيب اللفظية وحاول أن يخرج به عن مفاهيمه الصوفية وأغراضه التقليدية فعمد الى ترقيق أساليبه ومعانيه ، وأنداه من جفافه ، وجدد فى مضمونه .

ومن هذا الخروج على المألوف قوله يتغزل :

بشراك هذا منار الحى ترمقه — وهذه دور من تهوى وتعشقه
وهذه الروضة الغناء مهدته — مع النسيم شذا الأحباب تنشقه
وتلك أعلامهم للعين بادية — تزهو بها بهجة النادى ورونقه
فحى سكان هذه الحى ان شهدت — عيناك سرب الغوانى حين يطرقه
واخلع به النعل والثم تربة عبقت — بالمسك لما مشى فيها مقرطقه

* * *

هذا نموذج للارتفاع بالصورة الشعرية وللتجديد فى المضمون . وإلباس الألفاظ بالمعانى الجيدة عند الشاعر (ابن شهاب) غير أنه لم يستطع أن يتخلص كلية من الصناعة اللفظية ولا من البهرجة والتزويق . ومن مثل هذه الصنعة انشاؤه قصيدة فى مدح الرسول (ﷺ) من الحروف المهملة ومنها :

ساد رسل الله طه أحمد — مصدر الكل له والمورد
هو روح الله والأمر ومعلولة — المعالم وهو المدد
كامل لما سرى ألهمه — علم ما اللوح حواه الصمد
للورى هاد وللأملاك والملأ — الأعلى الأمام الأوحد
وله الكرار رداء حامل — علم الإسلام وهو الأمرد

* * *

وقد كانت محاولة (ابن شهاب) هذه بمثابة اشارات ودلالات ـ للأدب الذى ينبغى أن يكون إلا أنها لم تؤثر تأثيراً كبيراً فقد جاء بعده أدباء كثيرون من مثل محمد بن محمد باكثير ولكنهم لم يتبعوا طريقته فى الغوص وراء المعانى ، وتجلية الصور الفنية الجميلة ، ذلك لأنهم عدوا طريقته خروجاً على المألوف ، وأن أدبه فى مضمونه أدب غير أخلاقى ، فهو لاينتمى الى مدرستهم التقليدية المحافظة .

غير أن هذه المحاولات لم تذهب سدى فقد أشتد اتصال الحضارم الثقافى فى العشرينات بالعالم العربى وخاصة مصر والعراق . وأرسلت بعثات دراسية الى مصر من (اندونيسيا) كما أخذ الحضارم يستيقظون ويعرفون فوائد التعليم ، فكونوا المنتديات الأدبية فى أندونيسيا وفى حضرموت وانشأوا الصحف ، وتوسعوا فى مجالات التعليم ، ودراسة اللغة العربية (فى أندونيسيا وسنغافورة) وكل هذا قد عاد بالنفع الوفير على الأدب الحضرمى .

وقد كان للصراع الذى دار فى أندونيسيا بين العلويين والأرشاديين أثر كبير فى تحريك الحركة الفكرية ، وتنشيط الحياة الثقافية وخلق منافسة بين هاتين الفئتين . كل هذه الأمور عملت على انعاش الحركة الأدبية ، وساعدت على النهوض بالأدب حيث أثرت تأثيراً كبيراً فى النشء وفى الجيل الجديد .

ومن هنا فقد برزت مجموعة من الشباب الحضرمى فى أوائل الثلاثينات من هذا القرن تأثرت بكل هذه العوامل مع أعجابها بطريقة (ابن شهاب) التى كانت شهرته قد ذاعت بين الحضارم فى حضرموت والمهاجر وكانت قصائده تغنى فى المسامر .

وقد كان لبروز مجموعة الشعراء الشبان من مثل عبد الله بلخير وعلى أحمد باكثير وصالح الحامد وغيرهم فضل كبير بالنهوض بالشعر الحضرمى حيث

تأثروا بالتيار المصرى الجديد وبعصر النهضة الأدبية الحديثة . وكانوا ذوى ثقافات واسعة واطلاع على الآداب العربية والأوروبية . وقد أنشأوا أدباً حديثاً وأفرزوا شعراً جديداً فى مبناه وفى معناه . وبالتالى فقد خرجوا بالشعر الحضرمى من قمقمه ، وجددوا فى أغراضه ، ومعانيه وفى أسلوبه ، وألفاظه وعرفوا العالم العربى ، بأن فى حضرموت شعراء لا يقلون عن إخوانهم فى البلاد العربية . وقد كانت تغلب على شعر هؤلاء الشباب النزعة الوطنية الثائرة :

استمع الى عبدالله بلخير يحيى شباب العراق :

شبه الجزيرة موطنى وبلادى ... من حضرموت الى حمى (بغداد) !!
أشدو بذكراها وأهتف باسمها ... فى كل جمع حافل - أو نادى
منها خلقت وفى سبيل حياتها ... أسعى وفى اسعادها إسعادى !!
كل له فى من أحب صبابة ... وصبابتى فى (أمتى) و (بلادى)

ثم يقول :

يا (وحدة العرب) التى نسعى اليها ... حتى نشيدها على الأعماد
هذى بوارق نهضة محمودة ... علقت مبادئها بكل فؤاد
ومشت (مواكبها) وأقبل (جمعها) ... و (الله) قائدها و (أحمد) حادى
سارت تطالب فى الحياة بحقها ... بالسيف سلته من الأغماد
من بعد مافشل اليراع ولم تجد ... احداً يخلصها من الأوغاد
وكذا (دساتير) الحياة تنص أن ... لاحق إلا للقوى العادى[1]

* * *

ومن مثل ذلك قول على أحمد باكثير يرثى (صلاح الدين الصباغ) :

فيم احتشادكم هذا لتأبينى ... أنتم أحق بتأبين الورى دونى

---

(١) تاريخ حضرموت السياسى ، ص ١٨١ ، ١٨٢ ومجلة الفتح العدد (٤٤٠) السنة التاسعة .

فما الشهادة إلا ميتة كرمت عن ميتة الداء أو عن ميتة الهون
إنى نزلت بدار الخلد فى رغد بين الخمائل فيها والرياحين
فى جنة ما بها خوف ولا حزن لولا رثاء لحال العرب يشجينى
قامت عليهم وحوش البغى قاطبة من ثعلبان ومن دب وتنين
فما انتظاركم والحق حقكم يعدى عليه ليعطى للملاعين
لاتطلبوه احتكاماً فى مجامعهم بل استردوه قسراً فى الميادين[1]

* * *

وقد اتسم شعر هؤلاء الشباب بالرقة والسهولة مع الاحتفاء بالصور الشعرية التى هى عمود مقومات الفن الشعرى . يقول صالح الحامد فى قصيدته (نسمات الربيع) :

أفعمت صدرى من شذاك الوديع فعاودى يا نسمات الربيع
فى بردى العذب وهذا الشذى داعى التئام للفؤاد الصديع
فاشفى فؤاداً بالجوى ذائباً كلف حباً فوق مايستطيع
للشعر روح فيه مكلومة أنت لها نعم الضماد النجيع
وأبردى طرفاً ذوى فى الهوى بين كرى عاص ودمع مطيع
هبى فهذا الكون فى منظر ضاح ، وهذا الروض حال مريع[2]

وهكذا يتبين لنا أن نهضة الشعر الحضرمى وتطوره وخروجه الى العالم الفسيح تعود الى نبعين رئيسيين :

أولهما : الشاعر بن شهاب العلوى الذى كان يحاكى فى شعره فحول الشعراء الكبار فى عصور الأدب الزاهية ، وكان دوره فى هذه النهضة الشعرية كدور

---

(١) شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٣٥

(٢) المصدر السابق ص ٢٦٣ .

البارودى فى مصر . حيث كان الشعراء الحضارم يعجبون به ويترسمون خطاه . ثانيهما : الصحافة الحضرمية فى المهجر ، وكانت هذه الصحافة ثمرة من ثمرات النهضة الأدبية الشاملة فى كل من مصر والشام ولعلنا نشير هنا الى أن التيار الثقافى للنهضة الشاملة لم يأت الى حضرموت مباشرة وانما جاء تأثيره عن طريق المهاجر الحضرمية .

ودور الصحافة ـ مع وجودها فى المهاجر الحضرمية ـ هو : أنها أفسحت المجال أمام كثير من الأقلام الشابة وأظهرتها ، وشجعت ذوى الميول الأدبية ، وأصحاب المواهب ونقلت الى القارىء القابع فى مدن حضرموت كثيراً من الأفكار والآراء والثقافة الجيدة وأعطته ألواناً من الإنتاج الجيد المتنوع . ولهذا فقد كانت نافذته على العالم الخارجى .

ومن هنا فقد شجعت الصحافة المهجرية بعض الشباب فى حضرموت الى أن يحذو حذو المهاجرين حيث كانت هناك محاولات لإصدار بعض الصحف ولعدم وجود مطابع كان هؤلاء الشباب يكتبون صحفهم بخط اليد ويوزعونها ولعل فى جريدة (التهذيب) دليلاً على ذلك .

وبعد :

فهذه لمحة سريعة عن الأدب فى حضرموت فى أوائل هذا القرن . ذلك أن القصد التعريف بالحياة الأدبية فى هذا القطر فى تلك الحقبة الزمنية . والأدب فى حضرموت يحتاج الى دراسة متكاملة ومستفيضة تبحث عن الأسباب والعلل وتفتش عن قضاياه . وربما كانت لنا عودة الى هذه الدراسة .

* * *

الباب الأول

حياة الشاعر

الفصل الأول : نسبه وأسرته

الفصل الثاني : حياته في حضرموت

الفصل الثالث : الشاعر تائهًا

الفصل الرابع : حياة الشاعر في مصر

الفصل الخامس : ثقافته ومؤلفاته

الفصل الأول :

نسبه وأسرته

هو الكاتب الاسلامى والمسرحى المعروف الأديب الشاعر على بن أحمد بن محمد باكثير الكندى . وآل باكثير ينتمون الى قبيلة كندة اليمنية المعروفة . فهم أصلاء الأرومة لهم جذم فى الحسب والنسب والأدب ، وليس بخاف علينا امرؤ لقيس الكندى الذى ينتمى الى هذه القبيلة .

وكان الشاعر يعتز بهذا النسب ويفخر به ويردده كثيرا فى أشعاره .

وعائلة باكثير عائلة عريقة فى النسب وهى أيضاً عريقة فى العلم والأدب ولقد قدمت خلال القرون الماضية كثيراً من العلماء الأفاضل والأدباء المرموقين تعتز بهم حضرموت وتفخر كما قدمت نخبة ممتازة من الشعراء نذكر منهم على سبيل لمثال :

١ ـ الشيخ عبد الصمد بن عبد الله باكثير الكندى .

٢ ـ الشيخ عبد القادر بن أحمد باكثير الكندى .

٣ ـ الشيخ عبد الرحمن بن باكثير الكندى .

٤ ـ الشيخ على عبد الرحيم باكثير الكندى .

٥ ـ الشيخ صالح بن عبد الصمد باكثير الكندى .

٦ ـ الشيخ محمد بن عمر باكثير الكندى . [١]

---

(١) راجع تاريخ الشعراء الحضرميين للسقاف .

هذه مجموعة من الشعراء عاشوا في القرن الثامن عشر والتاسع عشر من عائلة باكثير أما الشعراء المعاصرون فهم :

١ ـ محمد بن محمد باكثير : عم الشاعر وكان قاضيا وعالما وأديبا توفي سنة ١٣٥٥هـ [١] .

٢ ـ عمر بن محمد باكثير : ابن عم الشاعر وقد كان شاعرا وله مراسلات بالشعر معه وقد ألف كتابا عن الشاعر لازال مخطوطا في مكتبته (بسيوون) بعنوان (مع علي أحمد باكثير) [٢] .

٣ ـ عبد القادر بن احمد باكثير : شقيق الشاعر توفي في (اندونيسيا) عام ١٣٤٥هـ .

٤ ـ حسن بن أحمد باكثير : شقيق الشاعر توفي عام ١٩٧٠م وقد نشر كثيرا من أشعاره في مجلة الرسالة (للزيات) .

هذه الشجرة الكريمة التي تفرع عنها الشاعر ذات الأمجاد العريقة والتي كان الشاعر يفخر بها ويعتز ويردد أمجادها القديمة والحديثة بدون شك قد اثرت في شخصيته الأدبية وفي تكوينه الأدبي . وقد كان لهذا الاعتزاز بهذا النسب وقع جميل في نفسية الشاعر فهو لايفتأ يذكره في شعره كلما سنحت الفرصة .

ففي قصيدة بعث بها من (جاوه) الى حضرموت وعنوانها (الى سيوون) يقول فيها :

من آل أبي كثير من سلالا ت أقيال لهم مجد قدام
فهم في جاهليتهم ملوك وفي الاسلام أعلام عظام

(١) راجع مصادر تاريخ اليمن للحبشي طبعة دمشق .

(٢) تاريخ الشعراء الحضرميين ، ص ١٠٤ ، الجزء الخامس للسقاف .

وحسبك بابن خلدون حكيما له فى الشرق والغرب احترام
وعن يعقوب الكندى فاسأل تخبرك التواريخ الضخام
وكم نبغت من آل أبى كثير رجال فى العلوم لهم مقام
سلاسل من نضار محكمات وليس لها مدى الدهر انفصام
فإخوانى وعمى وابن عمى كرام لاتضارعهم كرام
أبى رجل المكارم والمعالى وعمى العالم الحبر الهمام

تسمية باكثير :

لعله من الخير ومن تمام الفائدة أن نعرج على لقب باكثير فان الكثيرين يجهلون ذلك وقد سألت مرارا عن هذه التسمية وبالذات عن (با) في صدر الاسم وهى كما أعرف وكما يذكر الشاعر وبعض علماء الحضارمة أنها مأخوذة من اللقب (أبو فلان) وقد حرفها العامة الى (با) تخفيفا والدليل على أنها لقب فأنك تجد أغلب الحضارم يلقبون بهذا اللقب من مثل (بارقبه) (باركبه) (باراس) (باساق) ... الخ .

كما أن الامر لايستبعد أن تكون اختصارا من كلمة (بيت) بمعنى (آل) وهى كلمة فى اللهجة الجنوبية لازالت تستعمل الى اليوم فى نواحى الشحر من مثل : « بيت قرزات » « بيت حموده » ... الخ .

أسرة الشاعر :

وأسرة الشاعر كانت أسرة كبيرة مكونة من عشرة اشخاص ذلك أن والده كان متزوجا من امرأتين إحداهما فى أندونيسيا والأخرى فى حضرموت وكان منجبا منهما .

الأب :

هو الشيخ أحمد بن محمد باكثير وقد كان يعمل بالتجارة كثير الأسفـ والتنقل . وهو لم ينل حظا وافرا من التعليم .واذا عرفنا أنه متزوج من أمرأتيـ أحداهما فى أندونيسيا والأخرى فى حضرموت فانا نجده موزعا بين هاتيـ الاسرتين الكبيرتين فى (حضرموت) و (اندونيسيا) وقد كان كريما جوادا بالرغم مـ إعالته لهاتين الاسرتين ونحن لا نعرف شيئا عن مولده ، ولكنا نعرف أنه توفى بـ حضرموت ليلة الثلاثاء فى الساعة السابعة مساء من شهر رجب سنة ١٣٤٣هـ وقد رثاه الشاعر بقصيدة طويلة وكتب فى صدرها هذه العبارة على شكل هرمـ معكوس بخط جميل وقال (فى يوم الاثنين ١٦ رجب سنة ١٣٤٣ هـ يرثى والد العزيز أبا المحتاجين واليتامى وكهف الأرامل والأيامى الفاضل الكريم والماجـ العظيم الذى اتفق الناس على فضله ، والمشهور بكرمه وجوده وبذله .

ذا الجود الغزير والفضل الكثير : الشيخ أحمد بن محمد باكثير . رحمه الله رحـ الابرار وأسكنه جنات تجرى من تحتها الأنهار وتوفى ليلة الثلاثاء فى الساعـ السابعة ليلا فى رجب سنة ١٣٤٣هـ ودفن بعد عصر يوم الثلاثاء المذكور وانشـ القصيدة يوم التعزية [١] .

ومطلـــع القصــــيدة :

عبثـــا تحـــاول أن تكف الادمعا وأبـــوك أمس راحـــلا مستودعـ
كيف الســـلوومـــا مررت بموضع الاوســـاد الحـــزن ذاك الموضـ

الأم :

أما الأم فلا نعرف شيئا عنها حتى اسمها ولم يذكرها الشاعر فيما اطلعت عليـ

---

(١) ديوان الشاعر (ازهار الربى فى اشعار الصبا) (مخطوط)

من آثاره المخطوطه . وهى من عائلة (باباسط) أو (بابسيط) [1] ويبدو لى أن عائلتها من العائلات الحضرمية التى استقرت فى (أندونيسيا) ولم تر حضرموت . ولهذا فلم أعثر على أثر يدلنا على أنها زارت موطنها الأصلى ولو زيارة واحدة . وقد توفيت أخيرا بعد ان استقر الشاعر فى مصر ولم أعثر على تاريخ وفاتها .

خـوتـه :

عرفنا عند حديثنا عن والد الشاعر انه كان متزوجا من امرأتين وقد أنجب منهما وهذا يقتضى بدون شك أن يكون له أخوة اشقاء وأخوة غير أشقاء .

خـوة أشقاء :

١ ـ أبو بكر أحمد باكثير .
٢ ـ حسن أحمد باكثير .
٣ ـ عبد القادر أحمد باكثير .
٤ ـ بنتـان .

خـوة غيـر أشقاء :

١ ـ عمر أحمد باكثير .
٢ ـ عبد الرحمن أحمد باكثير .
٣ ـ محمد أحمد باكثير .
٤ ـ بنتان .

هذه مجمل الحديث عن نسب الشاعر وأسرته . وهو حديث مقتضب ليس فيه

---

(١) أهدى الشاعر مسرحيته (اخناتون ونفرتيتى) الى خاله الشيخ محمد بن عبد الرحمن ابو بسيط والذى اعرفه هناك عائلة فى حضرموت تسمى آل (باباسط) .

بسط ولاتدقيق حصلت على بعضه من المراجع . وعلى بعضه الأخر من أسر
الشاعر فى القاهرة واستنتجت جزءا منه من أشعاره وأرجو أن أكون قد وفقت
ذلك .

* * *

الفصل الثانى :

حياته فى حضرموت

المولد والنشأة :

بمدينة (سورابايا) فى جزر الهند الشرقية (أندونيسيا) ولد الشاعر الأديب على أحمد باكثير من أبوين حضرميين عربيين وكان مولده عام ١٩١٠م (١) وقضى بها طفولته الأولى ولم نعرف شيئا عن حياته فى هذه الطفولة . ولما بلغ من العمر ثمانية أعوام أرسله والده الى حضرموت موطن آبائه وأجداده . وكانت تلك عادة الحضارم المقيمين فى المهاجر حيث يقومون بارسال أبنائهم الى وطنهم الأصلى لينشأوا نشأة عربية خالصة فى أرض الآباء والأجداد ولتخلص السنتهم من شوائب العجمة .

وفى مدينة (سيوون) الحضرمية بدأت هذه النشأة وأخذت حياة الفتى على أحمد باكثير تبدأ خطوها على أرض الآباء والأجداد وعلى طريق الثقافة العربية الخالصة . فقد بدأ بها دراسته الأولية فى الكتاب ثم فى المعهد الدينى فى سيوون الذى تحول فيما بعد الى مدرسة النهضة وقد كانت الدراسة فى كل هذه المكاتب والمعاهد لا تستند الى منهج محدد ولا الى دراسة منظمة ، وإنما تدرس العلوم العربية والدينية على غرار الازهر القديم ومع بدء الدراسة بدأت نشأته العربية الثقافية والدينية وبدأت مظاهر التكوين الأدبى تظهر عليه مبكرة وأخذت

---

(١) ليس لدينا مصدر لتاريخ مولد الشاعر غير أحاديثه وكل من نرجع إليه يذكر لنا هذا التاريخ غير انى من خلال تتبعى لشعره وجدت انه من الجائز ان يكون قد ولد فى حدود ١٩٠٨م .

علامات النبوغ تبرز فى بواكير حياته .

فقد كان كثير الاهتمام بقراءة كتب التراث منذ الصغر وبخاصة الكتب الأدبية . وقد أثرت هذه الكتب فى تطوير ثقافته الأدبية وبدأت مواهبه تتجلى وتبرز فأخذ يقرظ الشعر وهو فى سن الثالثة عشرة من عمره . وقد كان الفتى علي باكثير شغوفا بقراءة شعر المتنبى وامرىء القيس كما كان من أشد المعجبين بهما .

العوامل التى أثرت فى تكوينه الأدبى المبكر :

كان الفتى باكثير ـ كما أسلفنا ـ شديد الاقبال على التعليم مثابرا مجتهدا كثير الاطلاع . وكان من أكبر المؤمنين بالتعليم وفوائده وبأنه لن يوجد تقدم فى نواحي الحياة الا بتقدم علمى ولهذا فقد أخذ ينهل من كتب التراث ويزود ذهنه بكل ماتصل اليه يده من ثقافات . وقد كان شاعرنا طموحا عالى الهمه يحثه الى تسلق المجد ما لعائلة باكثير من أمجاد علمية وأدبية فى الماضى والحاضر كل هذا ربما كان له تأثيره فى تكوين حياة باكثير الأدبية غير أننا نظن أن هناك عوامل اخرى كان لها دخل فى تكوين شخصيته الأدبية وهى :

أولا : هذه البيئة الدينية المحافظة فى دينها والمحافظة فى عروبتها والمحافظة على قيمها وأخلاقها .

ثانيا : ما كان فى هذه البيئة من متناقضات وصراعات طبقية ومن سيطرة العلويين على الحياة العلمية وما كان يذاع اذ ذاك من أن العلم والأدب وقف على العلويين دون سواهم وأنهم بيوت العلم والافتاء .

ثالثا : عمه الشيخ محمد بن محمد باكثير كان عالما وقاضيا وأديبا وكان الشاعر من المعجبين به . كما كان متأثرا به . ولاشك أنه كان لهذا الشيخ الفضل فى توجيهه وأرشاده .

رابعا : النهضة العربية الحديثة وما كان لها من تأثير فى العالم العربى وكان للكتاب المصريين الكبار أثر بالغ فى تكوينه حيث كان يقرأ فى الشعر لشوقى والعقاد وحافظ وغيرهم أما فى النثر فقد كان يقرأ للدكتور طه حسين والمنفلوطى وزكى مبارك وغيرهم . بالأضافة الى بعض الاساتذة المصريين الأزهريين الذين كانوا يفدون للتدريس بمعاهد حضرموت الدينية .

ومن هذا يتضح أن تكوين باكثير الثقافى والأدبى كان بمجهود ذاتى . إذ إنه من النوع العصامى فاذا ما استثنينا توجيهات عمه الشيخ محمد باكثير فاننا لانجد أثراً للمنزل فى توجيهه الثقافى فوالده موزع جهده بين عائلته فى حضرموت وعائلته فى اندونيسيا أما الوالده فهى كما عرفنا مقيمة فى اندونيسيا لذا فقد اعتمد على قدراته الذاتية لأظهار مواهبه .

ومما تقدم نستخلص أن الشاعر قد نشأ فى بيت علم وفضل وأدب وفى أسرة محافظة متمسكة بالتقاليد الاجتماعية متدينة أشد التدين لها من الأمجاد والمفاخر ماتعتز به وتحافظ عليه . وفى ظل ظروف ساعدت فى تنشئته هذه النشأة الادبية وفى تكوين شخصيته الثقافية التى ظهرت ثمارها مبكرة .

دراســـته :

تلقى شاعرنا مبادىء تعليمه فى كتاب بمدينة سيوون ثم تلقى دراسته الأولية فى معهدها الدينى وكانت الدراسة فى هذا المعهد لا تستند الى منهج محدد وإنما هى خليط من العلوم اللغوية والدينية والأدب . وكانت هذه الدراسة فيما أعرف تعادل

الشهادة الاعدادية [1] غير أن الشاعر حصل فيا بعد على شهادة الثانوية العا
(البكلوريا) التى مكنته من دخول الجامعة المصرية . وباكثير لم يذكر لنا ش
عن دراسته ولكنى عرفت من زوج ربيبته (عمر عثمان العمودى) أنه قد درس
اندونيسيا وقد حصل من مدرمة الارشاد هناك على مايعادل الشهادة الثانوية .

وفى الحقيقة لقد وقفت من هذا القول موقف الشك . لأن الشاعر أرسل ا
موطنه الاصلى (حضرموت) من (اندونيسيا) لاول مرة فى حدود عام ١٩١٨ و
يعد اليها الا فى حدود عام ١٩٢٦م وفى ديوانه المخطوط (أزهار الربى فى اشع
الصبا) وهو عبارة عن الشعر الذى قاله فى صباه بحضرموت . مبدوء بقصي
بتاريخ ١٣٤٠هـ وهو مايعادل ١٩٢١م تقريبا يفيد أنه لم يغادر حضرموت م
وصوله اليها لاول مرة فقد تتبعت تواريخ القصائد بعد ذلك الى تاريخ سفره ا
اندونيسيا فى عام ١٣٤٥هـ والسؤال هو متى حصل على هذه الشهادة من مدرس
الارشاد (بسور بايا) ؟ هل كان ذلك فى العام الذى قضاه باندونيسيا م
شعبان عام ١٣٤٥ هـ الى شوال عام ١٣٤٦هـ ؟ أم كانت السنوات الدراس
التى قضاها بحضرموت قد عودلت من مدرسة الارشاد فى (سورابايا) وبالتا
هل حصل على الثانوية العامة من مصر ؟ !! [2]

فى الواقع لم أحصل على أى دليل ولو بصيص ضئيل يوصلنى الى حقي

---

(١) بعد تطور التعليم فى حضرموت فى حدود ١٩٥٥م طورت هذه المعاهد وأدخلت بعض التعديلات
مناهجها وعودلت بالشهادة الاعدادية ومنها على سبيل المثال معهد (غيل باوزير الدينى) ومعهد (الر
بتريم) .

(٢) عرفت بعد ذلك من صديق الشاعر الاستاذ صلاح البكرى انه لم يحصل على الشهادة الثانوية وانما د
الجامعة بناء على اختبار المقابلة الشخصية .

راحل دراسته وكل مانعرفه عن هذه الدراسة أنه تلقى تعليمه أولا في حضرموت م درس في الجامعة المصرية .

وسواء حصل على شهادة الثانوية العامة من حضرموت أو من اندونيسيا أو صر فقد التحق شاعرنا بالجامعة المصرية في عام ١٩٣٤م بكلية الآداب بقسم للغة الانجليزية وتخرج منها عام ١٩٣٩م بعد أن حصل على درجة الليسانس في لأدب الانجليزى . وبعد التخرج من الجامعة التحق بمعهد التربية للمعلمين يث تخرج منه سنة ١٩٤٠م (١) .

وهنا قد ينشأ سؤال كيف تمكن الشاعر من الالتحاق بقسم اللغة الانجليزية نما دراسته وثقافته كانت عربية بحته ؟ .

والجواب على ذلك : أن الشاعر قد قضى ما يقرب من عامين في سنغافورة وفي سورابايا باندونيسيا وهو لابد أن يكون قد درس مبادىء اللغة الانجليزية هناك ضاف الى ذلك الفترة التي قضاها في عدن . كما أنه يكفي الالمام بهذه اللغة ستطيع الدارس بعدها التكيف حسب ظروفه واستعداده الذهني والفرصة متاحة ذوى الطموحات والاستعداد للتلقي والمواصلة ، فالظروف في ذلك الوقت مهيأة مكين المستزيد من الاستزاده .

زواجه في حضرموت

تزوج الشاعر في حضرموت زيجتين وهو في سن العشرين وكان لكل زيجة صة عجيبة ذلك أنه وفق في زواجه الأول ولكن الاقدار لم تتركه يهنأ بهذا الزواج زوج مرة أخرى ولكنه لم يوفق . ولعله من المفيد أن نبسط القول في هذا

---

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجي طبعة بيروت سنة ، ص ٢٢٦ .

الموضوع حتى يكون القارىء على بينه .

الـــزواج الأول :

أحب الفتى الشاعر على أحمد باكثير وهو فى سن مبكرة فتاة جميلة من عائلة باكثير حبا عذريا والها وأغرم بها غراما . فقد ملكت عليه أرجاء قلبه وأستولت على مشاعره . لأن المجتمع كان مغلقا ومتوغلا فى المحافظة فقد كانت أخته رسولا بينه وبينها . وقد بادلته هذه الفتاة حبا بحب على مايبدو وأخلصت له وأخلص لها وكان وفيا لعهدها وبرا بوعده لها . ولكن هذا الحب العفيف البرىء من كل الأغراض والنوايا السيئة قد صادفه من المشاكل والمتاعب والعقبات الكثير نتيجة لفساد المجتمع وتأخره وسيطرة رجال الدين .

فكما يحدثنا الشاعر فى مسرحية (همام أو فى عاصمة الأحقاف) التى تعتبر خلاصة لحياة الشاعر فى حضرموت أنه كان هناك منافس له على هذه الفتاة وقد كان فى يسر من المال فكان يرشى بعض المشعوذين الذين تستروا تحت شعار الدين ليتوسط له عند أبى الفتاة ويقنعه بزواجه منها وقد اكتشف الشاعر هذه اللعبة ودفع مبلغا أكبر لهذا المشعوذ جعله يقنع أبا الفتاة بالزواج منه بدلا من ذلك المنافس ثم يكشف لعبة الرشوة ولكن أبا الفتاة يتحرج من ذلك ومـن كلام المجتمع فيطلب من الشاعر التريث فيضطر الى السفر الى (اندونيسيا) ثم يعود ليتزوج منها .

هذا ما ذكره الشاعر فى المسرحية من قصة زواجه بهذه الفتاة ولكنى اعتقد ان هذا امر اقتضاه السياق المسرحى والاطار الفنى أو شىء مما فى نفس باكثير على العلويين . والذى اعتقده وأراه الصحيح أن الفتاة كانت قاصرا ولهذا فقد اضطر الى السفر حتى يكمل سنها . وقد صرح الشاعر بذلك فى قوله :

ى الشــام أو مصر أو للمها جر (جــاوة) أو للبــلاد الأخر
بعــد ثلاثــين شهــرا يعو د وســوف تمــر كلمــح البصر
ـالك تبلــغ سن الزوا ج (حســن) وتنضــج نضــج الثمر

باكثير فى أندونيسيا

لم يجد شاعرنا مفرا من حبس عواطفه وكبح جماح نفسه خصوصا بعد أن وعده أبو الفتاة بالزواج منها ولكنه لم يستطع البقاء فى حضرموت فجمع حقائبه وهاجر الى (سنغافورة) ثم الى (جاوه) حيث استقر به المقام فى (سورابايا) حيث ولد وعند والدته وأخوته .

وقد قام باكثير خلال الفترة التى قضاها فى اندونيسيا بنشاط واسع فى محاولة التوفيق فى الخلاف الذى نشب هناك بين العلويين وغيرهم من أبناء الشعب الحضرمى وقد ألقى عدة قصائد يوضح فيها مضار هذا الخلاف وعلى الرغم من صغر سنه الا انه نجح الى حد ما فى استقطاب بعض العلويين الى دائرة الوفاق .

وبالرغم من هذه المشاغل والهموم وبالرغم من انتقاله الى عالم منفتح فيه السفور والابتذال وفيه الفتنة والجمال الا أنه ظل وفيا لتلك الفتاة صادقا كل الصدق فى حبه . وبالرغم من أنه كتب الكثير من القصائد الغزلية فيما شاهد من جمال الا انه لاينسى أن يعرج فى هذه القصائد على هذا الحب الصافى الصادق . استمع اليه يقول فى قصيدة عنوانها (نفثات حب) ويتحدث فيها عن فتاة ندونيسية :

رأت عربيــا فاســتخف بهــا الهوى رآهــا فحلــت منــه بالمنــزل الرحب

ولولا هوى حسناء من نسل يعرب ... لقد ملكت حينا (مدورية) [1] قلبي
ولكن هوى هند منار هداية ... بمعتكر الاحلاك للعاشق الص
ولولاك يا أم البنين تقاذفت ... به سنن الأهواء فى لجج الح
فزيديه من حب ليزداد فى هوى ... وأرويه من منهله العذ
متى يجمع الرحمن بيني وبينكم ... فحسبى من الدنيا لقاؤكم حسبي
لقد ذاب قلبي من مكابدة النوى ... فرحماك ياربى رحماك بى ربى [2]

ويبدو أن حب باكثير لفتاته كان من النوع العنيف فقد أخذ خيالها يطارده كل مكان يذهب اليه ، وأخذ حبها يلح عليه بالعودة الى حضرموت فأنشأ يرس العبرات وفية صادقة واذا كان حبها قد كان له نبراس هداية فى غربته فأنه ب الآن يتطلع الى لقائها بعد هذا الفراق الموحش وطفق يصور أحاسيسه نحو ويفصح عن مشاعره فهو يذوب شوقا الى لقائها ويتحرق صبا من هذا البعد و عيشه بعيدا عنها أصبح لايطاق . وبالتالى فهو يرجو ويتمنى من الله أن يكل هذا الحب بالزواج على سنة الله ورسوله :

حبيبة قلبي ما أرى العيش سائغا ... بدون ارتحالى نحوكم ووصول
متى نلتقى ياهند فى بلدة الهنا ... ونبرد فى ظل هناك ظلي
على عفة ما أن تزن بريبة ... وفى مأمن من راقب وعذو
يشرف حبينا زواج مقدس ... على خير دين . دين خير رسول [3]

ظل حب (هند) ـ كما يسميها ـ يلح عليه لذلك فلم يطل به المقام فى

---

(١) قرية فى جزيرة سورابايا بأندونيسيا .
(٢) باكورة الشعر مجموعة اسعاره التى قالها فى اندونيسيا فى الفترة من عام ١٣٤٥هـ ـ ١٩٤٦هـ (مخطوط) .
(٣) باكورة الشعر مجموعة اشعاره التى قالها فى اندونيسيا فى الفترة من عام ١٣٤٥هـ ـ ١٣٤٦هـ (مخطوط) .

دونيسيا بل حزم أمتعته وعاد الى حضرموت فى شوال عام ١٣٤٦هـ ومن مدينة المكلا) الواقعة على ساحل المحيط الهندى أرسل رسله ليبشروا إخوته بمقدمه بالدرجة الأولى ليبشروا تلك المحبوبة الواله بحبها والمترقبة لمقدمه :

لام على المربع الآهل بكل فتى منكم فاضل
وع الملوك من آل أبى كثير أولى المجد والنائل
لام غريق ببحر النوى تغلغل فى موجه الهائل
راكه الله فى غرة بلطف فألقاه بالساحل
شرى (علىّ) وبشرى أبى سعيد بوصلكم العاجل (١)

عاد باكثير من (اندونيسيا) بعد أكثر من عام قضاه فى المهجر وقد تحققت منيته بالزواج من تلك الفتاة التى أحبها . غير أنا لا نعلم من تاريخ هذا الزواج شيئا ولا من حوادث حياته الزوجية . والذى نعرفه أن هذه الزوجة قد أنجبت له بنتا ماتت غريقة فى بركة الماء التى كانت فى حديقة المنزل . وأنها قد مرضت السرطان وطال مرضها حتى قضى عليها هذا الداء فى النهاية .

اتها :

سارت حياة شاعرنا سيرا هادئا منعما بعد زواجه وعاش فى هناء وسعادة بعد ن ظفر بفتاته . وأخذت الدنيا تبتسم فى وجهه وتفتح له ذراعيها . غير أن هذه السعادة لم تدم طويلا والأقدار لم تمهله كثيرا فقد كانت له بالمرصاد حيث

(١) باكورة الشعر مجموعة من اشعاره التى قالها فى اندونيسيا فى الفترة من عام ١٣٤٥هـ - ١٣٤٦هـ طوط) .

اختطفت يد المنون هذه الزوجة الحبيبة الى نفسه المخلصة له بعد مرض استم
فترة من الزمن كما أسلفنا .

وقد أثرت هذه الوفاة على نفسية الشاعر وأصيب بصدمة عاطفية عنيف
كانت سببا من أسباب هجرته من حضرموت .

« ... مضافا الى ذلك كله أزمة نفسية أليمة من جراء وفاة شخص عزيز علي
هو زوجي الأولى التى اختطفها الموت وهى فى بواكير الشباب وكنت قد رثيتها ف
قصائد جمة » (١)

وقد ظل باكثير وفيا مخلصا لذلك الحلم الجميل ، دائم الذكرى له فى كل
كتاباته وأشعاره . وظلت ذكرى هذه الزوجة الجميلة عالقة فى ذهنه لاتفارقه أبد
حيث ما حل وأين ما ارتحل يندبها ويبكيها وكلما تذكرها هاجت أشجانه وسالت
مدامعه ، وانطلق يهذى بالشعر . ففى عدن يصاب بالحمى فيطلق لدموعه وتهيج
فى نفسه ذكرى الماضى :

ذكرت حبيبتى فهفا بقلبى ... تذكر تلك الروح الحنو
فلو كانت معي لأزال شكوي ... مرور بنانها فوق الجبين (٢)

وفى الحجاز كتب مسرحية « همام » بمدينة الطائف . وكانت حوادثها تدور
حول حياته مع هذه الزوجة وقد صدرها باهداء الى روحها الطاهرة :

« الى مصدر الوحى الأول »

الى ملاكى الجميل الذى سبقنى الى عالم الخلود .. وكلما ذكرته أوحى الى » (٣)

---

(١) فن المسرحية ص ٦ طبعة دار المعرفة .

(٢) العدنيات (مخطوط)

(٣) اهداء همام او فى عاصمة الاحقاف .

وفى مصر لم يستطع أن يسلوها بل ظل يدبج قصائد الرثاء فيها المجللة بقتامة الذكرى :

أمـــس

يا حبيبـــى برد العقــد ولــم يبــرد على الــرشف صداى
وانقضى أو أوشــك الليـــل ولما أقض من فيــك مناى

* * *

آه ما أحــلاك فى قلبـــى وعينـــى وذراعـــى ولسانى
ليتنـــى أفنـــى بعينيـــك فأحيـــا فى نعيـــم غـــير فان

* * *

لـــو عبرنـــا الدهـــر ضما واعتناقـــا لا أرى يشفـــى غليلى
يـــا حياتـــى ساعـــة تعـــدل منـــك الدهـــر ليســـت بالقليل

* * *

أنـــت دنيـــاى ودينـــى ومعـــادى وضـــلالى وهداى
ليـت شعـرى عنـــك يا روحـــى أنفسى أنـــت أم أنت سواى

يــا حيــاة الــروح هل صاغــك ربــى من فؤادى وهواه ؟
أم برانــى الجســد الهامــد من أودع لى فيــك الحياة ؟

* * *

ذاك أو هذا فإنّــا مهجــة واحــدة فى جسدين
فــاذا نحــن اعتنقنــا فمصــل ضم للــه اليدين

* * *

واليـــوم !

وانطــوى العهــد وأفــردت لأشقــى عائشــا فى نصف روح
ليتــه نصف سليــم غــير ممنــى بأشتــات الجروح

* * *

فلأمــت بعــدك كى ألقــاك أو فلأحــى بالــذكرى لحين
وعزائــى فى يقينــى أننــى القــاك فى دار اليقــين [١]

هذه حرقة ملتاع وذكر حبيب وفى مخلص من شاعرنا الذى أحب لاول مرة فى

---

(١) مجلة ابولو عدد ديسمبر ١٩٣٤م المجلد الثالث .

حياته حبا صادقا تأجج بين جوانحه حبا عنيفا حقيقيا ويبدو أن هذه الزوجة كانت على قدر كبير من الجمال والعفة حتى أنه ظل يذكرها الى أخريات حياته ، لم يستطع أن ينساها .

الــزوجــة الثانيـــة :

ذلك حديثنا عن الفتاة التى أحبها باكثير وتزوجها . وهذا حديثنـا عن الزوجة التى لم يحبها ولكنه تزوجها . والقصة كما يحكيها المقربون الى باكثير أن زوجة الشاعر الأولى قد مرضت بداء السرطان وطال مرضها ، ولهذا فقد اقترن بأمرأة أخرى بعد ضغوط من أخيه الأكبر وبعد تأثير عليه من العائلة كلها فيما يبدو لى . كما أنى لا أستبعد أن تكون الزوجة الاولى قد وافقت وترجته بعد ما رأت من مرضها وكان ذلك بدافع إخلاصها وحبها له .

وباكثير لم يذكر لنا شيئا عن هذا الزواج ولا عن ظروفه ولم يشر اليه ولو اشارة خفية ، ولكن زوجته المصرية تذكر انه كان متزوجا من امرأة أخرى وكان هذا الزواج بناء على رغبة أخيه الاكبر بعد ان طال مرض زوجته الأولى وقد طلقها بعد ان استقر فى مصر وتزوج منها .

وفى تقديرى أن زواجه من هذه المرأة الأخرى كان له أثر كبير فى نفسيته وفى هذا الاضطراب الذى أصيب به لأنه أحس انه أخطأ فى حق هذه المسكينـة المريضة وهو نوع من تأنيب الضمير .

الشاب المصلـــح

كانت حضرموت مليئة بالخرافات والأوهام متردية فى حالة اجتماعية سيئـة نتيجة لسيطرة العلويين على الحياة الدينية . ونتيجة للجهل والفقر والبؤس التى

كان عليها الشعب . وليت هذا اقتصر على الحضارم المقيمين فى حضرموت بل
انتقل معهم الى المهاجر وبالاخص فى (جاوه) وقد حدث صراع عنيف بين
العلويين وغيرهم من الطبقات الأخرى تحول من السباب فى الجرائد والمجالس
الى الاقتتال فى المساجد والمدارس .

وكانت كل هذه الأمور تجرى تحت سمع وبصر الشاب على أحمد باكثير وهو
فى حضرموت . وقد حاول وهو فى حضرموت أن يصلح من هذه الأمور بالارشاد
والنصح والمنطق فلم يستمع اليه أحد فغادرها الى جاوه وفى جاوه هالته الحال
التى كان عليها الحضارم هناك وفجع بهذا التمزق والشتات وألقى قصائد عديدة
فى الجمعيات الحضرمية هناك يندد فيها بهذه الفرقة بين الأشقاء وهذا التناحر بين
من يجمعهم وطن ولسان ودين . ويدعو الى الوئام والتئام الشمل بين الأخوة . وقد
وقف موقفا وسطا فى الصراع الذى دار فى أندونيسيا بين الارشاديين والعلويين .

وقد كان باكثير من أنصار تعليم المرأة ولكنه فى اعتقادى لم يكن من أنصار
حقوق المرأة . وقد كان رحمه الله فى هذه الفترة داعية الى كسر الجمود والتأخر
والأخذ بأسباب الحياة العصرية . وكان يرى ان السبيل الوحيد الى كسر هذا
الجمود والى القضاء على هذه الخرافات هو التعليم .

وقد حدثنا الشاعر عن هذه الاحوال الاجتماعية وما صارت اليه حال
الحضارم من ترد وعن الجهود التى بذلها للاصلاح فى مسرحيته (همام أو فى
عاصمة الاحقاف) التى تعتبر خلاصة لحياته فى حضرموت وخلاصة القول ان
الشاب على أحمد باكثير قد حاول أثناء وجوده فى حضرموت واندونيسيا أن يصلح
من هذا الفساد الاجتماعى المتفشى فى المجتمع الحضرمى وأن يقضى على الجهل
والظلم . كما حاول أن يخلص الدين من الشوائب التى علقت به وأن يزيح عن
كاهله تلك الخرافات من برء المرض وعلم الغيب وتقسيم الكرامات .. الخ

ولكن تلك المشاكل كانت أكبر من فكره فتركها وترك حضرموت ، وهاجر
هائما على وجهه بين جوانحه أحزان ذاتيه ، وفى فكره مشاكل اجتماعية ، وهموم
وطنية ، وعاش بها مشتت الفكر مبلبل الخواطر الى ان استقر فى مصر .

* * *

الفصل الثالث :

الشاعر تائهاً

هناك حوادث تحدث فى حياة الانسان تهز كيانه وتدمر حياته ، وتتركه تائه
ضالا لايدرى الى أين يتجه ولا كيف يتصرف ، الى أن يتداركه الله برحمته
ذلك أن هذه الحوادث والخطوب تكون ذات عواقب نفسية مظلمة تحطم هذ
الانسان من داخله . وكم من إنسان القت به حوادث هذه الحياة الى المصحات
النفسية .

وشاعرنا على أحمد باكثير قارعته الخطوب قراعا مريرا ولولا ايمانه الشدي
بربه وبدينه لعلم الله ماذا سيكون عليه حاله فقد توالت عليه الآلام والمصائ
وهزت وجداته بعنف ، وتزاحمت عليه الهموم والشجون فى فترة متقاربة فمات أبو
ثم أخوه عبد القادر ثم أخوه محمد ثم زوجة والده خديجة وقد رثى الجميع رثا
حارا . وقبل هذا وبعده ما لقى فى سبيل دعوته الى الاصلاح الاجتماعى وآرائ
الحرة التى كانت تدعو الى القضاء على الطبقية والفساد وعلى الشعوذة كما تدع
الى نشر التعليم والقضاء على البؤس والتخلف ومالقى من جحود ومقاومة م
بعض العلويين له حتى أنه كان متبرما ضائقا بهذه المعارضة مما جعله يفكر ف
الرحيل عن حضرموت .

ضاق صدرى والهم بلبل بالى	وتولى أنسي وقل احتمال
أين عقلى وأين حلمى ؟ ضاعا	بين حلو المنى ومر المطال
طال ليلى وطال همى وطال الـ	عتب بينى وبين هذي الليال

رة أعـزم الرحيـل وطورا أنثنـي راضيـا بالحال
سقت ذرعا بذى البلاد ومن ضا ق بأرض فليعـن بالارتحال
ى لى فى الـكون الفسيـح مجالا ان يكن ضاق فى البـلاد مجالى (١)

هكذا كان يفكر شاعرنا فى الرحيل عن حضرموت . وهكذا كانت حالته لنفسية نتيجة لما رأى فى حياته من مشاكل ومتاعب وأحزان ، ولكن كل هذه لمتاعب وكل هذه الاحزان كانت قد رسبت فى اعماقه . فى محاولة للتغلب عليها . حتى كانت وفاة ابنته ثم زوجته التى أحبها حبا عنيفا مخلصا ، فاهتزت نفسيته وطفت كل هذه الرواسب على السطح . فشتتت افكاره ، وزلزلت كيانه . فلم يستطع مقاومتها وأحس فى داخل نفسه بالاغتراب والتمزق فرحل عن وطنه حضرموت الى عدن .

باكثير فى عدن

قلنا ان هذه الهموم قد اتجهت بالشاعر الى عدن فى بادىء الامر ولم تكن هى مقصدة فقد كان فى رحلته هاته تائها لايدرى الى أين يتجه ولا الى اين يرتحل ؟ ولكنه رجل هزته الخطوب فهام على وجهه يطلب السلوى منها ، وينشد لراحة النفسية ، والتخفف من هذه الهموم والاحزان .

وفى عدن عاش شاعرنا شهورا مترددا حائرا جاهلا مصيره لايدرى الى أين ذهب :

سلام على (سيـوون) أنـى تطوحت بى الحال إن (جاوه) قصدت وإن مصرا

---

(١) ديوان (ازهار الربى فى اشعار الصبا) مخطوط .

فبين ضلوعى صاحب ليس بارحا   ينوح على عهد كريم بها مرا [1]

ولم يذهب باكثير الى (جاوه) ولم يذهب الى (مصر) فى ذلك الوقت بل مكث شهورا فى عدن ثم رحل الى الصومال والحبشة . وقد اتصل فى عدن برجالات الاصلاح والأدب من مثل الشيخ محمد بن سالم البيحانى والشاعر محمد على لقمان كما كان عضوا فى نادى الاصلاح الاسلامى بعدن .

وقد نزل باكثير فى عدن فى ضيافة الشاعر العدنى محمد على لقمان وكان يعطف عليه ويواسيه وقد ربطته به صداقة متينة خففت بعض الشىء من آلامه .

فدم يا سيدى لقمان حيا   وسلوى للعليل والحزين
فكم فرجت من همى وضيقى   وكم كفكفت من دمعى السخين [2]

ويرحل هذا الصديق الى (الصومال) فتضيق الحياة على باكثير فى (عدن) ويملها ويألم لفراق هذا الصديق وتهزه الذكريات ويتمنى لقاءه .

« وكتب فى ضمن رسالة الى الاستاذ محمد على لقمان (ببربرة) فى ٢٤ شوال سنة ١٣٥١هـ » :

ان إدكارك يالقمان أشجانى   وهاج منى أحزانى وأشجانى
فى ذمة الله خلا قد سلوت به   مصائب الدهر لما ان تولانى
لقيته نضوهم فالق كبدى   وخلف سقم فآوانى وسلانى
مازال باللطف والاشفاق يغمرنى   حتى شفانى من دائى وعافانى
وكيف أنسى خليلا قد نسيت به   أهلى وصحبى واخوانى وأوطانى

---

(١) العدنيات (مخطوط) .

(٢) نفس المصدر .

ـي لأذكرك والـكأس عند فمي ... فأطـرح الـكأس من وجـد وتحنان
عأسأل الله مولانـا الكريـم بأن ... يضـم شملى يومـا ما بلقمان [1]

هذه لمسة وفاء وزفرة صدق وعرفان بالجميل ، من صديق مخلص .

ولم يطل المقام بباكثير بعد هذا الصديق فى عدن ، ولم يصبر على الحياة بعيدا عن عطفه وأفضاله فيرحل بعده الى الصومال ولكنه يستقر فى (هرقيسا) اما لقمان فقد كان فى (بربرة) ويرجو من لقمان ان يوافيهم فى (هرقيسا) :

« الى الاستاذ محمد على ابراهيم لقمان بعثها له (ببربرة) من (هرقيسه) فى طي كتاب .

فسها ما لنـا سواك ملاذ ... فحنانيـك أيهـا الأستاذ
و تعطفـت فانثنيـت الينا ... لاستتـب لنـا المنـى والملاذ

فى ربـى (هرقيسـا) هواء وماء ... وريـاش ووابـل ورذاذ
وطيـور على الغصـون تغنى ... ومـراء جماهـا أخاذ
غـير أنـا ـ وأنـت ليسـت لدينا ... مالنـا فى درك الجمال نفـاذ [2]

وقد طوف شاعرنا ما طوف بأقطار أفريقيا متنقلا فى مدنها متفقدا لاحوال الحضارم والعرب هناك وهو لم يترك مناسبة يحضرها الا والقى فيها شعرا ففى (جيبوتى) حضر مع الشيخ محمد بن سالم البيحاتى مؤتمرا للوفاق بين اخواننا العرب المتخاصمين هناك وقد القى قصيدة امتدح فيها الشيخ البيحانى على توفيقه بين المتخاصمين وندد بالفرقة ودعا الى الوفاق . وفى (أديس أبابا) بأثيوبيا

---

(١) العدنيات (مخطوط) .

(٢) نفس المصدر .

القى قصيدة فى نادى الاتفاق عندما قام أعضاء النادى بتأسيس اول مدرسة عربية اسلامية هناك . حاثا على التعليم والوفاق بين الاخوة .

وبعد هذا التطوف عادَ باكثير الى (عدن) حيث إنه فيما اعتقد لم يجد من السلوى وراحة البال فى هذه الاقطار ما كان يرجوه . ثم غادرها متجها صوب الحجاز عله يجد الراحة النفسية الى جوار الكعبة الشريفة والى جوار قبر الرسول (ﷺ) .

باكثير فى الحجـــاز

انتهى المطاف بشاعرنا الكبير (على أحمد باكثير) الى البيت العتيق فى حدود ١٩٣٢م وهناك الى جواره سكن حينا من الدهر طالبا للسلو، هاربا من احزانه، متضرعا الى الله ان يجعل له مخرجا منها وقد استجاب الله لدعائه . فشرب من ماء زمزم وأغتسل منه وبهذا الاغتسال غسلت جميع همومه وأشجانه وبدأ يخرجها فى زفرات شعرية معبرة عما فى صدره فكتب وهو الى جوار رسول الله (ﷺ) (نظام البرده او ذكرى محمد «ﷺ») وقد سجل فيها جميع هواجسه وذكرياته التى كانت سببا فى هجرته . وفى الطائف كتب مسرحية «همام او فى عاصمة الاحقاف» ونفث فيها كل ما كان يعتمل فى نفسه من احزان ومشاكل وبهذا فقد ارتاحت نفسيته بعد ان تخلص من هذه الاثقال التى كان يحملها فى داخله وبدأ يأمل ويترقب وينظر الى الحياة بوجه مشرق بعد هذا الليل البهيم الذى كدر عليه حياته وقلب كيانه :

يانجمـــة الأمـــل المغشي بالألم	كونـــى دليلى فى محلـــولك الظلم
فى ليلـــة من ليـــالى القـــر حالكة	صخابـــة بصـــدى الأرواح والديم

دجـى تتـالى كأمـواج المحيـط بها ... عقلى وقلبـى وطـرفى كل ذاك عمى
أكاد أرتـاب فى نفسى فأنكرها ... لولا مسـيسى جسمـى غـير متهم
فى نفنف هائـل جم مزالقه ... رهـن الحيـاة به فى زلـة القدم
على طريـق كحـد السـيف مسلكها ... هول وحيـدى عنهـا الموت من أَمَم
فأشرقـى وأنـيرى لى السبيـل فما ... لى غـير نورك من منجـى ومعتصم
أنـت الحيـاة ولـولا أنـت ما اتسعت ... مضايـق العيش بـين الهـم والسقم
للوحـين لمن ضاقـت مذاهبه ... وأوشـك اليـأس يلقيـه الى الرجم
ن هذه نوبـة فى الحـال زائلة ... ودون بضـع خطـى ما رمتـه فقم
والهـم أمتـن اسبـاب الحيـاة له ... آثـاره فى سرور النـاس والألم
ياويـح قلبـى بجنبـي لا هدوء له ... يجيش بالهـم كالبـركان بالحمم
يئـن من ثقـل الآمـال تبهضه ... أن الهمـوم رسـالات من الهمـم [1]

اذن فقد بدأت الهموم تنجاب عن الشاعر وأخذت الآمال والأمانى تفتح له ذراعيها ، لقد قضى مايقرب من ثلاثة أعوام هائما مستسلما للهموم فآن الوقت ان ينفض عن نفسه غبارها وأن يستقبل نسيم الآمال وأريج الأماني . وكيف لا ؟ وهذه مصر مهبط آماله على بعد أميال منه .

ويبدو لى أن أسرته وبالاخص اخوانه لم يكونوا راضين عن ذهابـه الى الحجاز أو الى مصر وكانوا يريدونه ان يتوجه اليهم باندونيسيا :

بينا كنـت شغوفـا بالمنى ... والاحاديـث لمصر والحلم
موقنـا رؤيتهـا فى أقـرب الـ ... ـوقـت لاشـك هنـاك لا جرم

---

(١) نظام البرده او ذكرى محمد (ﷺ) صفحة ٣ طبعة بمطبعة الشباب بمصر سنة ١٩٥٢م .

اذ أتانى نبأ من (جاوه) أن تقهقر لاتقل الانعم [1]

ولكنه لم يستمع لهم ولم يقل نعم فقاطعوه فاضطر الى ان يعاتبهم عتاب
جميلا :

« تشكى وعتاب وأرسلتها الى الأخ حسن» بسر بايا من مكة المكرمة :

مالى أرى أهلى بجاوه قطعوا   حبل الوصال وما ارتكبت جليلا
أو كلما يأتى كتابى نحوهم   إتخذوا الصمت عن الكلام بديلا
والحال أنى فى انتظار جوابهم   كالطير فى قفص يريد سبيلا
أتطلع الأخبار من هذا وذا   فلعل مكتوبا يبل غليلا
فالى متى أهلى الام صموتكم ؟   وعلام هذا الهجر صار طويلا [2]

وفى الحجاز كون له صداقات مع كثير من أدبائها وشعرائها فخص منهم
بالذكر الشيخ احمد ابراهيم الغزاوى وعبد الله بلخير والاستاذ الاديب محمد امين
الكتبى ومحمد حسن الكتبى وقد كتب له الاخير مقدمة لديوانه المسمى بالعدنيات
والذى لازال مخطوطا وكان من أقرب الاصدقاء الى نفسه وكان يقرنه بلقمان ف
عدن :

فكلاكما نعم الصديق كلاكما نعم الظهي
لقمان أنت وأنت لقمان ومالكما نظير [3]

وقد اتصل باكثير (بآل سعود) وأعجب بهم ومدحهم بعدة قصائد والى آخ

(١) العدنيات (المخطوط) .
(٢) الحجازيات (مخطوط) .
(٣) نفس المصدر .

حياته كانت علاقاته بهم وطيدة . وقد كتب باكثير فى الحجاز شعرا كثيرا وجمعه فى كراسة بعنوان : (الحجازيات) ولازال مخطوطا .

وبعد هذه الخلاصة لحياة باكثير فى الحجاز فانه كان من الممكن ان يستقر الشاعر فيها مدى حياته ويكون له تجارة ويجمع ثروة كبيرة كغيره من أخوانه الحضارم الذين استقروا فى الحجاز غير ان باكثير طالب علم ومعرفة ومجد ورجل تطلعات فقد كان دائما يضع نفسه بين الفراقد لا وسط الحفر لهذا لم يطل به المقام فى الحجاز بل تركها ويمم مصر ، مركز الأشعاع الثقافى والعلمى فى العالم العربى وكعبة المعرفة .

* * *

الفصل الرابع :

حياة الشاعر في مصر

« فى الواقع أنا وجدت سلوانى فى مصر وكنت مشتاقا الى زيارة مصر من قديم . لأن كل الكتب التى نقرأها كلها كانت اما مؤلفة للمصريين أو مطبوعة فى مصر على الأقل . فكان من الطبيعى أن يتجه أديب عربى إلى مصر باعتبارها مصدر الاشعاع العربى فى جميع العالم العربى على الاطلاق فكأن الأقدار أفقدتنى زوجتى هذه الشابة لتتم زيارتى أو إقامتى الطويلة فى مصر بعد ذلك . أنا لا أشك فى حكمة الله سبحانه وتعالى . ولهذا أحمده على السراء كما أحمده على الضراء »[١] .

بعد رحلة شاقة وبعد صعوبات ومتاعب وتلبد الأمال والآمانى بالغيوم قدم الشاب على أحمد باكثير إلى مصر فى حدود أوائل عام ١٩٣٤ م كما يذكر[٢] . وكان قدومه الى مصر والدراسة فيها حلما يراوده منذ أيام الصبا ، حيث كان دائم التطلع إلى الدراسة فيها ، والاتصال بأدبائها ومثقفيها .

وكانت آماله تضطرب اضطرابا حول هذا المطلب ففى قصيدة بعنوان (ذكريات وتمنيات) أرسلها من عدن إلى صديقه عمر بن أحمد با رجاء فى

---

(١) ذكر ذلك فى حديث اذاعى من اذاعة البرنامج الثانى من القاهرة عام ١٩٦٩ م بعنوان (مع الأدباء)

(٢) يقول الشاعر أنه قدم عام ١٩٣٤ م فى حديث اذاعى عام ١٩٦٩ م ولكن صديقه الدكتور عبده بدوى ذكر أنه قدم فى عام ١٩٣٣ م فى مقال له فى مجلة الهلال عدد ديسمبر ١٩٧٤ م .

سيوون يذكره بتلك الآمال التى كانت تدور فى أفكارهم ـ ويبدو أنه قد تعاهد هو وهذا الصديق على تكملة دراستهما فى مصر ـ يقول فيها :

لنقف نذكر عهودا بالحمى صافيا ديبابجها من كل هم
قد تساقينا بها راح الصفا والوداد الخالص الثبت ادعم
وتآخينا على نيل العلى ونديمانا كتاب وقلم
تحت سقف واحد من معهد فائض بالنفع مستعلى العلم
واتخذنا طلب العلم لنا سلما نرقى به نحو القمم
فالتمسناها فلم نظفر بها هل لها من عودة قبل الهرم
هل لها من عودة فى موطن العلم بواد النيل أو فى أرض الهرم[1]

هذه الآمال التى تضطرم فى نفسه وهذه الأمانى التى تضطرب كما قلت اضطرابا ما أن توشك أن تتحقق حتى تصطدم بعقبة وتقف فى سبيلها الموانع والصعوبات وتنكمش انكماشا ولكنه لا يقطع هذا الأمل ولا يستسلم لليأس بل يترقب وينتظر :

هذه أمنية أعظم بها طالما جالت بقلبى المضطرم
علنا نحظى بها فى ميعة العمر فى غير فتور وسأم
قد بذلت الجهد فى تحقيقها وبى السقم ولما ينحسم
وشددت الرحل حتى عدن ويكاد الأمر فورا أن يتم
لكن الأقدار حالت دون أن أبلغ القصد فقلبى فى سدم

(١) العدنيات (مخطوط) .

بينما كنــت شغوفــا بالمنى والأحــاديث لمصر والحلم
موقنــا رؤيتهــا فى أقــرب الــ ــوقــت لاشــك هنــاك لا جر
اذ أتانــى نبــأ من (جاوة) أن تقهقــر لا تقــل الا نعم[1]

ويتحسر شاعرنا على فوات الفرصة فى ذهابه إلى مصر التى كان يتمناه
ويعد لها العدة من سنين ويعلق عليها آمالا كبارا وأمانى عزيزة .
ويأسف لضياعها الذى لا يقدر بثمن :

فاعترتنــى حسرات يالها فرصــة أثمــن من حمــر النعم
أنكوصــا عن بلاده قد حوت أزهـرا و (الـدار[2]) ينبوع الحكم[3]

واذا كان شاعرنا يتحرق على ضياع هذه الفرصة لوقوف العراقيل فى سبيله
بسبب همومه العائلية فانه لم ييأس بل أن الأمل لازال قائما فى الاستجابة لتحقيق
هذه الرغبة التى ينزل من أجلها مصر :

ان لبــى ضاع ممــا نابنى واشتياقــى فى هياج وضر
لكن المنية أبقيت شعلة ضاءت القلــب الأسيف المنثلم[4]

من هذا نستخلص أن آمال شاعرنا كانت كبيرة وطموحاته لا حدود لها كبحر
بلا شواطىء ، وأن هذه الآمال والطموحات لا سبيل الى تحقيقها الا بالعلم

---

(١) نفس المصدر
(٢) يقصد دار العلوم
(٣) العدنيات (مخطوط)
(٤) نفس المصدر

والتزود من منابعه العذبة . وأين هذه المنابع ؟ إنها فى مصر مركز الثقافة العربية والاشعاع العلمى والأدبى للعالم العربى فهى ملتقى الأدباء وموئل العلماء .

وقد عاش باكثير الفترة الأولى من حياته فى مصر ، وهى ما تقرب من عشر سنوات عيشة الطلاب الشرقيين وتنقل فى أنحاء القاهرة ، إلى أن تخرج من معهد المعلمين ، واشتغل بالتدريس ، وانتقل إلى المنصورة وتزوج فيها .

وكانت حياته فى السنوات الأولى لقدومه مصر حياة قلقة مضطربة فيها أطياف اليأس وأشباح الحزن ، وقتامة الذكرى ، وفيها اهتزازات من آثار الماضى وآلامه . لذا فقد عاش وحيدا منطويا على نفسه يجتر كل ذلك :

ى غرفة واجمة قفرة ... ليست بها بارقة للمنى
ادئة لا عن طمأنينة ... ساكنة مثل سكون الفنا
نور فى أرجائها حائر ... يصيح من يأس أقبرى هنا ؟!
لا جواب غير خمس بها : ... ويبك يا ابن الشمس أين السنا ؟
ذنب للنور ولا غيره ... فى غرفة خالية من « أنا »[1]

* * *

ليت لليأس سبيلا إلى ... قلبى فأحيا بفؤاد خلى
عجبا منى استنجد الـ ... ـيأس كأنى لم يمت مأملى !
أنا فيه اليأس لو لم أكن ... عن راحة اليأس فى معزل !!
صيبتى هذا الشعور الذى ... يربط ماضيَ بمستقبلى

---

(١) مجلة الرسالة السنة الرابعة الأعداد ١٦٧ ، ١٧٠

ما الــذى أنسانـــىَ نفسى فلا   أذكر ما اسمى : خالد أم على ؟(١)

* * *

غير أن باكثير ما لبث أن خرج من هذه العزلة ، ومزق هذا الانطواء وكو
له صداقات وارتباطات كثيرة مع الأدباء الكبار من أمثال العقاد والمازنى ومح
الدين الخطيب والزيات وغيرهم ، كما كون له صداقات بالأدباء الشبــان م
أمثاله وبالأخص زملائه فى الجامعة من أمثال الروائى الكبير نجيب محفـوظ
والشاعر صالح جودت ، والشاعرة جميلة العلايلى وبالاضافة إلى هذه الصداقا
التى كانت تربطه بأدباء مصر فقد ربطته صداقات وعلاقات اخرى بأدباء العا
العربى .

وهذه الصداقات والعلاقات فى رأيى كانت دفعة قوية فى حياة باكثير الأد
وهى التى أخذت بيده وجعلته يشق طريقه وسط الحياة الأدبية فى مصر فى ذا
الوقت ، وهى التى اخرجته من عزلته وانطوائه .

ولقد كانت ارتباطاته بالأدباء الشبان أشد ، وميوله اليهم اكثر وكان يرى
هؤلاء الأصدقاء من الشبان الأهل والعشيرة ، ويجد عندهم السلوى والمؤانسة
ويحس فى صداقته لهم متنفسا ، وهدوءا ، واستقرارا وأمنا من البلابل والوساو
التى لم يتخلص منها بعد ، ولهذا فقد كان يتألم ألما شديدا اذا ما لقى من
صدودا ، أو هجرانا ، ويعاتبهم عتابا جميلا فى بعض الأحيان .

---

(١) المصدر السابق

الرفيق المضاع

« إلى الصديقين الأدبيين المبدعين الشاعر صالح جودت والشاعرة جميلة
العلايلي اشارة إلى واقعة حال »

عج بالأديبة والأديبْ أو بالحبيبة والحبيبْ
واسألهما فى رقة ما شأن خلكما الغريب ؟
خلفتماه وحده أمر لعمركما عجيب
سأل الشوارع عنكما وسؤاله فيها مريب
ـيران يمشى والدمو ع لها بخديه حبيب
م يدر : حق مارآ هـ قبل أم حلم غريب

* * *

اذا جناه فاستحق به عقابكما الرهيب
هباه ذا ذنب فلو راجعتماه كى يتوب
ـتى اذا أعياكما فالود غفار الذنوب
بعدما روحتما عنه البلابل والكروب
ـ بعدما أمطرتما باللطف مرعاه الجديب
نفس الصعداء من قلب بجنبيه كئيب
رأى بلطفكما العشيـ رة والقريبة والقريب

خلفتمـــاه وحـــده يدعـــو وليس له مجيب(

* * *

لقد كان الشاعر يحس بالاغتراب ، ويشعر بالوحشة ، وهذا الذى جع
يعيش قلقا مضطربا فى أول عهده بمصر ، ولكنه ما لبث أن خلع كل ذلك عنه
خلع الوساوس والأوهام ، وخلـع الحـزن والآلام ، وامتـزج بالمجتمـع المصر
وعايشه ، وأحبه ، لذا فكانت الدراسة فى مصر ، وكان الزواج ، وكان العم
والاقامة الطويلة والدائمة ثم كانت الوفاة .

الدراسة فى مصـــر

هبط باكثير إلى مصر ، وكانت أمانيه فى أن ينمى ثقافته العربية القدي
ويطعمها بثقافة عربية حديثة وكانت نواياه وآماله تدور حول الدراسة فى الأز
ودار العلوم :

أنكوصـــا عن بلاد قد حوت أزهـرا و (الـدار) ينبـــوع الحك

ولكن ما أن نزل إلى القاهرة حتى تغيرت وجهته ووجه وجهة اخرى حي
التحق فى عام ١٩٣٤ م بكلية الآداب قسم اللغة الانجليزية بجامعة فؤاد الأو

(١) مجلة أبوللو عدد يوليه سنة ١٩٣٤ م المجلد الثالث

وأمضى فيها أربع سنوات وتخرج منها عام **١٩٣٩** م[١] .

ولم يكتف باكثير بهذه الدراسة ، فقد كانت الآمال والطموحات تراوده بأن يكون مربيا كبيرا ورائدا من رواد النهضة العلمية فى بلاده عندما يعود إلى وطنه ويساعد فى تنشئة النشء وتربية الجيل الجديد فالتحق بمعهد التربية للمعلمين حيث تخرج منه عام **١٩٤٠** م بعد أن نال دبلومه العالى .

وكان من المتوقع أن يعود شاعرنا إلى وطنه حضر موت ليساعد فى نهضتها العلمية وليحقق ما كان يدور فى فكره من أمانٍ وأحلام فى أيام الصبا :

فنعيد العهد اذ نرعى الصبا فى جوار النيل لا نخشى اللوم
ثم نجنى ما يرقى شعبنا من علوم وفنون وهمم
ثم نمسي بعد فى أوطاننا موقظى أمتنا بين الأمم[٢]

ولكنه أحب مصر وأهلها واستقر فيها وكان فى استقراره بها فى رأينا دوافع وأسباب منها :

أن باكثير قد حاول الاصلاح وحاول النهوض ببنى جنسه ولكنه فشل وتعرض لحملات شديدة كانت سببا من أسباب هجرته .

ان الاستعمار الانجليزى باسط نفوذه فى حضر موت وله تأثيرات مستورة وأياد خفية ، وهذه الدسائس التى من تحت الستار يصعب محاربتها وهو يصرف بعض المتدثرين بدثار الدين والاصلاح .

---

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ، طبعة بيروت ١٩٦٦ م
(٢) العدنيات (مخطوط)

ان شاعرنا قد تطورت فكرته وتبلورت وطنيته فهو يرى أن الوطن العرب
كله موطنه حيثما حل وأين ما ارتحل ، لذا فقد انخرط فى سلك التدريس بوزا
المعارف بمصر ليساعد ويسهم ولو بمجهود ضئيل فى تنشئة جيل جديد من أبن
مصر يساعد فى قيادة الأمة العربية ، ونهوضها وتطلعاتها نحو مستقبل أفض
وحياة حرة كريمة .

أن باكثير قد تحول من شاعر إلى كاتب مسرحى . وهذا اللون من الأدب
يكن له وجود فى العالم العربى سوى مصر . ذلك أنه لا توجد مسارح ولا ممثلو
الا فيها فكان طبيعيا بكاتب مثله يريد أن يعبر عن أفكاره الثائرة أن يستقر
هذا البلد .

زواجه من مصـــر[1]

أحب باكثير مصر حبا جما . أحبها قبل أن يراها وكلف بها بعد أن رآ
واستقر به المقام فيها . وعشقها عشق الواله المستهام وكان معجبا بها اعجا
كبيرا ويرى أنها قمينة بزعامة الأمة العربية لهذا فقد عقد العزم على أن يست
فيها إلى النهاية .

وقد اختار له زوجاً منها من عائلة محافظة ، كانت مثالا للاخلاص والوف
والتشجيع . وكانت هذه المرأة التى اختارها زوجة له قد سبق لها الزواج من رج
آخر ، أنجبت له بنتا ثم تزوجها باكثير .

---

(١) ذكرت زوجة باكثير أن زواجها كان سنة ١٩٤٣ م

نشاطه الأدبي والثقافي

قدم الشاب على أحمد باكثير إلى مصر فى فترة من فترات الازدهار الأدبى والثقافى . والنهضة الأدبية والثقافية فى أوج مجدها وفى عنفوانها فألقى شبكته فى وسط هذا الخضم وأخذ يتصل بكبار الأدباء ويحتك بهم ويتلقى منهم .

وكان باكثير فى أول عهده بالحياة الأدبية فى مصر ذا شخصيتين منفصلتين ، شخصية أدبية محافظة ، وشخصية أدبية منطلقة متطلعة إلى التجديد ، فكان ينشر شعره الوطنى والاسلامى فى (مجلة الفتح) و (المسلمون) وينشر شعره المتجدد فى موضوعاته وألفاظه ، والشعر الغزلى فى مجلتى (أبللو) و (الرسالة) .

وقد كان انتاجه الأدبى خصبا فى هذه الفترة ، ووفيرا إلى أن توقف عن قرض الشعر فى حدود عام ١٩٣٦ وتحول من الشعر إلى النثر(١) .

وقد تلون بعد ذلك انتاجه الأدبى منذ سنة ١٩٤٠ فلم يعد شاعرا فحسب بل كان شاعرا وناثرا ، فكتب المسرحية وكتب القصة وكتب المقالة .

وقد بدأ نشاطه الأدبى وهو طالب فى الجامعة فنشر مسرحية (همام أو فى عاصمة الأحقاف) كما أخذ ينشر شعره فى كبريات المجلات من أمثال (الرسالة للزيات) ومجلة (الفتح لمحب الدين الخطيب) ومجلة (أبوللو) للدكتور أحمد زكى أبو شادى وغيرها كما ترجم الشاعر فى اثناء دراسته فى الجامعة مسرحية (روميو وجوليت) لشكسبير بالشعر الحر ، كما ترجم أجزاء من (الليلة الثانية عشره) لشكسبير أيضا . ولكنه صاغها بالشعر العمودى .

---

(١) يبدو أن الشاعر أعطى لنفسه فسحة من الوقت بعد تقدمه فى الدراسة الجامعية للتحصيل العلمى أولا ، ولمراجعة حساباته حول مفهوم الشعر ثانيا .

وبعد تخرجه من الجامعة انخرط فى سلك التدريس وانتقل إلى المنصورة وهناك واصل نشاطه فكتب مسرحية (اخناتون ونفرتيتى) بالشعر المرسل و (الثائر الأحمر) و (سلامة القس) وغيرها .

ثم انتقل باكثير إلى القاهرة من المنصورة فى حدود عام ١٩٥٠م لأنه شعر بأنه مغمور هناك ـ كما تقول زوجته ـ وفى القاهرة واصل نشاطه بهمة وعزم ولمع نجمه ككاتب مسرحى مرموق وكان له دور فى انشاء المسرح الشعبى ، وضاعف من نشاطه فى هذه الفترة خصوصا بعد أن حصل على الجنسية المصرية[١] . وقد مثلت بعض مسرحياته على خشبة المسرح .

وقد شارك باكثير فى مؤتمرات أدبية وثقافية كثيرة خلال اشتغاله فى وزارة الارشاد ، وكان عضوا فى لجنة الشعر والقصة بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب كما كان عضوا فى نادى القصة الذى أنشأه يوسف السباعى . وقد حصل على منحة التفرغ لكتابة ملحمة عن حياة الخليفة الثانى عمر بن الخطاب .

ونتيجة لهذا النشاط الثقافى والأدبى فقد حصل على أحمد باكثير على عدة أوسمة وجوائز ففى عام ١٩٦٢ م حصل على جائزة الدولة التشجيعية للآداب والفنون كما حصل على وسام العلوم والفنون تقديرا من الرئيس جمال عبد الناصر .

وفى عام ١٩٦٣ حصل على وسام عيد العلم ، كما حصل على وسام الشعر فى المهرجان الذى اقامته محافظة الجيزة ، تكريما لذكرى الشاعر أحمد محرم .

---

(١) يذكر زوج ربيبته أنه حصل على الجنسية المصرية سنة ١٩٥٣ م .

حـــلاته :

وكان باكثير ميالا إلى الرحلة والتنقل فقد كانت له رحلات ثقافية وأدبية
ثيرة .

ففى عام ١٩٥٤ م سافر إلى فرنسا فى بعثة دراسية حرة . وفى سنة ١٩٥٦ م زار رومانيا والاتحاد السوفيتى عضوا فى وفد أدباء مصر بدعوة من اتحاد كتاب لقطرين المذكورين . وفى سنة ١٩٥٨ م سافر إلى طشقند حيث مثل الجمهورية لعربية المتحدة فى مؤتمر كتاب آسيا وافريقيا الأول(١) .

وقد كثرت تنقلاته واسفاره فى عام ١٩٦٩ م وكأن ذلك إيذاناً بقدوم أجله ومقدمات للرحلة الطويلة ففى هذا العام سافر إلى العراق حيث شارك فى مؤتمر لأدباء العرب السابع المنعقد فى بغداد فى الفترة ١٩ ـ ٢٢ ابريل . كما سافر إلى تركيا للتعرف على مدينة القسطنطينية وأسوارها حيث راودته فكرة كتابة ملحمة عن حصار المسلمين لها . كما سافر إلى لندن فى أول زيارة له لبريطانيا وأخيرا فقد زار عدن وحضر موت حيث كانت تراوده فكرة العودة إلى وطنه الأصلى وألقى هناك بعض الأحاديث فى التليفزيون وبعض المحاضرات ولكن الأوضاع لم تعجبه فعاد إلى القاهرة .

باكثير فى أخريات حياته

أحب باكثير مصر ولم يتنكر لها ، ولم تنكره ، وقد أعطته الكثير من الشهرة ومن ذيوع الصيت ولكن بعضا من أهل مصر أو قل ضعاف النفوس من أهلها

(١) شعراء اليمن المعاصرون ، ص ٢٢٧ ، لهلال ناجى ، بيروت .

تنكروا له وانكروه كطائر غريب مهاجر وقد نال منهم فى أخريات حياته كثيرا من الجحود والنكران والمضايقات وخصوصا بعد نشر مسرحية « حبل الغسيل » :

« ..... وفى الأعوام الأخيرة لم يعرف له مكتبا أو وظيفة ، مع أنه كان من المعتقد أنه سيزدهر فى وزارة الارشاد ، الا أنه حين نقل إلى مصلحة الفنون ـ وقد كان جهيرا فى هذه الفترة ـ طلب منه أن يتأنى فى تقديم أعماله حتى لا يتهم العاملون فى المصلحة باستغلال النفوذ ، ثم كان تجاهل (المسرح القومى) له بعد أن كان فارسه الذى لا يبارى ، ولقد قابل هذا التحدى بتحد من نوع آخر فعكف على العديد من مسرحياته ثم كان يسعى سعيا حثيثا لدى المسئولين واللجان ولكن جهده قد ضاع لأنه كان هناك تصميم على تنحية باكثير عن عرشه المسرحى ، ثم كان اتجاهه إلى نشر ما يكتب للمسرح ومع أن ثلاثة أعمال نشرت له الا أن عملين منهما لم يغادرا المطبعة إلا إلى المخازن »[(١)] .

كان حزنه لهذا النكران عظيما ، وأسفه شديدا ، وقد أحس (باكثير) بكل هذا وكأنى به يشير بالبنان إلى نفسه ويشكو حاله ويبث همومه حين وقف يتحدث عن دور الأديب فى المعركة فى مؤتمر الأدباء العرب السابع حيث يقول :

« بل ان كثيرا ممن يحملون هذا الوجه الأول (اليسارى) من مثقفينا كانوا أداة تنفير من هذه الدول الاشتراكية الصديقة ، وتوهين للروابط بيننا وبينها ، بما يمارسونه فى مجتمعنا الأدبى والفنى من ارهاب فكرى وتواطؤ منسق على اضطهاد الكفايات الأدبية والفنية التى لا تنتسب إلى شلتهم » .

« .... وبين أدبائنا هؤلاء الذين يحملون هذا الوجه المستعار ، والذين لا ينسون أحقادهم الصغيرة حتى فى أحرج الأوقات عقب النكسة حيث يجب

---

(١) مقال للدكتور عبده بدوى فى مجلة الهلال العدد ١١٢ لسنة ١٩٧٤ م

ناسى الخلافات كلها ليتفرغ الجميع للمعركة »[1] .

وقد كان يقصد باكثير بهذا الحديث فى اعتقادى اولئك الكتاب الذين يسمون أنفسهم باليساريين وكانوا يحاربونه لتمسكه بإسلامه وعروبته ويرون فيه ـ من وجهة نظرهم ـ مثالا للفكر الرجعى .

بدون شك أثرت فى نفسية باكثير تلك المضايقات التى كان يلقاها من بعض مراكز القوى من نسيان واهمال وتجاهل . واهتزت شخصيته الأدبية والعربية . حتى أنه وهو العربى الصميم والمتحمس للعربية والناطقين بها فكر فى أخريات حياته أن يكف عن الكتابة باللغة العربية ويكتب باللغة الانجليزية التى كان يجيدها .

وقد وصل بباكثير التفكير أخيرا فى أن فكر فى العودة إلى موطنه الأصلى ـ حضر موت ـ بعد أن عزل عن الحياة الأدبية والفنية فى مصر . الا أنه عدل عن هذه الفكرة بعد زيارة قصيرة قام بها لعدن وبعد وقوفه على الأوضاع هناك .

« وأخيرا .... فقد كان باكثير عازما على الهجرة من مصر فى الفترة الأخيرة ، ولقد كان من أقواله لأن أكون راعى غنم فى حضر موت ، خير لى من هذا الصمت المميت ، ولم يهدأ هذا الخاطر فى نفسه الا حين زار وطنه أخيرا ثم عاد مهرولا وهو يقول لقد ذبحونى فى كل العالم العربى حين ذبحونى هنا »[2] .

ثم وصل به التفكير إلى الاستقالة من عمله فى القاهرة والذهاب إلى الكويت للاشراف على طباعة مؤلفاته ثم التردد من وقت لآخر على بريطانيا حيث عرض عليه الكتابة للاذاعة البريطانية كما عرض عليه المستشرق الانجليزى « سرجنت » تدريس الأدب العربى فى جامعة كمبردج بمرتب مغر .[3]

---

(١) مؤتمر الأدباء العرب السابع عام ١٩٦٩ م ، ص ١٣٥

(٢) مجلة الهلال العدد ١١٢ لسنة ٨٢ ديسمبر ١٩٧٤ م مقال الدكتور عبده بدوى

(٣) عن عائلة باكثير فى القاهرة

وفـــاته :

من جراء كل ما تقدم تكالبت الأحزان على باكثير ، واشتد به الكرب وك
يظهر القليل من ضيقه بهذا الوضع الذى هو عليه أما الكثير فكان يخفيه
أعماقه ، ولكنه ما لبث أن أثر على نفسيته وصار يضطرب اضطرابا شديدا ويث
لأتفه الأسباب ويصاب بقلق مزعج خصوصا عند بدء الموسم المسرحى . وليد
الأمر كان كذلك فقد أصيب باكثير بأزمة قلبية كانت تعاوده فى آخر أيامه . و
فاجأته فى مصيفه برأس البر ولكنه أسعف منها . وما لبثت أن لاحقته فى القاه
فأسلم الروح لباريها بعد رحلة فى الحياة حافلة بالأعمال الخالدة . وكان ذلك
غرة رمضان عام ١٣٨٩ هـ الموافق ١٩٦٩/١١/١٠ م وقد دفن بمدافن الام
بمصر فى مقبرة عائلة زوجته المصرية رحمه الله رحمة واسعة .

ملامح من شخصيتـــه

كان باكثير رقيق الشعور انسانا يظهر ذلك من الصدمة النفسية التى أثر
عليه بوفاة زوجته الأولى . وقد حكت لى زوجته المصرية : « أنه اذا مرضت
ألمت بى وعكة خفيفة كان يضطرب اضطرابا شديدا ويسهر قلقا إلى جانبى وك
انسانا وفيا مع كل أصدقائه ومريديه » كما كان كثير الفخر بنفسه وبأهله
بالعروبة أجمع معتزا بنفسه وبشخصيته فى غير كبر ولا خيلاء .

وهو مع ذلك رجل مبادىء لا يحب أن يسىء إلى أحد كما انه لا يحب أن يسى
إليه أحد ولا يحب التملق لرجال المناصب كما انه يكره الوساطات وكان نص
الحق ثابتا عليه لا يخشى فيه لومة لائم :

ـدأى ثابـت وقلبـى شجاع ويراعـى حر وفـكرى طليق
أقـول الـذى اعتقـادى سواه وبمثلى أوهامهـم لا تليق
طيق احتمال كل أذى فى الـ حق لكن لكتمـه لا أطيق
بـى الآن خافـق وسيبقى ينصر الحـق ما استمر الخفوق[1]

وقد كان باكثير صلبا لا يتزعزع عن آرائه مهما كانت نتائجها :

« ولو كان باكثير من (بهلوانات) الأدب لفتح الله عليه أبواب الخزائن ، لكنه كان رجل مبادىء ضنينا بكلمته أشد الضن يرفض أن تمتد يد إلى آثاره حذف أو تحوير كائنة ما كانت هذه اليد »[2] .

كما كان وفيا صدوقا :

« لم يكن يجول فى تقديرى أن قد حرمت بذلك لقاء الوداع مع رجل متناهى لوفاء ظل يذكرنى بكلمة طيبة قلتها فيه خمسة وعشرون عاما ، وكان يومها فى ل الطريق »[3] .

وهو رجل بسيط فى حياته العادية متواضع ولكن فى غير خضوع ميال إلى لمرح فى حياته الشخصية يحب النكتة والتعليقات متمسكا بالقيم الدينية والخلقية هو رضى الوجه متسامح لا يعرف الحدة والغضب الا اذا مست كرامته أو كرامة لعروبة والاسلام . ولا يرضى بالضيم ولا بالخضوع فعندما حورب فى آخر أيامه ضحى بكل شىء وحارب من حاربوه . وهو غير ميال إلى المهاترات ولا المنازعات لكلامية ولهذا فقد كان يتحاشى الدخول مع من ينقدونه فى صراع خصوصا اذا

---

(١) أزهار الربى فى اشعار الصبا (مخطوط) .
(٢) مجلة الأديب البيروتية عدد يناير سنة ١٩٧٠ العدد الأول السنة ٢٩
(٣) المصدر السابق

كان النقد موضوعيا ويتعلق بصلب الموضوع أما اذا تطرق إلى شخصه فإنـ
ينبرى لذلك الناقد ويرد له الصاع صاعين .

وهو بالتالى كريم جواد فكل ما عنده ينفقه فقد حدث أن اهدى اليه الملك
فيصل رحمه الله ساعة ثمينة فرآها أحد اصدقائه فأعجب بها فأهداها اليه . وق
مات ولم يترك من حطام الدنيا شيئا يذكر .

وشاعرنا رجل يعرف قدر نفسه ويعرف قدراته وامكاناته فقد عرض عليه أ
يرأس تحرير مجلة (العربى) الكويتية عند انشائها فاعتذر عن ذلك لأنه ليس
من اختصاصه[١] .

* * *

(١) من ذكريات عائلة باكثير

الفصل الخامس:
ثقافته ومؤلفاته

بعد أن عرضنا ما استطعنا عرضه من أحداث حياة الشاعر ، وبعد ما أثبتنا ما أمكنا اثباته عن مراحل هذه الحياة من البداية إلى النهاية فإنه يحسن بنا أن نقف وقفة قصيرة نتعرف فيها على ثقافة الشاعر ومؤلفاته التى هى فى رأينا جزء من الحياة. بل هى الأخذ والعطاء فالثقافة أخذ والتأليف عطاء وبالتالى فهى ترتبط بحياة الشاعر ارتباطا عضويا فلولا هذه الثقافة التى ولدت انتاجا ضخما لما عرفنا على حياته ولما درسناها !!

ـ ثقافتــــه :

واذا فلابد أولا من الوقوف عند هذه الثقافة التى أثرت فكر الشاعر وخلقت ا ذلك الانتاج الوافر فيما بعد .

والشاعر والكاتب فى رأينا صورة لثقافته اذ أنها الموجه الرئيسى والرافد الهام للموهبة والنبع النمير الذى يغذى هذه الشاعرية . ولهذا فعلينا أن نتلمس أثر هذه الثقافة فى شعره وأن نقف على هذه المشارب المتعددة وأن نضع أيدينا على أطوار هذه الثقافة ومراحلها وأن نتعرف على مصادرها .

وثقافة شاعرنا على أحمد باكثير قد مرت بثلاث مراحل رئيسية كانت لكل مرحلة طابعها وميزتها . وهذه المراحل هى :

المرحلة الأولى : مرحلة الدراسة الأولية ومرحلة الاطلاع على كتب التراث العربى القديمة .

**المرحلة الثانية : مرحلة الفترة التى قضاها الشاعر متنقلا فى بلاد كثي
حتى قدم إلى مصر فى عام ١٩٣٤ .**

المرحلة الثالثة : مرحلة نزوله مصر ومرحلة الدراسة الجامعية واطلاعه ع
آداب الفرنجة واحتكاكه بجهابذة الأدب فى مصر . واطلاعه على الأد
الحديث .

هذه المراحل الثلاث التى هى مراحل حياته ينصب عليها البحث للتعر
على ثقافة الشاعر . ذلك أن لكل مرحلة من هذه المراحل طابعها الخاص وان ك
لا نستطيع ان نفصل بين المرحلة الأولى والثانية لأنه فى هاتين المرحلتين كان
ثقافته عربية بحتة غير أنه قد طرأ فى المرحلة الثانية شىء من التطور فى ثقافته
ولهذا فهى تختلف بعض الاختلاف عن سابقتها .

وبعد هذا فإنا سنعرض بشىء من البسط والايضاح لهذه المراحل الثلا
وسوف نحاول ابراز ميزة كل مرحلة .

المرحلة الأولى فى حضر موت

هذه المرحلة التى نحن بصدد الحديث عنها هى مرحلة الدراسة الأول
ومرحلة التلقى من الأساتذة ، ومرحلة الاطلاع وبدء التكوين الثقافى وهى ع
شقين : شق دراسى يتلقاه من الأساتذة ومن الكتب التى تدرس له ، وشق كا
يطالعه حسب ميوله ورغبته فالشق الدراسى كان مزيجا من العلوم العربية والدين
حيث إن الدراسة بالنسبة للعصر الذى نشأ فيه باكثير ودرس فيه لا تستند إ
منهج محدد وانما كانت خليطا من الأدب واللغة والفقه والأصول والفلسفة والمنط
والبلاغة إلى غير ذلك من العلوم العربية وكان الطالب فى هذه الدراسة يكلف

بحفظ كتاب (الزبد) فى الفقه وكتاب (ألفية ابن مالك) فى النحو ... إلى غير ذلك من حفظ المتون وكانت الدراسة حرة على نشاط الطالب ونبوغه .

وقد حفظ شاعرنا هذه المتون وأقبل عليها اقبال الطالب المجد النشيط المتعطش إلى المعرفة الذى يريد أن يعرف كل شىء . وقد أفاد من هذه الدراسة افادة كبيرة حيث كانت الأساس المتين الذى بنى عليه ثقافته العميقة فيما بعد .

أما بالنسبة للأساتذة الذين تلقى عنهم هذه العلوم ودرس على أيديهم فقد كانوا غزيرى العلم متعمقين فى هذه العلوم غير أن ثقافتهم محصورة فيها فهم لا يعرفون العلوم الأخرى ولا يؤمنون بها وكل همهم الاقتداء بالسلف الصالح فى كل ما خلفوا والتركيز على الجانب الدينى ، ولهذا فإن الشاعر قد تأثر بالدراسة والأساتذة فقد كانت ثقافته فى هذه الفترة ثقافة محافظة محدودة جامدة عربية بحتة .

واذا كنا قد عرفنا هذه الدراسة التى كان يدرسها الشاعر وما لها من أثر فى تكوينه الثقافى فإنه جدير بنا أن نتعرض للجانب الآخر من هذه الثقافة الأولية وهو اطلاعه ومجهوده الذاتى الذى كان يحصل عليه حسب ميوله وهواه .

وهذا الجانب هو اطلاع باكثير وقراءته الواسعة فى كتب التراث العربى . وقد كان من شغفه بكتب التراث أنه كان يسهر فى بعض الليالى على مصباح زيتى لينقل بعض المخطوطات التى لم يتيسر له الاطلاع عليها .

وفى هذه الفترة قرأ الشاعر (للمتنبى) و (امرىء القيس) وتأثر بهما كما قرأ لشعراء العصر العباسى وكان يعجب بابن المعتز كما كان يقرأ نتفاً من الأدب الحديث .

وقبل هذه الدراسة وهذا الاطلاع فقد قرأ باكثير القرآن الكريم وحفظه أو حفظ بعضا منه . ولا شك فى أن حفظ القرآن الكريم يعتبر ثروة ثقافية ضخمة لا

يمكن أن تعادلها ثقافة عربية اخرى .. وقد تأثر شاعرنا بالقرآن الكريم تأثراً عظي ظهر فيا بعد فى معظم كتاباته .

ومن هنا يتبين لنا أنه بحفظه للقرآن الكريم وبقراءته لهذه المتون المتعددة واطلاعه على الأدب العربى القديم قد وضع أساسا لثقافة متينة وكون له قاعد عريضة من اللغة والتمكن من علومها والوقوف على أسرارها حتى أن ثمار هذ الثقافة قد ظهرت مبكرة فى قرضه الشعر وهو فى سن الثالثة عشرة .

غير أن شعره فى هذه المرحلة بالذات كان صورة لثقافته فإنه نسخة من شع السابقين مليئا بالتضمينات والتشطيرات وقد ظهر عليه طابع التقليد والمحاكاة وهو طابع هذه الثقافة . ولاشك أن هذا التشبع قد صهر شخصيته فى هذه المرحلة وأذابها فى شخصيات القدماء فهى لا تبان لنا الا فى القليل النادر من أشعاره .

أما الثقافة الدينية فقد ظهر تأثيرها فيه فيا بعد عندما كتب روايته « الثائ الأحمر » فإن القارىء لهذه الرواية يجد مسائل فقهية دقيقة واستشهادات بالقرآن الكريم والحديث النبوى الشريف .

المرحلة الثانية : رحلاتـــه

عرفنا فى المرحلة السابقة أن ثقافة باكثير محصورة ومحدودة فى التراث العربى القديم وفى الدراسات الدينية .

أما فى هذه المرحلة فقد كثرت رحلات الشاعر وتعددت تنقلاته فى بعض الأقطار الأفريقية والعربية . فازدادت بذلك تجاربه وخبراته ، وتوسعت معارفه ، وتفتحت مداركه . فرأى بيئات متنوعة ، وشاهد مجتمعات مختلفة ، ووقف على عادات وتقاليد لشعوب عديدة . ولاشك أن كل هذه الأمور قد أثرت فيه وأكسبته

لونا جديدا من الثقافة والدراية بأحوال هذه البلدان وبمجتمعاتها .

وقد أخذ باكثير منذ أن استقر فى الحجاز يكد ويجهد نفسه ويحث السير طلبا للعلم والمعرفة ففى الحجاز تهيأت له الظروف وأخذ يطلع بتوسع على الكتابات الحديثة وقد يسر له ذلك قربه من مركز الثقافة فى العالم العربى ـ مصر ـ فاتصل بهذه الثقافة الجديدة ووقف على نتاج كتابها الكبار وتعرف على آرائهم عن كثب .

وقد تأثر فى هذه المرحلة بكتابات كتاب مصر الكبار من مثل شوقى والعقاد وطه حسين وغيرهم كما تأثر بالنهضة الأدبية الحديثة فى العصر الحديث .

وان كنا لا نستطيع أن نميز هذه المرحلة عن المرحلة الأولى الا انا بدون شك نلمح هذا التأثر الثقافى ونقربه ونلمسه فى كتاباته . وقد ظهر هذا التأثر الثقافى أول ما ظهر فى اطلاعه على مسرحيات شوقى الشعرية وتأثره بها فقد كتب مسرحية (همام أو فى عاصمة الأحقاف) على غرار مسرحيات شوقى وهو يعترف بذلك فلنستمع اليه يقول :

« .... وفى المحدثين أحمد شوقى غير أنى لم يتح لى الاطلاع على شيء من مسرحياته الا بعد ما رحلت عن حضر موت فأقمت برهة فى الحجاز فكانت مسرحيات شوقى هى أول ما عرفت من هذا الفن المسرحى »

« كان لاطلاعى على هذه المسرحيات الشوقية أثر كبير فى نفسى فقد هزنى من الأعماق وأرانى لأول مرة فى حياتى كيف يمكن للشعر أن يكون ذا مجال واسع فى الحياة حين يخرج عن نطاق ذاتية قائله إلى عالم فسيح يتسع لكل قصة فى التاريخ أو حدث من الأحداث »(١) .

---

(١) فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية ، ص ٦ ، طبعة دار المعرفة .

واذا كان باكثير فى حضر موت معجبا بالمتنبى ومتأثرا به فانه فى هذه المرحلة معجبا أشد الاعجاب بشوقى وليس هذا الاعجاب مقصورا على المسرحيات بل تعداه إلى كل شعره فقد نظم فى هذه الفترة أيضا قصيدة طويلة تبلغ (٢٦٢) بيتا على غرار (نهج البردة) سماها « نظام البردة أو ذكرى محمد ﷺ » وهو فى افكارها ومعانيها يتبع شوقى ويحاكيه فى تضمينها روح العصر ومشاكل المجتمع الاسلامى ولا ينحو نحو البوصيرى .

اذن فقد كانت هذه المرحلة عبارة عن تفتح لاكمام فكره وتوسيع لمداركه حيث إنه أخذ يطلع على الأساليب الحديثة والكتابات الجديدة بواسطة الكتب والمجلات المصرية وكان من أثر ذلك أن بدأ يكتسب الخبرة والمران والذوق الأدبى الحديث ، وبدأ يخرج من الدائرة التى حصر نفسه فيها فى الأدب القديم وشعر الشعراء القدامى إلى فضاء أوسع وإلى أفق أرحب .

وقد كانت هذه المرحلة ايضا بمثابة همزة الوصل بين الثقافة القديمة فى المرحلة الأولى وبين الثقافة الجديدة فى المرحلة الثالثة وقد كانت نقلة فى حياته الثقافية طورت مفاهيمه ونظراته . ومن ثم فهى مرحلة تفاعل فكرى وتمازج ثقافى بين الأساس القديم وبين البناء الحديث ، ومرحلة تفتح وتشبع ، ومرحلة تقبل وهضم وانفتاح وشهية لطعام فكرى جديد ، لهذا فقد أثرت فى تكوينه الثقافى تأثيرا كبيرا .

المرحلة الثالثة : فى مصـــر

قلنا أن المرحلة الأولى كانت مرحلة وضع الأساس الثقافى للشاعر وهى مرحلة التكوين الأولى .

أما المرحلة الثانية فقد كانت مرحلة الانفتاح وهى بمثابة همزة الوصل بين الثقافة
أولى والمرحلة الثالثة أو بمثابة ارهاص وفتح مسالك للثقافة الجديدة .

أما هذه المرحلة التى سنتحدث عنها فهى أهم مرحلة فى تعميق ثقافة الشاعر وسيعها فهى مرحلة الدراسة الجامعية ، ومرحلة الاطلاع على آداب الغرب نونه ، ومرحلة الصراع الفكرى والثقافى الدائر فى مصر ، ومرحلة الوقوف على نهضة الأدبية وعلى ازدهارها . ومن ثم فهى مرحلة الممارسة الفعلية بفنون الأدب وقوف عليها بجميع مذاهبها واتجاهاتها .

وتبدأ هذه المرحلة منذ قدوم باكثير إلى مصر والتحاقه بالجامعة المصرية إسته للأدب الانجليزى :

« كانت ثقافتى الأولى عربية خالصة وظلت كذلك حتى حضرت الى مصر زمت على أن أدرس الأدب الانجليزى لما بلغنى أنه غنى بالشعر الرفيع فقد انت غايتى اذ ذاك بعد أن أصقل موهبة الشعر عندى وأعد نفسى لأكون شاعرا بيرا وعسى ان تفتح لى هذه الدراسة آفاقا جديدة فى الشعر . فالتحقت بقسم لغة الانجليزية فى كلية الآداب بجامعة القاهرة وما ان سلخت عاما فيها حتى جدتنى فى بلبلة نفسية من حيث نظرتى الى الشعر الذى كنت أنظمه وأنشره فى صحف فقد غيرت هذه الدراسة من نظرتى لمفهوم الأدب كله .

فأخذت أعيد النظر فى المقاييس الأدبية التى كانت عندى من أثر ثقافتى ربية »[1] .

اذن فقد حدث شىء جديد فى هذه المرحلة أثر على المرحلتين الأوليين وجعل شاعر يغير مقاييسه الأدبية ويغير مفاهيمه للأدب العربى من جراء هذه الثقافة

---

(١) فن المسرحية من خلال تجاربى الشخصية ، ص ١٨ ، طبعة دار المعرفة .

الانجليزية الحديثة . ومن تأثره بهذه الثقافة فقد كتب مسرحية (اخناتون
بالشعر المرسل .

وقد اطلع باكثير بعد ذلك على الأدب الانجليزى بصفة خاصة وعلى الأد
الأوروبى بصفة عامة وتأثر به وبكتابه الكبار من مثل (برنارد شو
و (ديكنز) و (ابسن) و (موليير) وقد تأثر (بشكسبير) بصفة خاصة .

« وكان يستهوينى بوجه أخص شكسبير ولعل مرجع ذلك ـ بالاضافة إ
مكانته فى هذا الفن (المسرح) ـ أنه شاعر وأنا كنت إذ ذاك مازلت اعتبر الش
ميدانى الأول فلا غرو أن أفتن بشكسبير »[1] .

فالشاعر فى هذه المرحلة قد درس اللغة الانجليزية وكان يجيدها قراءة وكتا
مكنته من اطلاع واسع ومكثف على الأدب الأوروبى كما كان يلم باللغة الفرنس
الماما بسيطا .

ولكن هذه الثقافة الغربية لم تطغ ولم تمح الثقافة العربية بل ظلت راسخ
ودفعت بباكثير للاستزادة فقد عكف على قراءة التاريخ ودراسته وبالأخص
التاريخ الاسلامى حتى انه من تأثره بالتاريخ كانت أكثر كتاباته مستوحاه م
التاريخ الاسلامى وكان للجو الثقافى السائد فى الفترة التى قدم باكثير فيها إ
مصر أثر كبير فى اطلاعه الواسع فقد كان جو تنافس ثقافى وجو رغبة فى الدرس
والتحصيل ولهذا فانك لا ترى باكثير الا قارئا أو كاتبا كما يقول زوج ربيبته
ولعل من أهم العوامل التى أثرت فى تكوينه الثقافى هو احتكاكه بجهاب
الأدب والثقافة فى ذلك الوقت من مثل : العقاد والمازنى والزيات وأبى شاد
وغيرهم .

---

(١) نفس المصدر .

ومن هنا يتضح لنا أن باكثير قد انضم إلى فريق الثقافة الانجليزية وكان
تكاكه بهم وارتباطه أشد .

وبعـــــد ....

لعلنا بهذا قد أنهينا الحديث عن ثقافة الشاعر وعن العوامل التى أثرت
ساعدت فى تكوينه الثقافى . ووقفنا على الكثير من مشارب الشاعـر ومنابـع
حصيله الثقافى والأدبى وتعرفنا على هذه الآفاق الثقافية التى كان يلم بها وتلمسنا
ى تأثر بهم أو أثروا فيه .

ـ مؤلفاته :

تحدثنا فيما مضى عن ثقافة الشاعر وقلنا أن هذه الثقافة العميقة الواسعة
انت رافدا لمواهب باكثير وامكاناته وقد غذت هذه الثقافـة مواهبـه فأثـرت
خرجت لنا هذا الانتاج الضخم الذى يبلغ فى مجموعه خمسين مؤلفا أو يزيد بين
سور ومخطوط .

وقد نوعت هذه الثقافة هذا الانتاج ولونته بألوان مختلفة غير أن الطابـع
قومى والوطنى يغلب على أكثره . فهو قد كتب بعض هذه الأعمال مستوحيا لها
ن التاريخ ، وكتب بعضها من مشاكل السياسة ، وكتـب البعض الآخـر فى
شاكل المجتمع ونقده . وانتاج باكثير الأدبى أيضا متنوع فهو لم يحصر نفسه فى
وع معين وان كان الجانب المسرحى هو الغالب فى انتاجه . فهو قد كتب الرواية
المسرحية بقسميها الشعرية والنثرية كما كتب شعرا كثيرا بعضه نشر فى الصحف
لمجلات والبعض الآخر لازال مخطوطا .

ومؤلفات باكثير تنقسم الى القسمين المعروفين فى الأدب نثرية وشعرية فأما
نثرية :

أ ـ الرواية :

١ ـ سلامة القس . وقد مثلتها أم كلثوم فى فيلم سينمائى .
٢ ـ وإسلاماه . وقد مثلت أيضا .
٣ ـ ليلة النهر .
٤ ـ الثائر الأحمر .
٥ ـ سيرة شجاع .

وكل هذه الروايات استوحاها واستمد حوادثها من التاريخ الاسلامى القد فقد استمد قصة سلامة والقس من تاريخ العصر الأموى ووإسلاماه من عص المماليك والثائر الأحمر من عصر القرامطة . وسيرة شجاع من تاريخ العص الفاطمى .

ب ـ المسرحية :

واذا كان باكثير فى الرواية عمد الى التاريخ الاسلامى خاصة فانه المسرحية تفرعت به السبل فى التأليف وتلون انتاجه بألوان شتى ومن ه الألوان :

المسرح الاجتماعى :

هو تلك المسرحيات التى ألفها الأديب واستمد حوادثها من المجتمع وم عاداته وتقاليده واستخلصها من حياته والمسرح الاجتماعى أو المسرحيا الاجتماعية قليلة فى أدب باكثير وليس لدينا من تفسير لذلك إلا قوله :

« ان المجتمع المصرى مجتمع واسع وليس من السهل على كاتب مثله نش بعيدا عن المجتمع ان يستقرئه أو يلم به . ومع ذلك فقد كتب أربع مسرحيات ع المجتمع المصرى ومسرحية واحدة عن المجتمع الحضرمى وهى :

١ ـ همام أو فى عاصمة الأحقاف (مسرحية شعرية) .
٢ ـ الدكتور حازم .
٣ ـ الدنيا فوضى .
٤ ـ قطط وفيران .

المسرح السياسى :

والمسرح السياسى عند باكثير على نوعين نوع استمد حوادثه من موضوعات الساعة ونوع استوحى حوادثه من التاريخ والأساطير القديمة .

فمن المسرحيات التى استوحى حوادثها من موضوعات الساعة :

١ ـ مسمار جحا .
٢ ـ الزعيم الأوحد .
٣ ـ حبل الغسيل .
٤ ـ امبراطورية فى المزاد .
٥ ـ عودة الفردوس .
٦ ـ مسرح السياسة (مجموعة تمثيليات) .

هذه المسرحيات يعبر فيها الكاتب عن أوضاع وآراء سياسية مختلفة استوحاها من موضوعات الساعة . أما المسرحيات التى تحدث فيها عن القضية الفلسطينية والخطر الصهيونى وكان مستمدا لحوادثها من التاريخ اليهودى ومن الاساطير القديمة هى :

١ ـ مأساة أوديب (استمد موضوعها من التاريخ اليونانى القديم) .
٢ ـ شعب الله المختار .
٣ ـ اله اسرائيل .

٤ ـ شيلوك الجديد .

٥ ـ الدودة والثعبان .

المسرح التاريخى :

أما المسرح التاريخى فقد استوحى موضوعات مسرحياته من التاريخ والأساطير القديمة أيضا ومن التاريخ الحديث كما فعل فى مسرحية ابراهيم باشا وهذه المسرحيات :

١ ـ ابراهيم باشا وتشمل مسرحيتين أخريين هما :

أ ـ عمر المختار .

ب ـ فارس البلقاء (أبو محجن الثقفى) .

٢ ـ اخناتون ونفرتيتى (مسرحية شعرية بالشعر المرسل) .

٣ ـ قصر الهودج (مسرحية غنائية) أوبرا .

٤ ـ الفرعون الموعود .

٥ ـ السلسلة والغفران .

٦ ـ الفلاح الفصيح .

٧ ـ سر الحاكم بأمر الله .

٨ ـ أبو دلامة (مضحك الخليفة) .

٩ ـ سر شهرزاد .

١٠ ـ دار ابن لقمان .

١١ ـ أوزوريس .

١٢ ـ هكذا لقى الله (مجموعة تمثيليات) .

١٣ ـ شادية الاسلام .

١٤ ـ من فوق سبع سموات (مجموعة تمثيليات) .
١٥ ـ ملحمة عمر فى ١٨ جزءا .

موضوعات أخرى :

١ ـ روميو وجولييت . مترجمة عن شكسبير بالشعر المرسل .
٢ ـ فن المسرحية من خلال تجربتى الشخصية . دراسة تحليلية للتأليف المسرحى .
٣ ـ هاروت وماروت مسرحية ضمنها روح العصر من صعود الانسان الى القمر .

المخطوطات :

هذه مجموعة من مؤلفات باكثير التى نشرت ولازال هناك الكثير من المخطوطات تنتظر النور فى مكتبة الأديب ومن هذه المخطوطات :

فى الشعر :

١ ـ (أزهار الربى فى أشعار الصبا) دفتر يضم بين دفتيه عشرات القصائد الطويلة والمقاطع الشعرية . وقد رتبه الشاعر فى صباه حسب تواريخ القصائد وكتبه بخط جميل نسخ وقد أخذت (الأرضة) تلتهم هذه الكراسة حتى أن بعض الكلمات قد غابت عن الوجود .
٢ ـ (باكورة الشعر) دفتر صغير يضم القصائد التى قالها فى الفترة التى قضاها فى أندونيسيا من عام ١٣٤٥هـ ـ ١٣٤٦هـ .
٣ ـ (العدنيات) دفتر يضم مجموعة القصائد التى قالها فى عدن والصومال والحبشة .
٤ ـ (الحجازيات) دفتر يضم القصائد التى قالها فى الفترة التى قضاها فى

الحجاز .

فى النثر :

أما فى النثر فان هناك كثيرا من المسرحيات تنتظر الطبع هى :

عرائس وعرسان ـ الشاعر والربيع (مجموعة تمثيليات) ـ حزام العفة ـ ثماني عشرة جلدة ـ أحلام نابليون ـ مأساة زينب ـ شلبية ـ قضية أهل الربع ـ الوطن الأكبر (مسرحية شعرية) ـ فاوست الجديد ـ التوراة الضائعة ـ حرب السويس ـ المحاكمة .

وبعد :

هذه دراسة سريعة عن حياة الشاعر والكاتب الاسلامى الكبير على أحمد باكثير وهى دراسة عجلى ليس فيها عمق وليس فيها بسط أو تدقيق . تحدثت فيها عن نشأته ومراحل حياته ، وعن ظروفه الاجتماعية ، وثقافته ، وعن نشاطه الثقافى والأدبى . خلال رحلته فى الحياة . وكان ذلك بحسب ما قدر لى وبحسب ما تأتى . والحقيقة أن حياة شاعرنا حياة غامضة فهو لم يسجل أحداث هذه الحياة فى كتاب ولم يكتب عنه أحد ممن عاصروه وعاشروه ، وكل ما لدينا من حياته هى خطوط عريضة لا تفسح الطريق أمام الدارس أو توضح له المسالك .

ولقد استخلصت فى دراستى هذه بعض حوادث حياته من شعره وبعضها تلقيتها من زوج ربيبته . غير أنى أعترف أن هذا الجهد الذى بذلته فى كل ما حصلت عليه من معلومات لم يكن وافيا . ولم يكن مقنعا . أو كافيا فحياة باكثير تحتاج إلى دراسة أكثر والى روية فى هذه الدراسة وتدقيق والى بسط واستقصاء . فحياته ـ مثلا ـ فى أندونيسيا لم يعرفها أحد اللهم إلا بعض لمحات ذكرها فى شعره . وحياته فى الحجاز حياة غامضة لم نعرف عنها شيئا سوى أمور

امة .

ولعل مفتاح هذه الحياة ، وحوادثها لازال فى بيت الأديب باكثير وعند عائلته فان كتب شيئا فالدارسون أحق بقراءته وأحق بمعرفته وأن لم يكتب شيئا عن هذه الحياة فشعره مفتاح هذه الحياة وسرها الدفين . وبنشر هذا الشعر يمكن للدارس أن يقف على أشياء كثيرة ومفيدة تنير له الطريق وتضع أمامه معالم يهتدى بها فهم شخصية هذا الأديب ولفهم حياته وأدبه .

وأرجو أن تكون حياته أو مذكراته - ان كتب - فى طريقها للمطبعة واذا لم تكتب ولم يسجل منها شيئا فأرجو أن يكون شعره فى طريقه للمكتبة العربية فباكثير الذى برز فى النصف الأول من هذا القرن وغمرته الظروف بعد ذلك يجب أن يبرز بعد مماته ويجب ان يتولى الدارسون أدبه بالدرس والتحليل والتوضيح وليس من سبيل الى ذلك إلا بنشر شعره وبنشر كتاباته وبالتالى نشر حياته .

* * *

توطئة وطنية باكثير

أصيبت الأمة العربية والاسلامية خلال القرون الماضية بتفتت وانحلا
داخلى ، وأصبحت أشلاء وأجزاء لا يجمعها رابط إلا أصداء العروبة من الماض
وهذا الدين القويم ، وظلت تسير من سىء الى اسوأ فى تفسخها وانحطاطها حت
تعمق كل ذلك فى كيانها ، وتغلغل فى نفسيات مجتمعاتها ، وأصبح التواك
والطبقية ، والمحسوبية والانهزامية تنخر فى هذه المجتمعات كما ينخر الدود
الرمم .

وقد خلقت كل هذه الأوضاع السابقة ركاما من السلبيات البغيضة المدم
مثل : الجهل ، والفقر والمرض والتأخر ، كما عمقت الاقليمية ، والانطوائي
والسلبية ، وبالتالى أدت الى الضعف والتفكك .

ظلت الأوضاع فى العالم العربى مشرقه ومغربه على هذا الحال الى أن قد
جمال الدين الأفغانى الى مصر وبدأت معالم النهضة الحديثة تبرز وبدأ الشر
العربى يستيقظ من سباته العميق على يد الامام الشيخ محمد عبده وغيره م
رجالات هذا العصر . فكان هذا الاستيقاظ بمثابة الضوء الذى انار الطريق وكا
معلما من معالم الهداية الى فجر العلم من بعد ليل الجهل المظلم . وكان ارهاص
بتفجير الوعى القومى والنهوض ، واشعال الشعور الوطنى . وتأجيج الاحساس
بالانتماء الى العروبة والنظر الى الاسلام نظرة وضوح وفهم لا نظرة غموض
وتقليد .

ونتيجة لاستيقاظ الشعور والاحساس بالعروبة فقد حاول العرب فى اثناء الحرب العالمية الأولى التخلص من الخلافة العثمانية إلا أنهم ما لبثوا أن وقعوا فى براثن الاستعمار الغربى بعد ذلك الذى تقاسم تركة رجل أوروبا المريض . وكان ذلك نتيجة لسوء التخطيط وعدم الحيطة .

وكان هذا الاستعمار بمثابة الوقود الذى زاد من تأجج الاحساس والشعور الوطنى والذى ألهب الثورات فى النفوس الخامدة ، وأيقظ الأمة العربية بأسرها فهبت الثورات ضده فى كل بلد عربى . واستمر النضال حتى كلل بالنجاح فى النهاية .

وخلال هذه الفترة وما تلتها من فترات وما جد من أحداث فى النصف الأول من القرن العشرين . فقد برزت مجموعة من الشعراء والأدباء الغيورين على العروبة والاسلام وظلوا يناضلون ويذودون عن حمى العروبة والاسلام بكل ما يملكون من قوة .

وكان هؤلاء الأدباء فريقين :

فريق اقليمى أو عربى بحت وهؤلاء من العرب النصارى ومن الكتاب الذين لم يدرسوا ولم يتعمقوا الفكر الاسلامى . أو لتأثرهم بالثقافة الغربية والأفكار المستوردة .

وفريق اسلامى فى اتجاهه عربى الهوى فى مفهومه وهؤلاء من الأدباء والشعراء الذين نشأوا نشأة اسلامية وتعمقوا فى الاسلام وفى الفكر الاسلامى ، وتربوا على أخلاق الاسلام وعاشوا بقيمه ومفاهيمه . وكان من بين هؤلاء الاستاذ اسعاف النشاشيبى ، ومحب الدين الخطيب ، وشكيب أرسلان ومحمد رشيد رضا ، وغيرهم من أدباء الاسلام والعروبة فى الوطن العربى كله . من أمثال شاعرنا على أحمد باكثير .

وعلى يد افكار هذا الفريق (الثانى) نشأ شاعرنا وتأثر بهم كما تأثر من قبل بجمال الدين الأفغانى والشيخ محمد عبده :

أنـــا لا أعــرف الا دعوة (لجمال الديــن) شقــت غل

ثم يقول :

ولقــد أيدهــا تلميذه (عبــده) فيما دعــا أو الفا[1]

ولهذا عندما هبط مصر لجأ الى هذا الفريق ! وكان احتكاكه به اكثر وتأثره ب أشد ، إلا أن باكثير كان يمتاز عن اساتذته بميزات ربما لا تتوافـر عنـد هؤلا الاساتذة ، وبقدرات وتجارب استفادها وأثرت فيه وفى شخصيته الأدبية والوطنية

ومن هذه المميزات :

١ ـ أن شاعرنا كان يمزج بين العروبة والاسلام مزجا قويا وكان يرى كما يقو استاذنا الدكتور أحمد الشرباصى :

« ان العروبة وعاء الاسلام والاسلام روح العروبة » . ومـن هنـا فانـ لا يرى ان هناك تعارضا بين الاسلام والدعوة الى القومية العربية اطلاقا . وبأ العروبة والاسلام شيء واحد لا يمكن الفصل بينهما ، ولهذا فانك بينما تراه يتحدث عن الاسلام ، إذ به يدلف فى الحديث الى العروبة ، وبين ما تجده يتحدث ع العروبة فاذا هو يسترسل فى الحديث عن الاسلام .

ومن هذا المزج بين العروبة والدين قوله :

تداعت على قومى الشعـوب فما ونت مصادرهـا عن حوضهـم والموار

(١) مسرحية همام أو فى عاصمة الاحقاف ، ص ٤٤ ، طبعة الصبان عدن .

خاننــا وغــد من الغــرب سافل تحيفنـــا نغـــل من الشرق حاقد
ـــر معـــالى العـــرب حلفـــة صادق يعززهـــا صبـــر من العـــرب نافد
(لــواء) قُدَّ من ارض يعرب ليومـــا اليهـــا لا محالـــة عائد
ـــوى لســـان الــذكر بــين ربوعه ليخلفـــه لغـــو من القـــول فاسد
ـــرد عنـــه امـــة المجــد والهدى لتسكنـــه تلك الوحـــوش الأوابد
استيقـظ العمـلاق من طول نومه وراع الـــورى منـــه نبـــى ومارد
ويل باريس ورومـــا ولندن وياويل قزم بات فينـــا يعاند
رعـــا الى ما خلف طوروس وارحـ ـلـوا الى حيث ألقت رحلهـن المكايد
وا معـــكم الحـــادكم وفجوركم فليس بنـــامٍ فى ثرانـــا المفاسد
دينا الأسمـــى لنـــا مجدنـــا الذى تتيه به الـــدنيا وتزهـــى المحامد[1]

٢ ـ ان شعوره بالقومية العربية واحساسه بالاسلام كان قويا متدفقا ثائرا
ان شعورا شجاعا لا يعرف المداهنة ولا الالتواء ، يضاف الى ذلك انه صادق
فعل بما يقول ، ولهذا فانك تجد عنده الاحساس بآلام العروبة والرثاء لحال
رب والتحسر على ما أصابهم من ضعف ووهن ، وشتات بعد قوة ووحدة وما
ى بهم من ذل بعد عزة ورفعة :

ويح قلبـــى بجنبـــى لا هدوء له يجيش بالهـــم كالبـــركان بالحمم
ن من ثقـــل الآمـــال تبهظه ان الهمـــوم رســـالات من الهمم
و إلى (العـــرب) والدهـــر يعرضها رواية البـــؤس بعـــد العـــز والنعم
متها شعـوب الغــرب تدفعهـــا إلى المهـــالك سوق الشـــاء والنعم

) شعراء اليمن المعاصرون ، ص ٢٣٢ ، لهلال ناجى ، طبعة بيروت .

وتجد عنده الثورة والغضب ، وهو فى ثورته يتمنى أن يكون فى ميدان الق
وبين صفوف المقاتلين لا مدبجاً للقصائد والخطب :

وددت لو اننـــى فى فلسطـــين ثائر لأهلى تنعانـــى الضبـــى لا القص
أو أنـــى فى اسكندرونـــة شاهر حسامـــى عليه من دم الـــوحش حا
وفى برقـــة أو فى الجزائـــر قاصم ظهـــور العـــدى والباتـــرات رو
فتلك بلادى لا أفـــرق بينها لهـــا طارف فى مجـــد قومـــى و

٣ ـ كان شاعرنا من أشد المتحمسين للوحدة العربية ، وإلى ضم شم
العرب ولهذا فقد عمد إلى التاريخ وأخذ ينبش العبر منه علها توقظ الرقود ، و
الغافلين ، ونتيجة لهذا التحمس فقد طبع اكثر اعماله الأدبية بالطابع القوم
والوطنى داعيا إلى الوحدة تارة، ومنبها إلى الأخطار المحدقة بالأمة العربية
اخرى .

ولقد كانت تحدو هذه الوطنية الجارفة ، وهذا الحماس المتدفق لوحدة الع
وضم صفوفهم ونهضتهم عدة عوامل كان لها تأثيرها فى هذا الاندفاع .

منها :

أولا : أن باكثير عندما هبط إلى مصر كان حانقا يغلى غيظا بما فى و
الصغير (حضر موت) من مفاسد وبدع ، وشتات ، كانت سببا من أسب
هجرته . وما رأى فى الجزيرة العربية من حروب ومن مشاكل وفرقة .

ثانيا : ان باكثير طوف فى البلاد الأجنبية ما طوف فرحل إلى أندونيسيا و
افريقيا وإلى سنغافورة وقد وقف على احوال العرب فى هذه البلدان ، وشاهد
يلقون من المضايقات وربما عرف مسبقا بحدسه المصير الذى ينتظرهم عن
تستيقظ هذه الشعوب ويرحل عنها الاستعمار وقد حدثت بعد ذلك امور ك

طيرة .

ثالثا : لقد جاء باكثير فى وقت ومستقبل الأمة العربية فى خطر نتيجة رقوعها تحت سيطرة الاستعمار الغربى والأدهى من ذلك ان هذا الاستعمار فى عض الأقطار العربية قد أخذ لون الاستعمار الاستيطانى وذلك مثل ما حدث فى سطين والجزائر .

رابعا : بروز الاتجاه القومى العربى بدلا من الجامعة الاسلامية خصوصا بعد حسار الخلافة العثمانية عن الوطن العربى وانهائها على يد مصطفى كامل .

هذه الأمور مجتمعة قد دفعت بحماس باكثير خطوات إلى الأمام ، طورت فى كره الشعور الوطنى القومى ، وجعلته شعلة وطنية يتوقد ثورة وحماسا ، داعيا إلى قومية العربية مع الارتباط بالاسلام ، والى محاربة الاستعمار ، وإلى الوحدة ربية الشاملة .

ولهذا فان الأمة العربية ربما لم تشهد فى العصر الحديث شاعرا وأديبا وطنيا رى فى دمه آلام العروبة وآمالها كالشاعر والكاتب على أحمد باكثير . ذلك ان ساسه بالوطنية والانتماء إلى العروبة تربى معه طفلا ، ونشأ معه فى صباه ، ثم ح هذا الاحساس بمشاكل العروبة فى سنى اكتماله .

واذا كنا لا نغمط الشعراء الوطنيين الآخرين حقهم حتى لا يعتبر ذلك منا صبا لباكثير أو تحيزا فإن كثيرا منهم قد انتابتهم فترات يأس وضعف وخوف ، شاعرنا فقد ظل يناضل فى سبيل العروبة إلى آخر لحظات حياته .

وقد اتخذت الوطنية عند باكثير سبيلين : السبيل الأول هو طابع الاقليمية مثل ذلك فى اشادته بحضر موت ومصر ولعل ذلك راجع لعدم وضوح الرؤية بادىء الأمر عند الشاعر أو انه كان يرى ان اصلاح وطنه الصغير هو اصلاح من الوطن العربى الكبير ، وأن اصلاح مصر ووقوفها وقوتها هو اصلاح

للعالم العربى كله وقوة له .

والسبيل الثانى : هو الطابع القومى العام والوقوف على مشاكل العروبة وع

قضاياها العامة ـ ويبدو أن هذا الاتجاه اتخذ الطابع الجدى بعد أن هبط باك

إلى مصر ووقف على أمور كثيرة واشتغل بالسياسة .

هذه لمحة موجزة عن وطنية باكثير وعرض سريع لها وملاحظات عامة ع

وسوف نتحدث بشىء من التفصيل فى الفصول المقبلة عن هذه الوطنية .

* * *

الباب الثانى

الفصل الأول : حضرموت فى شعر باكثير

الفصل الثانى : مصر فى شعر باكثير

الفصل الثالث :
أحداث العروبة وقضاياها فى شعر باكثير

الفصل الأول :

حضرموت فى شعر باكثير

تعرضنا فيما مضى لوطنية باكثير وتحدثنا عن خصائص هذه الوطنية وعن حرارتها واندفاعها ووصل بنا الحديث فى النهاية الى أن وطنية باكثير قد أخذت طابعين : الطابع الاقليمى وذلك فى سنى حياته الأولى ، والطابع القومى العام . ذلك بعد أن توسعت مداركه وتطورت مفاهيمه .

ومن هنا فقد تغنى فى بادىء الأمر بأمجاد بلاده ووقف على مشاكلها وصور آمالها وكانت هذه النظرة الاقليمية تنبع من إحساس عميق بما تعانيه حضرموت وبما يعانيه الحضارم فى وطنهم من تخلف واختلاف وبما يعانونه فى مهاجرهم من فرقة ومضايقات .

وهذه المشاكل والآلام قد تربت مع شاعرنا وهذا الشعور بها قد نما معه منذ الصغر حيث إنه فى طفولته الأولى فى أندونيسيا قد وقف على ذلك وأثر فيه وتأثر .

وربما كانت هذه النظرة الاقليمية الضيقة ناتجة عن قصور فكرى وثقافى فى هذه المرحلة بالذات فقد كان باكثير لا يعرف إلا حضرموت ففيها نشأ وفى أراضيها ترعرع وحتى بعد أن هاجر وأخذت مداركه تتوسع ، كان فى بداية الأمر شديد الحب لحضرموت وكثير الحدب على الحضارم ، وقد لا نجاوز الحقيقة إذا قلنا أن نظرته الاقليمية القصيرة قد وصلت به الى حب مدينة (سيوون) فقط التى نشأ فيها ، ولهذا فقد سمى مسرحيته الأولى التى تدور أحداثها فى هذه المدينة (هُمَام أو فى عاصمة الاحقاف) ثم فطن لما فى هذا الاسم من قصر نظر فغير

العنوان فى الطبعة الثانية الى (هام أو فى بلاد الاحقاف) .

ونحن لا نعتب على باكثير فى شيء من ذلك ، ولا نأخذ عليه أى مأخذ فم الطبيعى أن تنشأ هذه النظرة عند أى شخص محدود الثقافة والفكر . على أنه يجب التنويه به أن باكثير حتى وهو فى حضرموت قد بدأت نظرته تتجه نح المجتمع العربى والإسلامى وان كانت ميوله الاسلامية أكثر وذلك ناتج ع العاطفة الدينية القوية ومن النزعة الاسلامية الشديدة التى كانت ثمرة م ثمرات نشأته وتربيته فى حضرموت ، على أن نظرة (باكثير) الى العالم العرب والاسلامى سرعان ماتطورت بعد قدومه الى مصر واتخذت شكلاً آخر .

وباكثير فى اقليميته ، وفى حبه لحضرموت والحضارم لا يفصل هذا الجزء م الوطن العربى ، ولا يسلخ هذا الجنس من العالم العربى والاسلامى بل عل العكس من ذلك فهو يعلن أن هذا الوطن الصغير وهؤلاء المواطنين جزء م العرب والعروبة .

« الشعب الحضرمى شعب عربى صميم تجرى فى عروقه دماء قريش وهمدا وحمير وكنده ومذحج يعد من الشعب اليمانى ولكنه يمتاز عنه بذكائه ونشاطه ف ممارسة التجارة وتفوقه فى الكسب وطموحه الى المطلب البعيد ، واستعداده لمجار روح العصر الحاضر فى العلم والأدب والاجتماع . ولعل حبه للمهاجر الى أقص البلاد ولطلب الرزق واكتساب المعاش لنضوب موارد الرزق فى بلاده هو الذ جعله يتفوق على أخيه اليمنى الوادع فى بلاده الغنية »[1] .

بهذه النظرة التى تلمس فيها اعتزازه بالحضارم ، وحبه لهم ، واعجابه به وبنشاطهم يحدثنا باكثير باقليميته التى لم يتعصب لها فيما بعد ، بل اعتبر العال

---

(١) همام أو فى بلاد الاحقاف ص ١٣ ، طبعة الصبان (عدن) .

ربى كله وطنه ومع ذلك فانك أيضاً تلمس انتماء هذا الشعب الى أصله الأول .

أ ـ مشاكل حضرموت فى شعره

ومشاكل الوطن الصغير قد أسهدت باكثير كثيراً ، وأقلقت فكره . فهذا
سعب الذى ينتمى إليه ، ويعجب به بما فيه من تناقضات اجتماعية ومن طبقية
مرة ومايعانى من جهل وتأخر وفقر قد ملك عليه أقطار تفكيره ، وجعل نفسه
رب حسرات على هذا الوطن المضاع الذى فيه الفوضى ضاربة أطنابها
اسد متفشية والأمن مضطرب .... الخ .

« كلنا يعلم أن فى حضرموت بدعاً فى الدين يجب أن تنكر وتزال مافى ذلك
ك ، وأن فيها جهلاً يجب أن ينار بمصباح العلم ما فى ذلك مريه ، وأن فيها
وداً يجب أن يدك صرحه ، وأن فيها امتيازات أدبية وحقوقية للعلويين ولغيرهم
ضاً يجب أن تبطل . وأن فيها عادات سيئة يجب أن تصلح ، وأن فيها فوضى
طعاً للسبيل وسفكاً للدماء من طبقة القبائل يجب أن يفكر فى اصلاحها
ضرب على أيدى المعتدين .

هذه أمور تراها العين ، وتسمعها الأذن ، وتلمسها اليد يجب على الشعب
ضرمى أن يتعاون على اصلاحها . فاذا مادعا داع إليه أو عمل عامل له
س من العقل أن يتهم بأنه يبغض أهل البيت فالمسألة مسألة وطن بائس يلزم
اذه ، وشعب مريض يجب علاجه . وليست مسألة بغض قوم وحب
ين ! »[1] .

همام ، ص ١٨ طبعة الصبان (عدن) .

بحس الأديب وعاطفته وبقلب الوطنى الغيور كان يقف شاعرنا كثيراً
مشاكل وطنه الصغير وكان يحاول ويبذل جهده لاصلاح ما أفسده الزم
بالكلمة وبأبداء النصح . ولهذا فانك دائما تجد فى شعره الألم والحسرة على م
هذا الوطن من فساد وجهل وهو يحدثك حديث المكلوم وحديث المجروح المتأل
حل بهذا الوطن :

وأرجع الطرف فى (الاحقاف) غارقة — فى الجهل فوضى بلا عدل ولا
تفننت فى ملاذ العيش تاركة — ما تقتضيه ، فلم تفطر ولم ت
والخلف محتكم فيها يمزقها — حتى يغادرها لحما على و
كيف القرار على حال يذوب لها — قلب الكريم ويجرى دمعه بدم

وحدب باكثير على حضرموت واحساسه بمشاكلها وبآلامها يجعله يقف
ختام مسرحيته (همام أو فى عاصمة الاحقاف) رافعا يديه الى السماء مبتهلا
الله راجيا منه أن ينظر الى حضرموت بعين الرعاية وأن يمسح ما حل بها من
وضلال ومن جهل :

وأنظر الى (الاحقاف) بالرعاية — وأولها بفضلك الع
بالعلم والأخلاق والهداية — فاجل عنها الجهل والع

* * *

ويتقطع قلب باكثير حسرات على ماحل بحضرموت من خراب ودمار بعد
كانت جنانا ورياضا ، ويعجب كيف تركها اهلها وتهافتوا على المهاجر وتسا

---

(١) نظام البردة ، ص ٣ ، طبعة مطبعة الشباب القاهرة .

لى تعمير هذه المهاجر وتفننوا فى ذلك وتركوا هذه البلد . بلدهم الأصلى بلد جدادهم وآبائهم :

ظـر الى هذى السهـول فقد كانـت مزارع مالهـا حد
نـت جنانـا لافجـاء بها - غـير الممـر لراكب - تبدو
ن عدوة الـوادى القصى الى الـ أهضـاب من حدراه تمتد
مـر الجـدود بهـا مواطنهم فغنـوا وعيشهـم بهـا رغد
بعـد عام الالف ما قدمت منـه العهـود ومـا بهـا بعد
تجف بهـا مواطـن أقـ ـدام الألى اشتغلـوا بهـا بعد
يـر والسمـراء والـذرة البيـ ـضـاء والأفـواه والرند
لنخـل والاعنـاب حافلة بقطوفهـن كأنهـا شهد
لسـدر يفـرش فى الفضـاء بسطا من سنـدس خضر فينسد
نـالك النعماء تخطـر ما بـين الحقـول يزينهـا البرد
ـه عيشهـم فلا كدر يعتـاق صفوهـم ولاجهـد (١)

بهذا كأنى بباكثير يريد ان يقول للحضارم أنظروا الى اجدادكم الذيـن عمروا هذه البلاد كيف كان يسود حياتهم الهدوء والاستقرار وكيف كانت تسودها لقناعة والرفاهية ، وكيف جمعتهم هذه البلاد على المحبة والوئام ، وانتـم فى مهاجركم لم تجنوا غير التشرد والتشتت والذل والمسكنة وبالتالى الخراب لهـذه لاد :

ـف سائـل الأثـار كيف ذوت تلك الخمائـل فهـى ذى جرد
ـرك أن نطقـت : وربما نطـق الجماد وقولـه الرشد

( ) همام ، ص ٨٩ .

في بطــن أرض أنــت واطئها همــم تصــول فليس ت
تصبــو الى العمــل المفيــد ترى أن السعــادة ركنهــا الج
فتلاهــم خلف كأنهم لاساعــد لهــم ولا
فسبيلنــا ترديدنــا أبدا نعــم الجــدود وبئســت الولــد

* * *

وباكثير يعجب وفى نفس الوقت يتألم من طريقة الحضارم فى حياتهم ف
يشقون فى مهاجرهم ويكدحون حتى اذا ما عادوا الى حضرموت بددوا كل
جمعوه فى لهوهم ، وأسرفوا فى الانفاق وهم مع ذلك لم يلتفتوا الى هذا البلد
بالنزر اليسير من هذه الاموال كى يساعدوا فى عمرانها وفى تطويرها . والذى يغ
باكثير ويألمه ان هؤلاء القوم لم يفكروا فى المستقبل وانما يعيشون للحظتهم :

لولا توانــى أهلها لقلــت هــذا جزاء العاما
ليس لديهــم عمل الا قضــاء الوقــت فى لهومش
يشقــون فى غربتهم بالجمــع للمال وهــم مقتصد
حتــى اذا ما وصلوا الى بلادهــم اذا هم يسرفو
كأنهــــم قيــــاصر يبــددون المال لايكترث
ولا يفــــــكرون فى خدمتهــا والنــزر ممــا يجمع
ولا يــزاولـــــون فى غربتهــم صناعــة أو يحذق
لينفعــوا أوطـــــانهم بهــا اذا عادوا اليهــا راجعــين

* * *

---

(١) نفس المصدر ، ص ٨٠ .

(٢) همام ، ص ٩٩ .

ب ـ الحضـارم فـى شعـره

واذا كانت حضرموت الوطن شغل باكثير الشاغل ، حيث أولاها جل اهتمامه الحث على نهضتها ، والوقوف على مشاكلها ، والتنبيه على آلامهـا ، وعلى تحمله من أخطار فى المستقبل . فان مواطنى حضرموت كان لهم الحظ الأوفر من تمامه فهو قد اتخذ سبيل الاصلاح سبيلا له فى دعوة هذا الشعب الى النهوض سح الماضى المتخلف والى نبذ العادات والتقاليد السيئة من المجتمع ، وطرح فرقة والشقاق ، والاتحاد والتكاتف حتى يكونوا يدا واحدة فى سبيل النهوض لدهم الى مصاف البلدان المتقدمة والى مدارج الامم الناهضة . وكان باكثير رى ان السبيل الوحيد لأى نهضة هو العلم ثم الوعى وترك التعصب ، واستيقاظ ضمير لكى يكون فى خدمة الوطن والمواطنين ولايضع نصب عينيه الا المصلحة امة .

وقد تصفحت بعض شعره المخطوط فوجدت أنه لاتخلو قصيدة وطنية أو جتماعية من قصائده الا وقد حث فيها على التعليم ، وهو فى هذا الصدد قد الب الحضارم بتعليم بناتهم حتى يكن أمهات المستقبل الصالحات فيربين نشء الصالح ليكون مجتمعا صالحا فى وقت كان ذلك يعتبر جريمة لاتغتفر :

ار فرضـا عليـك أن تنشرى	هذا الهـدى فى جماعـة النسوان
ـدى الشعـب من هدى أمها	ت الشعـب فى كل موطـن وزمان
نـات الاحقـاف أولى بأن يحـ	ـذقـن شتـى العلـوم والعرفان
ـأن يطهـرن من لوث الـ	أوهـام ممـا يخـل بالأيمان
رين الحيـاة بغـير معنى	غير تلك الحياة وهـى معانـى ![1]

---

(١) همام ، ص ٢٧ ، طبعة الصبان (عدن) .

وحب باكثير للحضارم حب عميق مخلص فان وجدانه قد وسع كل حضرم
فهو لايفرق بين شريف ووضيع ولا بين العلوى وغير العلوى ويرى ان الحضا
بذكائهم وقدرتهم على تحمل الصعاب جديرون اذا هم اتحدوا أن يكونوا مجتم
يسوده الرخاء والاخاء . ولهذا ما أن يحدث من حدث تبرزمنه روح الفرقة والف
حتى ينبرى شاعرنا له ليفنده ويحاول أن يسد هذه الثغرة .

ولعل مما هزّ باكثير ذلك الانشقاق الذى حدث بين الحضارم فى اندونيس
وتحول الى معارك كلامية فى باديء الأمر ثم الى معارك دموية فى نهايته بـ
الارشاديين والعلويين وقد ترددت أصداؤه حتى وصلت الى العالم العربى أجمع .

وقد وقف باكثير فى هذا الحدث موقفاً وسطاً وشرح لكل فريق وجهة نظ
وأفهمه بالتى هى أحسن ماينبغى أن يكون وهاهو ذا يرد على بعض الاتهاما
التى وجهت اليه فيقول :

سؤتم ظنا وما زلتم لمن   جاءكم بالنصح تبدون الج
اننى من أعظم الناس لما   كان من شعب (بجاوا) أس
وأراها سبة تجعلنا   فى عيون الناس بين السخ
غير أنى لا أرى أعظم أسـ   ـبابها الا جمود الشرفا
وقفوا فى وجه سبيل لو تولـ   ـوه بالحسنى لأروى وشف
فطغت أمواجه ، حتى لقد   جرف الاسداد فيما جرفا
حكموا الاهواء ثم انطلقوا   بالاهاجى يملأون الصح
ونسوا أن المبادىء لا ترى   نجحها ما لم تؤاخ الشرفا

ثم بعد ذلك يعلن رأيه فى غير تردد بأنه لايعترف بالارشاديين ولا برابط

---

(١) مسرحية همام أو فى بلاد الاحقاف ، ص ٤٤ ـ ٤٥ .

علويين وانما الذى يعترف به هو الاسلام ومساواته وسماحته الذى لايفرق بين فقير وغنى ولا بين قوى وضعيف . وهذه الدعوات والمهاترات انما هى خروج عن الاسلام وجهل وسخف وغواية .

استمع اليه يقـــول :

ـا لا أعـرف (ارشادية) لا ولا (رابطــة) أو جنفا
ـا أعـرف (اسلامية) تجمــع النــاس على عهــد الصفا
ـعـل النـاس سواء لا ترى فيهــم ربــا ولا مستضعفا
ـا لا أعـرف الا أننا قد غوينــا مذ هجرنــا المصحفا
ـا لا أعـرف الا أننا نشر الجهــل علينــا السدفا
ـدا العـرف لدينـا منكرا وغــدا المنــكر فينــا عرفــا [1]

* * *

ويصل فى دعوته الى ترك البدع وإزاحة الستار عن الدين القويم ، وإزالة غشاوة ، والى اعلان انه لايعرف الا دعوة جمال الدين الافغانى وتلميذه محمد بده فهو يتبع هؤلاء فى نظرتهم للدين الاسلامى ومحاولتهم الاصلاح . ويدعو ى قومه الى مفهومه هذا للدين الحنيف ويطالبهم بأن يثوبوا الى رشدهم وأن سوا الاحقاد والاضغان وأن يتحدوا فان الصلات التى تجمعهم قوية ، والروابط تى تربطهم وشيجة فهم أخوة فى الجنس والدين والوطن فعلام هذا التفـرق الشتات والمهاترات التى لايستفيد منها الا أعداء الدين وأعداء العروبة وأعداء طن :

---

(١) نفس المصدر السابق .

يابنــى الاحقــاف ثوبــوا للهدى   واتبعـوا (الــذكرى) ولــوذوا (بالسن
وأنشروا العرفــان فى قطركم   واستغلــوه وأحيــوا كل
وتناســوا ما مضى وامتزجوا   وادحضــوا الاحقــاد عنــكم والا
بينــكم جنس وديــن جامع   ولســان وعهــود ووطــن

واذا كانت الفتنة التى نشبت بين العلويين وبين غيرهم من فئات الش
الحضرمى قد اقلقت باكثير وجعلته يقف موقفا حاسما منها يدعو الى نبذ الف
والاختلاف . فان جمود هذا الشعـب وتخلفـه قد جعلـه يقف موقف الصـا
المستنهض الحاث على الأخذ بأسباب الحياة الحديثة مثل الشعوب الأخرى
وأنت تجده أحيانا صارخا فيه أن يستيقظ من نومه الذى طال ، وأن ينشط لب
الوطن والمجتمع الجديد وكفى من تثاقل وتثاؤب وهو يرى أن هذا الجمود قد ك
بقيود من الخمول قد تغلغل الى القلوب والعقول وهى اشنع من قيود الحدي
استمع اليه يقول :

يا أيهــا الشعــب الكريــ   ــم ، أمــا لموتــك من نش
مضــت الدهــور عليــك فى   ندم على أثــر الده
هبــت شعــوب وارتقت   أمــم وانــت على الحص
متثــاقــل متثــائب   كســلان ، أوهنــه الفت
فيك الجمــود لقــد تغلـ   ــغـل للقلــوب من الصد
ومــن القلــوب الى العقو   ل فلــم يدع لك من شع
أنــت الأســير مكبلا   بقيــوده ، ويــح الاس
أسر العــدو أخف من   أسر الجمــود لدى البص

---

(١) (مسرحية همام أو فى بلاد الاحقاف ، ص ٤٤ ـ ٤٥ .

ذا على الاجسام والثـ ـانى على الارواح نـير [1]

وبعد هذه الصرخة التى يخاطب بها بنى قومه الحضارم والتى فيها شىء من لتقريع والعنف نجد شاعرنا يلتفت الى أولئك الذين يقولون إن الدين يحرم لأخذ بأسباب الحياة الحديثة فيفند مزاعمهم ويستشهد بحياة الرسول ﷺ يريهم أنها كانت حياة عمل وجد ونشاط ولم تكن خمولاً واستكانة :

دين يأمر بالتحر ر من خيالات الامور
دين يأمر بالحيا ة وليس يأمر بالدثور
الع حياة المصطفى أترى الخمول أو الظهور
ك الحياة حياة مقـ ـدام نشيط أو دثور

وهو يتحرق شوقا الى اليوم الذى يرى فيه بنى وطنه قد نفضوا عنهم غبار لتخلف ، وقيود التخاذل والكسل والاتكالية ، ولبسوا أبراد النهضة الحديثة وحلل تقدم ، ومن هنا فقد خاطبهم قائلا :

ـى عليك متى أرا ك تقوم من هذا العثير
تى اراك بحالة ترضى المحب لك الغيور
قوم آن نهوضكم فالى متى سكنى القبور ؟
موا لمجدكم الوقيـ ـد لعله يوما يثور [2]

* * *

---

١) مخطوط .

٢) مخطوط .

جـ ـ مع الحضارم فى مهاجرهم

عرفنا فيما مضى من حياة باكثير أنه ولد فى جزيرة (سورابايا) ـ باحدى جز
الهند الشرقية (اندونيسيا) وهذه الجزائر كانت مهجرا من مهاجر الحضارم الكثير
وقدم الى حضرموت من هذه الجزر وعمره ثمان سنوات وبعد أن درس ونشأ
حضرموت هاجر الى هذه الجزائر مرة أخرى كما رحل الى (سنغافورة) ثم عاد ا
حضرموت مرة اخرى وبعدها رحل الى (عدن) والى (الصومال) و (الحبشة)
(الحجاز) . وكانت هذه البلدان من مهاجر الحضارم أيضا ولم يكن باكثير رح
الله خلال رحلاته هذه طائفا أو مرتحلا طلبا لفرصة تسنح له يكتسب منها رزقا
يكوّن تجارة كغيره من بنى جنسه ولكنه كان متفقدا للحضارم واقفا ع
مشاكلهم ، حاسا بهم يعنيه مايعنيهم ، ويؤلمه ما يؤلمهم ، ويفرحه مايفرحهم . ول
أثرت هذه الرحلات فى باكثير ورثى كثيرا لحال الحضارم وآلمه هذا التفرق وه
الشتات الذى هم عليه ففى (اندونيسيا) وقف هناك ليلقى كثيرا من القصا
حاثا فيها بنى وطنه الى النهوض والى الوحدة والتكاتف ، وأن يعتبروا من البلدا
الأخرى وبأن هذه المهاجر لن تدوم لهم ، وعليهم أن ينموا بلادهم ويعملوا ع
اصلاحها ، ويسهروا على رقيها فهى مأواهم الوحيد وما هذه المهاجر الا سحا
صيف قد تنقشع عنهم فى يوم ما أو ظل زائل قد يذهب عندما تضحو الشمس
فتحرقهم بلهيبها .

والحقيقة ان باكثير كان دائما مع بنى وطنه الحضارم فى حضرموت و
مهاجرهم يحس بإحساس الشاعر ومشاعره المتوقده مايعانونه . فهو لاينسى آلا
قومه وغربتهم ، فاذا ما قدم قادم من (اندونيسيا) هب اليه يسأله عن حا
الحضارم فى مهجرهم هل بدأوا يحسون ويعملون لوطنهم أم لازالوا رقودا ، فف

سيدة يرحب بها بالشاعر والأديب الحضرمى السيد : عيدروس بن سالم
قاف يقول :

رح لنا احوال مهجر قومنا هم لانحطاط فيه أم لصعود
حالهم يا ويحهم أأستيقظوا أم لايزالوا فى عميق رقود
ـه الشعوب ترابطت وتقدمت الا بنى عدنان فيه وهود .
ـى على الشعب الكريم بجهله أودى بعز أخائه المنشود

هذه الصيحات الموقظة المستنهضة لايفتأ باكثير يطلقها ويعلنها على مسامع ـه علهم يثوبون الى العقل السليم والتفكير المجدى ، وقد اطلعت على شعره خطوط فوجدت كثيرا من هذه الصيحات المدوية ، وربما قد نشر هذا الشعر فى حف الحضارم فى (اندونيسيا) اما فى الصحف المصرية فلم أعثر على شيء من ا اللهم الا قصيدتين فى مجلة الفتح لمحب الدين الخطيب وقعهما بتوقيع (طالب ضرمى) ولم أعثر عليهما فى شعره المخطوط ولكنى ارجح انهما له ذلك أن سلوب اسلوبه ثم انه لم يكن هناك شاعر حضرمى طالبا سواه فى هذه الفترة لقاهرة وإذا وجد فلم يكن له حماس باكثير وإحساسه بمشاكل قومه الحضارم .

ولعل من الشعر الذى نشره فى صحف الحضارم فى (اندونيسيا) هذه طوعة التى عثرت عليها فى (تاريخ حضرموت السياسي) . والتى يتحدث ها باكثير الينا حديث المجروح المتألم وحديث المكلوم المتأوه وهو ينزح ذلك حاً من أعماق نفسه ويصور لنا أساه وأسفه لما حل بالحضارم من ضعف وتشتت ا شعوب العالم ترقى وتتقدم ، ويدعوهم الى الاخاء والوحدة وأن ينبذوا ما قد ضى ، ويحطوه من حسابهم وينسوه . وأنت تحس فى حديثه هذا حديث الموجوع و يزفر به زفرا من نفس وجيعة متحسرة على ما حل بقومها :

اذا لاح لى شبح انقسام بنى أبى — فيها بحيث تمايل العم

فتمثلت لى صورتان فصورة — قيد العيون ، وصورة نك

بينا الشعوب تجد فى نهضتها — لعبت بقومى ـ جهدها ـ البغض

شطوا وغالوا فى الشقاق وبينهم — دين ووحدة موطن وا

ظلموا المبادىء اذ اساءوا فهمها — يا للرجال المحسنين أسا

ان المبادىء لاتفيد ثمارها — ما لم يجدها الرفق والاغض

فتصافحوا بيد الاخاء فانما — فوز العشير على العشير ب

وضعوا على اقدامكم ما قد مضى — مابينكم ترة ولا أش

ودعو السباب فانه عارلكم — ان كان يجمل بالكلاب ع

قد آن أن تشفى الحقود وتنتهى — سنة الرقود . وتنبذ الأه

فالى متى تبقون فى حال لها — يبكى الحليم وتضحك السفهاء

وهذه الابيات تفصح بصدق العاطفة الوطنية ورقة الاحساس والشعـ الوطنى عند باكثير ، فهذا الشاب المصلح والوطنى الغيور . يعبر تعبيرا صادقا ـ فى نفسه . فأنت تجد عنده الحب للحضارم والاعتزاز بماضيهم المشرق (للرجال المحسنين أساءوا) وتجد الدعوة الصريحة للاخاء والنصح فى التصو الحكيم :

فتصافحوا بيد الاخاء فانما — فوز العشير على العشير بلا

وتجد التقريع :

ودعوا السباب فإنه عارلكم — ان كان يجمل بالكلاب عو

---

(١) تارخ حضرموت السياسى لصلاح البكرى اليافعى ، جـ ٢ ، ص ١٨٨ ـ ١٨٩ طبعة الحلبى القاهرة .

وفى البيت الاخير تحس ان غصة الالم تكاد تخنقه وأن العبرة تكاد توقفه عن الكلام :

الى متــى تبقــون فى حال لها يبــكى الحليــم وتضحــك السفهاء

والحقيقة أن ما حدث فى (اندونيسيا) قد آلم (باكثير) كثيرا وعكر عليه صفوه وآذى نفسيته ، ذلك أن احتماله فوق طاقة أى انسان عنـده شعـور أو احساس فلقد بلغ من السباب المشين والقذف المقذع ما تقشعر له الابدان وهذا شيء مؤلم خصوصا اذا كان بين ابناء وطن واحد ودين واحد وجنس واحد .

***

وفى (اديس ابابا) بالحبشة يقف شاعرنا فى نادى الاتفـاق ليفـرح مع الحضارم ويهلل لاتفاقهم وذلك بعد أن طوف فى افريقيا نتيجة للصدمة العاطفية التى المت به من جراء وفاة زوجته الاولى . وعلى الرغم من أنه محمل بهموم ثقيلة داخل نفسه لم تفته هذه الفرصة التى اسعدته وجعلته يهتز من أعماقه لجمع كلمة الحضارم فى هذه البلد ولفتحهم مدرسة عربية إسلامية لتعليم ابنائهم .

وبعد أن يفتتح قصيدته التى عنوانها (العرب فى مهاجرهم) (الاتفاق فى اديس ابابا يلقى درسا على الافتراق فى جاوا) [1] بقوله :

الى اخواننــا المتدبرينا (اديس أبابــا) سلام المخلصينا
سلام الشاكرينـا لما بنــوا من عُلىً لبنــى العروبــة أجمعينا

---

(١) هذه القصيدة نشرت فى مجلة الفتح العدد (٣١١) السنة السابعة . وقد اسقطت منها عدة أبيات فهى فى المجلة (٤٣) بيتا وفى المخطوط (٤٦) وقد زيدت فى المنشور بعض أبيات .

يعرج على الماضى البعيد ماضى المسلمين المهاجرين الأوائل الى هذه البلد ويذكر من اخلاقهم طرفا كانت لها تأثيرها فى ميل (النجاشى) اليهم . وبعد ذلك يسترسل حاثا على تشييد المدارس والنوادى الثقافية والاجتماعية التى هى أساس النهضة داعيا الى رفعة الاسلام والمسلمين مشيدا بالاتفاق والتكاتف وجمع الشمل ، منوها بما للحضارم من فضل فى نشر الاسلام فى بلدان افريقيا :

على هذا الاساس فشيدوها ... مدارس عامرات للبني
على ذاك الاساس فشيدوها ... نواد للشباب الناهضي
هناك فارفعوا الاسلام شأنا ... وابنوا هديه فى العالمي
وكونوا حجة للدين فيهم ... وردوا عاديات المعتدي
ألا لله دركمو رجالا ... سعيتم للعلى متكاتفي
(بنادى الاتفاق) قد اتفقتم ... على اعلاء شأن المسلمي
رحلتم تبتغون هناك رزقا ... فقمتم تنشرون هناك دي

ويفرح باكثير لان مهاجرى أفريقيا قد انتبهوا الى مساوىء الاختلاف والافتراق فاتفقوا فيا بينهم ، وساروا اخوة واسرة واحدة ويشيد بهم اشادة عظيمة ويوجه خطابه الى مهاجرى اندونيسيا لعلهم يقتدون بهم وينبذون الفرقة والشقاق ، فهم أولى بذلك لأنهم كانوا أول مهاجرين ، وقد اقاموا هناك نهضة أدبية وعلمية كبيرة ولكنهم بخلافاتهم هذه قد اضاعوا كل ذلك ويحز فى نفس باكثير أن يكون هذا الاختلاف من أجل العصبية والأهواء والغرور والحسد :

رأيتم سوء عاقبة التعادى ... فكنتم بالاخا متمسكي
فهل لبنى أبينا أن يروكم ... بأقصى الشرق هل لبنى أبينا
لعلهمو بكم - إما رأوكم ... نهضتم بالتآخى - يقتدو

هـم سبقـوا الى النهضـات لكن بفرقتهـم غدوا متقهقرينا
د اختلفـوا ومـا اختلفـوا لشيء سوى عصبيـة وقـدت أتونا
أهـواء بأدمغـة صغـار تلاعـب كالصوالـج بالكرينا
غـرور) قد مشى (حسـد) اليه على عَلَمَيْهِمَا يتقاتلونا

ثم يتأسف باكثير على ما صار اليه حال بنى وطنه من تناحر وتناثر بينما شعوب الارض تتحد وتنهض وتتقدم ، ويعجب من الاصوات التى ترتفع بالشتائم وبالاتهامات ولا ترتفع بالاصلاح والوفاق :

وا أسفـى شعـوب الأرض ترقى وقومـى - بينهـا - يتشاتمونا
ذا طالعـت صحفهـم بدت لى أفاعـى الخلف رافعـة القرونا
ـهـا الأهـواء عاليـة صراخا وليس بهـا صدى للمصلحينا

وشاعرنا يتوقد غيظا وحنقا على ماحدث فى (جاوه) بين الحضارم ويود لو ستطاع أن يمسخ هذا الحادث مسخا ويسحق الذين قاموا به سحقا ، وهو مسرور لما صار فى (أديس أبابا) من اتفاق يرجو من ورائه خيرا للحضارم وللعرب والمسلمين . وهو ينظر الى ما حدث فى جاوه على أنه تحفز سباع تعوى وتكشر عن انيابها لتثب على الأخرى وينظر الى ما حدث فى (الحبشة) على أنه اخاء يبشر خير :

أديس أبابـا) ألا تلقـين درسا على جاوا وجيرتهـا - مبينا
فيـك بنـو أبينـا قد تآخوا على سرر الـرضى متقابلينا
ولى الهجرتـين شرفـت قدما ويومـك بارتقاهـم تشرفينا
ثمـت مثلـوا أبنـاء هود وعدنـان سباعـا قد عوينا

ويطرق باكثير الباب الذى اختاره ألا وهو الدعوة الى النهوض وترك الماضي والدعوة الى الحياة ، فالزمن زمن أحياء لا زمن أموات ولا مكان فيه الا للمجاهد الصبور السباق ، وينبه الحضارم الى ماكان لهم من ماض مجيد ومالهم من مواهب وقدرات عجب منها الزمن ويطالبهم بأن يستغلوا هذه المواهب ليعتلوا بها صرح المجد ، وأريكة الخلود ويشير الى ماحدث التاريخ عن أمجاد الحضارم وما لهم من ذكاء كان يفخر بها الشاعر ويعتز :

مضى زمن الجمود فودعوه ووافاكم زمان العاملي
زمان ليس يعلو فيه الا مجاهد [1] قد جرى فى السابقي
وان لكم مواهب ساميات بنى الأحقاف أدهشت القرو
فقد لعبت بأدوار كبار جدودكم الكرام السالفو
ولو ثقفت يوما حضرميا لجاءك آية فى النابغي

هكذا كان باكثير رحمه الله يفخر بالحضارم ويعتز بهم ويرجو لو اتحدو ونفضوا عن أنفسهم ركام القرون الماضية من تخلف وفرقة ومن بؤس وشقاء ، وأن يتجهوا الى الأخذ بما جاءت به الحياة الحديثة وأن يتسلحوا بسلاح العلم والوفاق والمحبة والاخاء .

* * *

(١) فى شعره المخطوط وفى تاريخ حضرموت السياسى وجدت كلمة (عصامى) بدلا من (مجاهد) .

الفصل الثانى :

مصر فى شعر باكثير

عرفنا من خلال عرضنا لحياة باكثير أنه كان مغرماً بمصر شغوفاً بحبها معجباً بها أشد الاعجاب .. بما لها من أمجاد قديمة فى التاريخ العربى الإسلامى ، ولما قدمت من تضحيات فى الصراع النضالى الطويل الذى قادته خلال القرون الماضية ، ولما لها من حضارة قديمة وحديثة . ولهذا فقد اتخذها موطناً ثانيـاً له واستقر بها الى أن مات فيها ، وهذا لاشك يفسر لنا مدى إعجاب هذا الشاعر بهذا البلد الذى يرى فيه أمل العروبة ومستقبلها فمصر بما لها من امكانيات بشرية ومادية كانت فى نظر باكثير قادرة على قيادة الأمة العربية وهى جديرة بزعامة العرب والمسلمين جميعاً . وكانت تقع على عاتقها مسئوليات ضخام نحو العرب والمسلمين ، ولهذا فقد حاول شاعرنا الربط بين مصر الفرعونية القديمة وبين مصر العربية المسلمة الحديثة فى أول مسرحية شعرية كتبها بالشعر (الحر) وكان يرد بهذا العمل على من يرى أن مصر يجب أن تقطع صلتها بالتاريخ الفرعونى كما يرد على من يرى أن مصر للمصريين ولا شأن لها بالعرب والمسلمين .

« حينما جئت الى مصر راعتنى بعض الصيحات المحلية مثل بقايا الصيحة الفرعونية الى جانب الصيحة العربية فكان بعض الناس يظنون ألا توافق بينهما فرأيت أنا الوافد من الخارج ألا تعارض بينهما بالمرة لأن الفرعونية هى تاريخ مصر القديم والعربية تاريخها الحديث المتصل الحى الى اليـوم فكيف يحصـل

التعارض »[1] .

وقد ظلت قضايا مصر تشغل باكثير بالدرجة الأولى وكان يرى أنه لا خلاص للأمة العربية ولا نهوض لها إلا بنهوض مصر فخلاص الأمة العربية من الاستعمار هو أولاً تخليص مصر من الاستعمار ونهوض الأمة العربية هو نهوض مصر أولاً :

« كانت تشغلنى قضية مصر ، قضية مصر تحت النضال ، قضية استقلال مصر كانت تهمنى أكثر من القضايا الأخرى »[2] .

وقد عمد باكثير الى تاريخ مصر العربية الاسلامية ونبش فيه من عبر وأمثله لنضالها ، وتحدث عن الدور الذى قامت به فى حماية العروبة والاسلام فكتب (وإسلاماه) وتحدث فيها عن معركة عين جالوت وما قامت به مصر من دور فى دفع التتار والقضاء عليهم ثم كتب عن إبراهيم باشا وأبرز دور مصر فى توحيد كلمة العرب وكفاحهم ضد أعدائهم .

ثم كتب (سيرة شجاع) وتحدث فيها عن صلات مصر الوثيقة بالعالم العربى وبالأخص الشام . ثم أخيراً بعد النكسة كتب (الدودة والثعبان) وتحدث فيها عن المقاومة الشعبية فى مصر لنابليون .

والحقيقة أن كثيراً من كتاباته حتى التى لم يتحدث عن مصر كان يلمح ولو من بعيد الى ما لمصر من قدرات ولمركزها البارز فى العالم العربى والاسلامى .

ومن هنا يتضح لنا أن نظرة باكثير الى مصر كانت نظرة إكبار وإعزاز ونظرة الريادة والقيادة فهو يرى أن استيقاظ مصر وثورتها هو استيقاظ للأمة العربية :

(١) من حديث للأديب باكثير من إذاعة البرنامج الثانى عام ١٩٦٩ م (مع الأدباء) .
(٢) نفس المصدر السابق .

« اليك يا جمال ، والى رفاقك الأبطال ، الى هذا الجيل الذى شهد هذا البعث الجديد الذى أجراه الله على أيديكم ، فايقظ مصر بعد سبات وأحياها بعد موات ودفع بها فى سبيل القوة والعظمة والمجد ..

ثم سرت روحه الى سائر العرب فى مختلف أقطارهم
فأهابت بهم أن حيى على القوة والعظمة والمجد »[1]

هذه مجموعة حقائق واشارات قدمت بها (لمصر فى شعر باكثير) وسوف تتضح هذا المفهوم أكثر فى عرضنا لهذا الشعر .

* * *

حب باكثير لمصر

وبعد .. أيها القارىء فتعال معى لأحدثك بل يحدثك باكثير فى قصيدته أغنية النيل عن حبه لمصر وعن رؤيته لمصر وتحمسه لها ، واحساسه نحوها . فهاهو يقف بين يدى النيل ويتحدث إلينا فى نغمات رتيبة عما تركه هذا النهر فيه من إحساس ، وعما أوحى إليه من شعور بعظمة مصر ، ولهذا فهو يقول إن النيل قد أتعب نفسه من خلف جبال (أوغندا) ليعانق مصر وليراها ، ذلك لأن مصر قمينة بأن يتعب من أجل رؤياها ، لأنها كعبة الدنيا وهو شغوف يهفو للقياها فى شوق كما يهفو المحب الى لقاء معشوقه . وبعد أن يتحدث عن الزورق والملاح يقول :

---

(١) اهداء سيرة شجاع .

يجرى[1] على نهر   سيماؤه العطف
يهفو على مصر   وشد ما يهفو
يمشى على هون   مشى الطواويس
من عهد فرعون   موسى ورمسيس
يطوى لها البعدا   شهراً على شهر
من خلف (أوغندا)   فى لهف يجرى
يخترق السودان   لأخته مصر
قطران معدودان   الدهر كالقطر
حتى إذا وافى   من بعد ما أعمى
طوف تطوفا   بكعبة الدنيا
وراح ينصب   للبحر فى اطمئنان
كما قضى الصب   بعد اللقا جذلان[2]

وبعد أن صور الشاعر تجشم النهر هذه المتاعب لكى يلتقى بمصر كعبة الدني
وبعد لقائه بها يذوب فى البحر فرحاً بهذا اللقاء كأنه عشيق قد لقى عشيقه
يتساءل عن سر هذا التجشم للمشاق هل هو راحم يسقى صحاريها الجرداء أ
عاشق صب يعانق سهولها الخضراء :

ما جشم النهرا   تلك المشقات
علّ بها سرا   من أجله يأتى
أراحم يسقى   جرد صحاريها
أم عاشق يبغى   لثم عذاريها ؟[3]

---

(١) أى الزورق الذى سبق ذكره .
(٢) مجلة الرسالة السنة الثانية العدد ٥٧ .
(٣) نفس المصدر السابق .

وبعد هذا التساؤل يتاوه باكثير لأنه عرف الحقيقة فالنهر لم يتجشم هذه الصعاب إلا أنه يحب مصر ، وهو سعادة مصر ورخاؤها وهى اسعاده .

ومن هنا فانه يرى أن آمال العرب جميعاً فى مصر ، وهم يفدونها بكل غال ونفيس إذا لم يكونوا هم الفداء لمصر فمن يكون ؟ لأن فى عزها عزتهم وفى هواها هواءهم :

أواه هـل نجهـل مـا عـرف المـاء ؟
فى عزهـا نقتـل ونحـن أحيـاء
يـا مصـر نفـديك نحـن بنـى يعـرب
آمـالنـا فيـك كالشـمس لا تغـرب
من ذا يواسـيك إن لـم نكـن نحـن ؟
لحـن أمـانيـك لكلنـا لحـن[1]

وقد بلغ من حب باكثير لمصر أنه يرى أن مصر أم لجزيرة العرب وشرعية ذلك أنها تربطها بها العقيدة الاسلامية والأصل العربى وهذه الرابطة الوشيجة لا يمكن أن تنفصل مادام يجرى هذا النهر فهى باقية الى الأبد :

جـزيـرة العـرب مصـر لهـا أم
عقيـدة الـرب تجمـع والحـرم
ليس لهـا عنهـا صـرف ولا تحـويل
معـدودة منهـا مـادام يجـرى النيـل[2]

* * *

(١) مجلة الرسالة السنة الثانية العدد ٥٧ .

(٢) نفس المصدر السابق .

دور مصر الحضاري والتاريخي

وكان لدور مصر الحضارى والتاريخى صدى فى فكر باكثير وفى أغلب أدبه فهو يرى أن مصر بما لها من خلفيات حضارية وإنسانية قديمة وحديثة جديرة أن تكون مأوى وملتقى للاسلام والعروبة ومحط أنظار المسلمين جميعاً .

لهذا فانا نجده يقف فى جمعية (الشبان المسلمين) فى الحفل الذى أقامته ترحيباً بالزعيم الأندونيسى الكبير (سوموتو) يتحدث عن هذا الدور فيقول :

يا زعيم الشرق القصى سلاماً ألف أهلاً وطب بمصر المقاما
انها من ديار يعرب يودى جهدها المسلمين والاسلاما
تتلقاهم ببشر كما تعـ ـطف أم على بنيها اليتامى
بارك الله نيلها ، وبراها وادياً طيباً وشعباً هماما[1]

ثم بعد ذلك يقف يتحدث عن دور مصر الحضارى ودورها التاريخى قديماً وحديثاً فيخاطب الضيف قائلاً :

ها هنا قامت الحضارات من قبـ ـل ، وخط التاريخ أول سطر !
قف تأمل هنا عزائم (خوفو) وتنسم هنا شمائل (عمرو) !
وتنقل مابين ماض مجيد بعد ماض ، وحاضر مشمخر
نبذ القيد بالعزيمة والصبر ونادى : أن الحياة لحر[2]

وباكثير كما قدمنا يربط فى شعره وفى أدبه بين تاريخ الفراعنة وبين تاريخ الفتح الاسلامى أو بين مصر الفرعونية وبين مصر العربية الاسلامية وهو فى هذا الربط يتحدث عن صمود مصر على كثرة الأحداث التى مرت بها والنوب ، كما

---

(١) مجلة الفتح العدد ٥١٤ السنة (١١) ، ص ٣٣٢ .

(٢) نفس المصدر السابق .

أنه يتحدث عن الأطماع التى حامت حولها ، وعن العهود التى مرت بها واستعمرت أرضها واستعبدت أهلها خلال الأعصر السابقة وأنها رفضت كل هؤلاء ولم ترض إلا بأصلها القديم ، وبدينها القويم ، وبعروبتها الأصيلة :

سر رويداً هنا ، ففى كل ركن تنتحيه ذكرى تمثل عهدا !
هى أرض الأحداث لم تع أرض ما وعته منهن نحساً وسعدا
أمة بعد أمة راودتها لم تنلها إلا اباء وصدا
ثم لم ترض فى كتاب الليالى غير (عمرو) أبا و (أحمس) جدا[1]

وبالاضافة الى دور مصر الحضارى والتاريخى فقد كان لها دورها الثقافى فهى كعبة العلم منذ القدم ، وهى منهل المعرفة . ولولا مصر لضاع أكثر التراث العربى والاسلامى . وشاعرنا فى كل هذا ينظر الى مصر نظرة الحامى للتراث العربى الاسلامى . ونظرة المعطاء والباذل للثقافة للعالم العربى والاسلامى حيث يقول :

وتيمم معاهد العلم واشهد كيف تبنى كيانه الضخم مصر
شرعت منهلاً لكل بنى الاسـ ـلام والعرب سائغاً لا يمر
تتوخاه من ربى الصين والهنـ ـد وأندونيسيا جماهير كثر
يتلقى آى العروبة فيها كل حر ينميه للعرب قطر[2]

وفى هذه الأبيات يقرر الشاعر ما لمصر من مكانه ثقافية فى العالم العربى والاسلامى حيث يؤمها آلاف الطلاب من مختلف دول العالم العربى والاسلامى ليتلقوا فيها العلوم العربية والاسلامية . ولهذا فانه بالأضافة الى حفاظها على التراث الاسلامى فهى مصدر اشعاع ثقافى وعلمى للمسلمين فى أنحاء العالم .

---

(١) مجلة الفتح العدد ٥١٤ السنة (١١) ، ص ٣٣٢ .

(٢) نفس المصدر السابق .

وبالاضافة الى مكانتها التاريخية والثقافية فقد كانت مصر موطن النضال وبقعة الزعامة ومن آيات ذلك شبابها المناضل والمكافح عن وطن العروبة الذى نفس كرب الشاعر وبرد ما فى نفسه من حرارة يلظيها الظلم والطغيان بثورتهم على الاستعمار البريطانى وبذلهم لدمائهم العزيزة فى انقاذ مصر . والشاعر يطمئن على مستقبل مصر طالما فيها هذه الأسود المفترسة :

رفعتم شباب النيل أمس لواءها ... فنفستم كربى وبردتم وجدى
وثرتم على الحامى العنيد وصحتم ... (نعيش كراما أو نغيب فى اللحد)
بنفسي دماء اهرقت فى جهادكم ... تحن الى اسلافها قبل فى (أحد)
جريرتها أن كلفت حمل قيدها ... وما خلقت الاقضاء على القيد
أرى الحق فى الدنيا يرد لقاهر ... ولم أره يوما يرد لمستنجد

ويغضب (باكثير) لكرامة مصر

فيزمجر قائلا :

أتداس للوادى كرامته ؟ ... أيصان من غدروا ومن ظلموا ؟
هلا فتى يسخو بمهجته ؟ ... هلا فتى للعز ينتقم
وهناك صاح دم فردد فى الـ ... ـوادى فلباه دم فدم !!
أصغى له (الطاغى) وقبل شكا ... الشاكى فلم يسمع له كلم
لا يسمع الخطباء مظلمة ... ما يسمع الدم من به صمم

وبعد ذلك يخاطب مصر بأن هذا الشهيد لم يقم سوى بواجبه فهو ينتقم لهوانك من هؤلاء الطغاة المستبدين . ثم ان فيك آمال العرب جميعا وآمالهم فإن سدت سادوا وأن هنت هانوا فمصر كالنور الذى يسيرون على هداه :

يا مصر لم يف غير واجبه ... مستشهد لعلاك ينتقم

ـت الكنانـة أرضهـا ذهب تنمـى الفنـون وماؤهـا شبم
رعـى (الجـزيرة) فيك نهضتها أو تألمين فكلهـا ألم
ا تنقلـين لسـؤدد قدما إلا وتقفـو هالهـا قدم

وباكثير لا يؤمن الا بالقوة فالخطب والكلمات والشعارات وصرير الأقلام لن حرر شعبا ، وإنما تحرره القوة فالعالم لا يستمع الى صوت الضعفاء بل إلى صوت أقوياء

ومصر ان أرادت فكاكا من نير الاستعمار وان ارادت حرية فلابد بأن تأخذ سباب هذا الخلاص ذلك أن دون بلوغ مرماها صعاب وعقاب ولن تذلل هذه صعاب ، ولن تسهب هذه العقاب إلا القوة خصوصا وان أبناءها قد عزموا على خلاص ، وفي وحدتهم وشدتهم وعزمهم ما تندك له الجبال الشامخة :

ستقبلى (العهـد الجـديد) بما تجلى به عن افقـك الظلم
ى عتـاد الجيش تحترمى فالجيش دون الحـق يحترم
ـا لفـى زمـن يسـود به بـين الشعـوب الفاتـك الحطم
سيف . يخطـب فيه مرتجلا في العـالمين ويهمس القلم !
أ الجهـاد اليوم ـ اذ فرغت من قدحـه كفـاك ـ يحتدم !
ن المرام مصاعـب غلب لكنهـا بالعـزم تقتحم
نـوك قد عزمـوا الخـلاص ولن تقف الـرواسى دون ما عزموا
ـت أنهـم بمـا اتحدوا غلـب الأسـود وانـك الأجم

ثم لا ينسى شاعرنا أن يحيى شهداء مصر الذين بذلوا دمائهم فى سبيل ستقلال مصر وحريتها :

ـداء مصر ليهنـكم نزل بجـوار (سعـد) يحوطـه العظم
سمتـم بشراء أنفسكم فى حب مصر فبـورك القسم

وقد قوّت مصر جيشها واعتمدت على بنيها . فكانت ثورة الجيش فى ٣
يوليو واستيلائه على السلطة فى البلاد ، حيث طهر مصر من الفساد وأنقذها م
الظلم ، وانتقم لشهدائها .

ومن هنا فقد خاطب الشاعر المجاهد الجزائرى الكبير (الفضي
الورتلانى) الذى قدم إلى مصر بعد الثورة وكأنه يطلعه على انجازات الجيش
الذى حرر مصر من الاستعمار وأعوانه :

أفضيل هذى مصر تحتفل   بلقاك فانعم أيها البط
انظر تجد مصر محررة   مذتم فيها الحادث الجل
بعثت اليك تزاك وقد   نلت المنى وتحقق الأم
وانجاب عنها البغى وافسحت   للمكرمات امامها السب
غادرتها والظلم مكتهل   وقدمتها والعدل مقتب
الجيش حررها وطهرها   والشعب حول الجيش ينتض
حدث به عزت ، وعز بها   وطن (الكتاب) السهل والجب
الوثبة الكبرى بها سبب   تحيا به امجادنا الأو
ستعم بعد غد مبادئها   وطن العروبة فهو متصل[1]

ويغضب باكثير لمصر غضبة مزمجرة عندما وقع عليها العدوان الثلاثى فى ع
١٩٥٦ وينظر يمينا وشمالا فلم ير ما كان يرجوه من وحدة العرب وجمع شمله
فيلحاهم قائلا :

يا بنى العرب يا بنى العرب لا   اسمع غير الصدى إلىّ يع
أين أنتم لا دردر أبيكم   أقصور تضمكم أم لحود

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ، ص ٢٣٤ ، طبعة بيروت

تمنيت لو نميت إلى الزنج وما مت بى اليكم جدود
إنما أنتم شنار وعار ووبال دان وغوث بعيد
لعنات من السماء عليكم تمتريها صواعق ورعود
ن اصلاب يعرب لبراء منكم أيها العبيد العبيد[1]

ثم بعد هذه الصواعق والحمم التى قذف بها باكثير العرب من اجل مصر يلتفت لينخاطب مصر بعاطفة صادقة جياشة ويتمنى لها العزة والمنعة ، ذلك أنها الأمل والرجاء حين تدهم الخطوب وتتلبد السماء بالظلمات :

يه يا مصر لا يذل لك الدهر لواء ولا يفل حديد
نت أنت الرجاء حين طغى الـ يأس علينا والهم والتسهيد

* * *

وبعد فهذه مقتطفات من شعر باكثير الوطنى وتغنيه بمصر وتفانيه فى حبها ونظرته إليها كرائدة ، وقائدة وزعيمة للأمة العربية . ذلك أن لها من القدرات والامكانات ما يبوؤها هذه المكانة ، وما يجعلها مفخرة العرب والمسلمين جميعا وهذا تاريخها القديم والحديث يشهد بذلك فكم من اطماع أمتها فعادت خاسئة حسيرة ، وكم من خطوب داهمتها وصمدت لها صمود الشوامخ وردتها على أعقابها ، وتلاشت تلك الأطماع وتلك الخطوب وبقيت مصر شامخة مشمخرة على طول الزمن وعلى مدى الدهر .

رحم الله باكثير رحمة واسعة فقد عاش يحب مصر ويتعبد فى محرابها حتى قضى نحبه فيها .

---

(١) نفس المصدر

الفصل الثالث :

أحداث العروبة وقضاياها في شعر باكثير

كان الحديث قد أخذ منا وقتاً ليس بالقصير فى الفصول السابقة عن طابع الأقليمية فى شعر باكثير . وكنا قد تحدثنا حديثاً خاصاً عن مشاكل وآلام وطن باكثير الأول (حضرموت) وأبرزنا منهجه الاصلاحى فى اصلاح ذلك الوطن الصغير وتحدثنا بعد ذلك عن موطن باكثير الثانى (مصر) وعن اعجابه بهذا الوطن وحبه له ، واخلاصه وتفانيه فى سبيله ، وعن تصويره لآلامه وآماله . أما حديثنا فى هذا الفصل فانه سينصب على مشاكل العروبة وقضاياهـا ، وعلى توضيح رؤية باكثير لهذه القضايا وتصويره لهذه الأحداث ، وعلى أبراز العاطفة الوطنية وقوتها فى تسجيل هذه الأحداث ، وتصوير هذه القضايا .

وفى الواقع قد واكب حياة باكثير كثير من الأحداث وكثير من الثورات فى الوطن العربى . فمن مشاكل داخلية الى غزوات استعمارية خارجية وكان العالم العربى فى هذه الفترة يعيش فى اضطراب وقلق وعدم استقرار . وكان يعيش فى تفاعل ثورى ، وكان يغلى بمراجل الثورة وبراكين الفكر ، وحركات النضال وقد اشعلت هذه الأحداث تفكير شاعرنا وألهبت حماسـه ، وزادت حسـه الوطنى وعاطفته الجياشه توقداً واضطراباً .

ومن هنا فقد وقف على أحمد باكثير عند أحداث العروبة وقضاياها وقفة طويلة . فنوه بهذه الأحداث وسجلها فى شعره ، وتعمق هذه القضايا وتولاهـا بالدرس والتحليل والفهم ، ووقف عند مشاكل الأمة العربية وقفة الوطنى الثائر

الغيور المتحسر على مجد العروبة الضائع المتطلع الى فجر أمته الجديد ، والمتلهف الى عزة الأمة العربية ووحدتها ، وقد جسد كفاحها ، وأبرز بطولاتها ونافح عن كيانها ، وسجل آلامها وآمالها .

والحقيقة أن هموم العروبة ومشاكلها وقضايا الوطن العربي وأحداثه قد شغلت باكثير ، واستولت على فكره ووجدانه فهو رجل لايشغله شاغل إلا هذه الأحداث وتلك القضايا والمشاكل . فكم اسهدته الليالى ، وكم اقلقته وكدرت صفوه ، ولهذا فقد طبع أكثر أدبه بطابع الوطنية الثائرة المتحمسة ، وبطابع الغضب المتأجج الغيور على كل ما للعروبة والاسلام من أمجاد وتراث . فكتب كثيراً من الكتابات السياسية التى تنم عن عمق بصيرة ، وبعد نظر ، واحساس عميق بما يدور فى العالم العربى من أحداث ومن قضايا مصيرية تتصل اتصالاً مباشراً بمستقبل الأمة العربية . ولعل كتابه (مسرح السياسة) الذى يضم بين دفتيه مجموعة تمثيليات يشهد بذلك فقد أودعه خلاصة مشاكل العروبة فى العصر الحديث وصور فيه قضاياها المصيرية ، وحمل حملة شعواء على الاستعمار والصهيونية وليس (مسرح السياسة) فحسب بل كثيراً من الكتابات الأخرى التى نشرت فى الصحف والمجلات ، وكثيراً من المسرحيات من مثل (مسمار جحا) و (امبراطورية فى المزاد) و (شيلوك الجديد) و (شعب الله المختار) .... الخ . فكل هذه الأعمال لهى خير دليل على مايعتمل فى أعماق باكثير من حب وخوف على العروبة وأبنائها ، وكره وثورة على الاستعمار وأعوانه . ولا أحسب أن أديباً عربياً فى العصر الحديث قد ربط بين أعماله الأدبية وبين العروبة والاسلام كما ربط الشاعر والأديب على أحمد باكثير .

وفكر باكثير الوطنى قد وسع كل حدث فى العالم العربى مهما كان صغيراً ولهذا فانك تجده يهتز من أعماقه لكل حدث فى الوطن العربى . ان كان خيراً

أسبغ أبراد البشر عليه وطوقه بأكاليل الزهور ، وفرش الطريق أمامه بالآمال والأماني وان كان شراً صاح في وجهه وصرخ فيه ، وزجر وتوعد ، وأنبرى يفنده ، ويصور عواقبه ، وينبه على أخطاره .

وكما وسع فكره أحداث العروبة فقد دار حول جميع قضاياها لا حول قضية معينة . ولهذا فتجد حديثه متشعباً حول الوحدة العربية ، وحول قضية فلسطين وحول مستقبل الأمة العربية .

وقد كانت الآلام تعصر باكثير عصراً لما حل بالعرب من ضعف بعد قوة ، ومن شتات بعد وحدة ، ومن ذل بعد عزة ، وكان يتألم ويتحسر على ماضيهم المشرق ، وكان يتطلع الى اليوم الذى تتبدل فيه كل هذه الأمور ، والى اليوم الذى يعيدون فيه مجدهم الضائع :

أواه من ذل نكابده ... لا نستطيع لثقله طرحا
إنا بنى قحطان ذل بنا ... أنا نسينا السيف والرمحا
هل نستعيد قوى بها فتحت ... أباؤنا الشم الدنى فتحا
ونثور متخذين عدتنا ... دمنا الصريح وديننا السمحا
ذخران لو فى غيرنا اجتمعا ... بلغ السماء وصافح النطحا !![1]

فهذا التوجع الذى يحس به الشاعر (أواه من ذل نكابده) يفصح عن نفسيته وفجيعته بما حل بقومه . وهذا ماجعله داعياً الى الثورة فى معظم كتاباته الوطنية (ونثور متخذين عدتنا) فهو يرى أن القوة هى السبيل الوحيد لاسترداد الحق وليس الخطب والمقالات فالأعمال هى التى تظهر المقال . وهو يرى أن العروبة والاسلام لو اجتمعت لأمة من الأمم لرفعتها الى عنان السماء . وهو هنا

(١) مجلة الفتح العدد (٣٩٦) السنة (الثامنة) .

كما قلنا سابقاً يمزج بين العروبة والاسلام (انا بنى قحطان) (ودينا السمحا) وأنت لاتستطيع أن تفصل فى شعره بين الاسلام والعروبة .

ولعل فى هذه الأبيات الدليل على صدق العاطفة ورقة الأحساس والشعور عند الأديب باكثير بآلام العروبة .

وإذا كان قد عاصر باكثير فى فترة كفاح الأمة العربية كثيراً من الأدباء والشعراء فانهم فى رأينا ـ لم يصلوا الى نظرة باكثير واتجاهه القومى المضطرم بالثورة ، والمتأجج بالحماس ولم يدركوا غايته الوطنية ذلك أنهم كانوا يلمون الماماً عاماً بقضايا العروبة وأحداثها . أما شاعرنا فقد كان يقف من هذه القضايا موقف الدارس والمحلل لها والمتعمق فيها . وكان موقفه من الأمة العربية موقف الحاث المحرض الموقظ والمنبه لما يتهددها من أخطار ، وموقف المستنهض لشعوبها .

وقد تأصل فى فكر شاعرنا الاتجاه القومى الوحدوى ، وتعمقت نظرته فى قضايا العروبة ومشاكلها ومن هنا فلم يعد ينظر الى هذا الوطن إلا أنه وحدة لا تتجزأ وكيان واحد .

« كانت فكرة القومية العربية قوية عندى فى ذلك العهد ، وهذا الاتجاه كان هو الغالب عليّ فى ذلك العصر لأنى ماكنت أجزىء النظرة الى البلاد العربية بلداً بلداً بل اعتبرها كأنها وحدة خصوصاً والاستعماريين أنفسهم ينظرون الينا نظرة واحدة يعادوننا عداء موحداً ويعاملوننا معاملة موحدة »(١) .

بهذه النظرة الى الوطن العربى ، والى آلام العروبة وقضاياها ، وبهذا الأحساس العميق كان باكثير حرياً بأن يكون شاعر العروبة وأديب القومية

---

(١) (مع الأدباء) حديث إذاعى للأديب على أحمد باكثير من اذاعة البرنامج الثانى من القاهرة ١٩٦٩ م .

العربية .

* * *

١ - أحداث العالم العربى

بعد أن عرضنا عرضاً سريعاً لنظرة باكثير الى الأحداث القومية والى القضايا الوطنية وأوضحنا مدى قوة عاطفة الشاعر تجاه هذه الأحداث وهذه القضايا ، وكان حديثنا هناك عاماً وأحكامنا أحكاماً عامة ربما جاءت غفلاً من الدليل الذى يسندها فى بعض الأحيان . فإننا هنا سوف نعرض لهذه الأحداث بشىء من البسط والدراسة والتحليل وسوف نعزز ماذهب اليه من آراء بنماذج ، ونصوص من شعر باكثير .

والحقيقة .. فقد واكبت حياة شاعرنا أحداث كثيرة وعاصرته أمور خطيرة وقف عندها جميعاً وسجلها فى شعره .

١ ـ وأول ما يطالعنا فى شعره من هذا القبيل وقوفه فى وجه الثورة التى قادها الأدارسة فى عام ١٣٥١ هـ وكانت تساندهم فى ذلك الحبشة فقد انبرى شاعرنا يفند مشاعر هؤلاء الخارجين ويرد عليهم وكله ألم وأسف لأراقة الدماء العربية بأياد عربية ، ويلقى تبعة هذا الاقتتال على الأيادى الخفية التى تلعب دورها فى إشعال هذه الفتنة من وراء الستار بما تنشر من بدع وخرافات ، وبما تدفع من أقوال استمع اليه يقول فى قصيدة بعنوان « ماذا فى عسير » حيث يصور هذا الاقتتال تصويراً مؤثراً :

فارت تنانير الثبور وبدت خفيات الأمور
وتفلق الأصباح عن قتلى وصرعى فى عسير

ا يَئِنُّ من الجرا ح وذاك موصول الزفير
لى رباها رب حر يلفظ النفس الأخير
ك الدماء اليعربية أهرقت فوق الصخور
الت على الشفرات ينضح من حواشيها العبير
بقت على دهش الى حرب العشير من العشير
رت على غير الرشا د بها شياطين الغرور
داء أنفسهم عبيد دراهم الخب الغدور
روا كتابات بها فاحت قمامات الصدور
طلعت فيها أفاعى الخبث من خلل السطور[1]

* * *

وإذا كان باكثير تألم لما حدث فى قلب الجزيرة العربية من أراقة دماء عربية
ياد عربية وإذا كان ينظر هناك بأسى وحسرة الى ماحدث فانه هنا ينظر بأمل
بشر . فاذا ماعقدت اتفاقية الطائف بين أمام اليمن وملك السعودية بانهاء حالة
لحرب بين الدولتين ليسود السلام بالجزيرة العربية يتهلل خاطر شاعرنا لذلك ،
يبشر العروبة ويطلب منها أن تمسح دموعها وتستبدلها بالبسمات :

للعروبة وهى باكية تذرى الدموع وتشتكى البرحا
ى امسحى عينيك وامتثلى هذى الجزيرة تعقد الصلحا[2]

والشاعر على أحمد باكثير كان صدى لأنات العروبة وأحزانها وفى الوقت
سه كان صواعق ورعودا على اعدائها يزلزل من كيانهم ، ويقلق من مضاجعهم

---

[1]) مجلة الفتح العدد (٣٢٧) ، السنة السابعة .
[2]) مجلة الفتح العدد (٣٩٦) ، السنة الثامنة .

بما يقول من آراء ثائرة مجلجلة وكان يرى أن الكلمة الصريحة الحية لا تقل الأهمية عن السلاح الذى يحمله المناضل :

« وربما ظن أن الدفاع بالقلم من أضعف الايمان وهذا غير صحيح فرب ق يكون له من الأثر فى تحريك الجماهير العريضة والهاب حماسها وتعميق وعي ودفعها إلى العمل ما يفوقه كثيرا أثر السلاح الذى يحمله المقاتل فى ميدا القتال » [1] .

من هذا المنطلق .. منطلق الكلمة الشريفة الثائرة المقاتلة التى ظل باكت يناضل بها حتى قضى نحبه ، نجده يتحدث عن هموم الوطن العربى ويص آلامه حيث يقول عن اليمن :

اليوم تبعث امة أنف تبنى ليعرب قبة عل
موؤدة ثوت الثرى زمنا سبحان مخرجها إلى الدنيا
شعب نضا الأكفان عنه وقد بليت فأهداها الى يحيى
اهداه أثمن ما حوت يده هل كان يملك غيرها شيا ؟ [2]

ونقف امام هذه الأبيات اكبارا للتصوير الدقيق الذى صوره الشاعر فهو ق صور حالة الشعب اليمنى بالموت وهو لم يكتف بذلك بل جعله ملفوفا فى الأكفا (موؤدة ثوت الثرى زمنا) و (وشعب نضا الأكفان) ثم صور هذه الثورة بأ بعث لهذا الشعب بعد مواته (ملك يموت وأمة تحيا) وكيف ان هذه الأكفان ق بليت من كثرة قدمها والشعب الذى نفض عنه غبار التأخر ومزق هذه الأكفا قد أهداها إلى الامام (يحيى حميد الدين) وهو بذلك قد أوفى ذمته لأنه لا يمل

---

(١) مؤتمر الأدباء السابع ، ص ١١٥ ، طبعة بغداد .
(٢) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ، ص ٢٢٩ ـ ٦٣٠ ، طبعة بيروت .

شيئا غير هذه الأكفان ليقدمها للامام فهى كناية عن التأخر والفقر والمرض وجميع الآفات والعلل وهل هناك شيء بعد الموت والأكفان ؟!!

وبعد ذلك نجد الشاعر يتحدث عن هذا الأمام ، والذى دعته روح العصر والحياة الحديثة ان يطلق هذا الشعب من قيوده وأن يوفر له اسباب الحياة الكريمة من تعليم وحرية ، فأبى واستكبر وواصل ضغطه وجبروته وتنكر لهذا الشعب الأبى فما لبث أن أحاله وعرشه إلى خبر من الأخبار الماضية :

دكر رمى يحيى فأقصده هيهات تخطىء كفة الرميا
كم لاح فى الرؤيا يقول له : الشعب أجدر منك بالرعيا
نت امرؤ فان فدعه يعش لتعيش فى أجياله حيا
مضى يكذبها فما لبثت أن صيرته وملكه رؤيا[1]

وبعد ذلك يلتفت الشاعر إلى الشعب اليمنى ويوجه خطابه له مطالبا اياه أن يسرع الخطو حثيثا إلى غاياته العليا وأن ينطلق الى رحاب الحياة الكريمة لأن عهد الموت قد انقضى ووافاه عهد الحياة فلا عذر له إن هو توانى فالآمر الناهى قد قضى ، وأصبح الآمر الناهى . فعليه أن ينطلق فى سبيل البناء والتشييد ليعيد مجد أجداده الغابر فقد شادوا أعظم حضارة فى هذه البقعة من الوطن العزيز :

يا أيها الشعب الطليق ، أتى عهد الحياة ، فأحسن اللقيا
عد الرفاق وخلفوك مدى متطاولا فاطو المدى طيا !
نت ابن من شادوا حضارتنا من قبل أن نتلقن الوحيا
هيا البدار الى الفخار فقد نادى المنادى من عل هيا !

---

(١) نفس المصدر السابق .

لا عذر بعــد اليوم أن ونيت منــك الخطــى أو قصرت سع
الآمــر الناهــى قضى ومضى وملــكت أنــت الأمــر والنهيا(

ولكن الثورة فشلت بعد ذلك وألقى الامام احمد بن يحيى القبض على احر
اليمن وزج بهم فى السجون وأعدم الكثيرين من ابطال الثورة ، وسكت باكث
ولكن الى حين ؟!

* * *

وكان باكثير لسان حال أمته معبراً عن آمالها وأحاسيسها ، حاساً بآلامه
وقضاياها وهو لم يقف من ذلك موقف السارد المقرر بل يقف موقف المصو
النافخ فى جذوة كفاحها ونضالها .. الشاب على أوار يقظتها ونهوضها .

لذلك نجده يقف عند كل مناسبة أو كل حادثة معبراً عنها ناقلاً من خلاا
مايضطرم فى نفسه من سخط ، ومايتوقد فى فكره من أحاسيس فهذا (عـلا
الفاسى) المجاهد المغربى ينفى من وطنه فيقف باكثير عند هذا الحادث ويسج
أحاسيسه ومشاكل العروبة فى قصيدة تبلغ (٤٢) بيتاً يقول فى مطلعها :

ذكرتك يا علال والنــاس هجع وليس سوى جفنــى وجفنــك ساه
وللهــم حز فى فؤادى قاطع ولليــأس فتــك فى أمانــى حاص
تكاد الدجــى تقضى علىّ لأنها دجى العرب تاهت فى عماها المقاص
تداعت على قومى الشعوب فهاونت مصادرهــا عن حوضهــا والموا
اذا خاننــا وغـد من الغـرب سافل تحيفنــا نغـل من الشرق حاق

(١) شعراء اليمن المعاصرون لهلال ناجى ، ص ٢٢٩ ـ ٢٣٠ ، طبعة بيروت .

وبعد هذا المطلع الملتهب الشعور بما حل بالأمة العربية من مؤامرات وتكالب ستعمارى يتحدث فى هذه القصيدة عن آمال العرب ومستقبلها ويتوعد هؤلاء لاستعماريين ويبشر بالغد القريب :

ا استيقظ العملاق من طول نومه   وراع الـورى منـه نبـى ومارد
باويل باريس وروما ولندن   ويا ويل قزم بات فينا يعاند

ويدلف بعد ذلك إلى الحديث عن شعوره وشعور الأمة العربية كلها نحو مناضل علاّل الفاسى فيقول :

كرتك يا علاّل فانتابنى الأسى   أكابد من آلامه ما أكابد
كأنى أنا المنفى دونك فاصطبر   فهذا شعور من بنى العرب سائد
ودون لو يفدون منك مصمما   تلين ـ ويأبى ان يلين ـ الجلامد
صبورا على البلوى شديدا على العدى   تهون عليه فى الجهاد الشدائد

ثم يتحدث باكثير عن فرنسا الدولة الاستعمارية التى نفت المناضل المغربى علاّل الفاسى) حديث المكلوم ويصب جام غضبه عليها ، ويتوعدها ويكشف ن مخازيها وعللها ، كل ذلك فى اسلوب قوى عنيف متدفق من أعماق نفس رة غاضبة :

تك إلى (جابون) ألأم دولة   لها عضد فى المخزيات وساعد
لل للباغى فتنقض حلفها   وتسلم من غدر بها من تعابد
ضطهد الأحرار ظلما وتدعى   بأن ثراها للكرامة والد
نعلمها يوما بأن بغاءها   غدا وهو فى أسواقنا اليوم كاسد
تصبغ خديها فيحصب وجهها   وينعل فيه المفلسون الأباعد

فقد نخر الداء العقام عظامها   فمن نحرها لم يبق الا القلا
لقد خالت العجفاء انك واحد   أجل انت فى قدس البطولة وا
ولم تعلم العجفاء أنك امة   تجاهد فى استقلالها ما تجا
ثمانون مليونا يباهون كلهم   بخير لغات الأرض والذكر شا
(ألا كل شيء ما خلا الله باطل)   ألا كل شعب ما خلا العرب با

ولا ينسى شاعرنا أحاسيس المجاهد الخاصة ولكنه يرى أن هذه الأحاسيس
التى تذرى الدمع إنما هى احساسه بفقد عز العروبة وزوال مجدها وهو يصور ل
ذلك أصدق تصوير بقوله :

كأنى بدمع فى جفونك حائر   تراوده الشكوى سوى ما تراو
وما أنت ما لا يعرف العطف دمعه   ولكنه فى موقف الخطب جام
وفى دمعك الغالى خلاص لأمة   يسير بها منه إلى العز قائ
يجيش به بدر وأحد وخندق   وتمريه حطين وتلك المشاه
لقد نلت يا علاّل ما رمت فى العلى   وجد نزار بالذى نلت صاع

واذا كان باكثير قد وقف عند نفى (علاّل الفاسى) وثار على نافييه فإنه ق
هاج وماج وأثار الدنيا وأقعدها لاستشهاد البطل (صلاح الدين الصباغ) وهو ا
يقف هنا نائحا معددا مناقب الشهيد ، وإنما يقف غاضبا ثائرا منبها ومذكر
كعادته :

فيم احتشادكم هذا لتأبينى   أنتم أحق بتأبين الورى دونى
فما الشهادة الا ميتة كرمت   عن ميتة الداء أو عن ميتة الهو
انى نزلت بدار الخلد فى رغد   بين الخمائل فيها والرياحي

جنـــة ما بهـــا خوف ولا حزن — لولا رثـــاء لحـــال العـــرب يشجينى
مـت عليهـم وحـوش البغـــى قاطبة — من ثعلبـــان ومـــن دب وتنين
ا انتظـــاركم والحـــق حقكم — يعـــدى عليه ليعطـــى للملاعين
تطلبـــوه احتكامـــاً فى مجامعهم — بل استـــردوه قسرا فى الميادين
المسلمـــون جميعـــا من ورائكم — بأنـــدونيسيا وباكستـــان والصين
تندبونـــى فانـــى لم أمـــت ضرعا — فإن علمتـــم علىّ الـــذل فابكونى
إن تريدوا لوجـــه الحـــق تكرمتى — فابغـــوا الشهـــادة للـــدنيا وللدين
فابـــن الـــوليد على اليرمـــوك يرقبكم — وليث أيوب يرعـــاكم بحطين

هذه مرثية للبطل الشهيد (صلاح الدين الصباغ) وهى تفصح عن افكار باكثير وعاطفته الوطنية نحو العروبة والاسلام وهو يردد فيها ما سبقت الاشارة اليه فى غير موضع من هذا البحث من أفكار .

فأنت مثلا تجده محرضا على الثورة والاستشهاد فى سبيل الله والوطن ، نافخا فى روح العرب مثيرا للنخوة العربية مقرعا لهم :

يم احتشـــادكم هذا لتأبينى — أنتـــم احـــق بتأبـــين الـــورى دونى
ما الشهـــادة الا ميتـــة كرمت — عن ميتـــة الـــداء أو عن ميتـــة الهون

ثم يقول :

ما انتظـــاركم والحـــق حقكم — يعـــدى عليه ليعطـــى للملاعين
لا تطلبـــوه احتكامـــا فى مجامعهم — بل استـــردوه قسرا فى الميادين

وأنت تجده ايضا يأسى لتكالب القوى الاستعمارية على العرب :

قامت عليهم وحوش البغى قاطبة من ثعلبان ومن دب وتن

وبالتالى نجد هذا الربط بين العروبة والاسلام :

والمسلمون جميعا من ورائكم بأندونيسيا وباكستان والص

كما نجد نبش العبر من التاريخ كأنه يريد أن ينبه الغافلين ويقول لهم ه
تاريخ أجدادكم السابقين :

فابن الوليد على اليرموك يرقبكم وليث أيوب يرعاكم بحط

فهذه الأفكار كما قلت يرددها باكثير كثيرا فى شعره الوطنى ذلك أن شع
الوطنى اتخذ طابع الثورة والاعتبار بالسلف المناضل فى عصور العرب المشرقة .

* * *

هذه خواطر عابرة سقتها عن بعض احداث بلاد العرب ومشاكلها فى شع
على أحمد باكثير وهى ليست مستقصية لكل ما قاله فى هذا الصدد ولا شامل
له . لأن شعر باكثير الوطنى واسع وهو متجاوب مع كل حدث يحدث فى الوط
العربى ومع كل مشكلة تقع فيه . فيهتز لها باكثير من الأعماق ويرسل خواط
ثائرا صائحا بالعرب مستنجدا بهم مستغيثا . وكان يرى أن كل بقعة من هذ
الأرض التى تسمى بلاد العرب هى موطن له بل وطن لكل عربى ناط
بالضاد ، ولهذا فقد كان من أكبر المتحمسين للوحدة العربية ، ومن أشد الحريصي
عليها ، ومن أبرز المنادين بها . وسوف نتحدث فى الصفحات التالية عن أه
القضايا المصيرية التى عالجها باكثير فى شعره ، وعن أخطر المشاكل العربية
وذلك من مثل الوحدة العربية وقضية فلسطين ونكسة ١٩٦٧ م .

ب ـ القضايا العربية فى شعره

اذا كان باكثير قد وقف عند أحداث العروبة وآلامها ، وقفة المسجل والمفند والمواسى لجراحها . فانه قد وقف عند قضاياها المصيرية وقفة المجسد لآمالها وأمانيها . والمبشر لبعثها ومستقبلها وهذه القضايا هى :

١ ـ الوحـــدة العربيـــة :

وقضية الوحدة العربية كانت من أهم القضايا العربية ، وأخطرها فى نظر باكثير وكانت من أبرز القضايا التى شغلت فكره ، وأقلقت مضجعه ذلك أنها السبيل الوحيد إلى قوة العرب ، والى احترامهم وإعادة مجدهم الذى فقدوه بهذا الشتات والتمزق . ومن شدة إيمان باكثير بالوحدة العربية وحماسه لها أنه كان يعتبر الوطن العربى كله وطنه حيث ما حل وأين ما ارتحل . وأى بقعة من هذا الوطن الكبير هى مأوى له فهو لا يفرق بين أقطار العروبة ولا يجزىء النظرة ليها :

وددت لو أنـــى فى فلسطـــين ثائر ... لأهلى تنعانـــى الظبـــى لا القصائد
أو أننـــى فى اسكندرونـــة شاهر ... حسامـى عليه من دم الـــوحش حاسد
وفى برقـــة أو فى الجزائـــر قاصم ... ظهـــور العـــدى والباتـــرات رواعد
فتلك بلادى لا أفـــرق بينها ... لهـــا طارف فى مجـــد قومـــى وتالد

وإيمان باكثير بالوحدة العربية إيمان صادق نابع من أعماقه ، وآماله وأمانيه فى تحقيقها بين الشعوب العربية كبيرة . ولهذا فهو دائما يترقبها وينتظر تحقيقها ، فهى إن لم تتم اليوم لظروف وأسباب وخلافات بين حكام العرب فإنها آتية لا ريب

فيها غدا أو بعد غد .

استمع إليه يقول من قصيدة بعنوان (ذكرى حبيب) القاها فى مهرجان الشعر الثانى عام ١٩٦٠ م بدمشق :

فأخلد أبا تمام فى وطن هو للكرامة معقل أشب
الوحدة الكبرى له أمل يوم الوصول اليه يقترب
ان لم تتم فبعد غد والغيث قطر ثم ينسكب[1]

وقد كان إيمان شاعرنا بالوحدة العربية إيمانا مطلقا . فهو لم يختر لها قالبا ولا شكلا معينا ولم يحدد لها فلسفة معينة ، ولم يقنن لها القوانين ، ولم يضع لهـ حدودا . بل الوحدة من وجهة نظره جامعة تجمع العرب جميعا فى دولة واحدة من المحيط إلى الخليج واطار يضمهم فى ظل نظام واحد بدون قيد أو شرط .

وهذا اليقين وهذا الايمان بالوحدة العربية عند شاعرنا لم يكن وليد انفعال أ تدرج فكرى بل كان قديما نتيجة لتطوافه فى البلدان الأجنبية ووقوفه على أحوال العرب هناك واذا كان هناك من يتهمه بالاتجاه نحو الجامعة الاسلامية فانا لا ننكر انه يرى بذلك الرأى ويؤمن بهذا الاتجاه ولكنه من خلال العروبة أى أن تكون العروبة اصل الجامعة الاسلامية ورائدة لها .

وقد كانت أحلام باكثير فى تحقيق الوحدة العربية كبيرة حيث إنها كانت تستولى على فكره وعلى وجدانه ، ولهذا فعند ما تبدر بادرة فى الأفق لتحقيق هذ الوحدة ، أو عندما تبذر بذرة لغرسها يسارع باكثير ليبارك بهذه البادرة ، ويهنى بهذه الخطوة . متهلل الوجه مستبشر الوجدان .

---

(١) مهرجان الشعر الثانى بدمشق

وهذه رقصة من رقصاته ، ونغمة من نغمات حسه ، وهمسة من أعماق نفسه أطلقها عندما ما الغت المملكة العربية السعودية والمملكة العراقية الحدود بينهما ورفعتا قيود الجوازات بين البلدين فى عام ١٣٥٤ هـ . فقد أنشأ قصيدة بعنوان (كلنا عرب) [1] تحدث فيها عن اغتباطه بهذا النبأ وعن أحاسيسه نحو هذا الاتفاق . وقد آثرنا اثبات هذه القصيدة كاملة لأنها تعبر عن فرحة باكثير بتباشير الوحدة العربية حيث كان يرى أن هذا الاتفاق يعد خطوة أولية فى سبيل تحقيقها :

استمع اليه يقول :

علمـا يعـرب جمعـا فى علـم
ضـم (بغـداد) فى ظلـه والحـرم

* * *

يا همومـى ابعـدى ! يا سـرورى هلـم
يقـظـة مـا رأى مسـمعـى أم حلـم

* * *

بل هـو الحـق إن شئـت فاسـأل دمك
ويـك جـارى اليـ ـوم من أعلمـك
أنـت ذا تنبـرى راقصـا فى العصـب
ويحـك أرفـق بقلـ ـبى فقلبـى يحب

(١) مجلة الفتح العدد (٤٣٣) السنة الثامنة ، ٧٥٨

فأجـاب الـدم ... ثائـرا محنقـ
مغضـبـا بكظـم ... نفسـا محرقـ
مـا شـككت بـه ... أيهـذا الغبـى
قـد أحس بـه ... دمـك اليعـربى
أعجيـب ! أخ ... ضـم عطفـاً أخـاه
كبـرت جمـلة ... حملتهـا الشفـاه
أو ليس العجـب ... طـامـع فى أخيـ
مسـتعـين علـى ... أهـلـه صائـدي
أكمـه لا يـرى ... إنـه أكمـ
ليس مـن يدعـى ... مثـل مـن يبـر
بأبـى يعـرب ... أتـظـل الأبـد
أممـا تلعـب ... والليـالـى تجـد ؟

تلك المانيـا ائتلفـ ... ـت من أمـم
شيـع فى هـوى ... ولسـان ودم
وبنـو يعـرب الـ ... أمـة الواحـدة
تكسرت بينهـا (الوحـ ... ـدة) الخـالـدة
أو لم يجمـع الضـ ... ـاد والعنصـر
أو لم يجمـع الـ ... ـوطـن الأكبـر
مـا لهـذى الحـدود ... ارفعـوهـا ارفعـو
ويلهـم قطعـو ... نا لكـى يبلعـو

ا شجـا فى لهـا ... ة العـدو الألـد
يحـك أصلـب فمثـ ... ـلك لـن يـزدرد

* * *

ـي ليث العـرب ... عـاهـل المكـتين
شـت يا ابـن النجب ... حـامـى المسجـدين
ا أبـا الناطقـين ... باللسـان المبـين !!

* * *

حيـي شبـل العرب ... عـاهـل الرافـدين
فيصـل) لم يغـب ... يـا حفيـد الحسـين
ا فتـى الناطقـين ... باللسـان المبـين

* * *

ـذه خطـوة ... والخـطـى بعـدهـا
ـم تهـن أمـة ... ذكـرت مجدهـا !!
ـطـن واحـد ... أمـة واحـدة
نصـر واحـد ... لغـة واحـدة
منـا واحـد ... فى حيـاة ومـوت
ن حـدود الربـا ... ـط الى حضر مـوت
ن مـا بيننـا ... ـ للغـد المرتقـب ـ
ن تـزول الحـدو ... د وتـطـوى الحجـب ـ

هذه كلمة مخلصة تفصح عن ايمان باكثير بالوحدة العربية ، وحماسه لها ، علن فى وضوح عن أن التفرق هو سبب ضعف العرب كما تفصح عن آماله فى حاد العرب وجمع شملها لكى يعيدوا مجدهم الغابر .

٢ ـ قضـــية فلســطين :

شغل العالم العربى فى الثلاثينات من هذا القرن بأهم قضية فى الع
الحديث وهى قضية الاستيطان اليهودى فى فلسطين وطرد المواطنين الأصلـ
وتشريدهم أو تقتيلهم ، وقد شغلت هذه القضية الفكر العربى بصفة خاص
فانبرى يفند مزاعم اليهود ويرد على دعاويهم ويثبت بالحجة والبرهان بطلان
ما يرددونه من مزاعم .

وقد كانت هذه القضية شغل (على احمد باكثير) الشاغل فقد استول
على تفكيره ، واهتم بها اهتماما خاصا . فأخذ يتعمق هذه المشكلة بقراءة تار
اليهود ، والوقوف على جميع تحركاتهم ومؤامراتهم منذ العصور القديمة حتى يق
على جلية أمرهم ، ويكشف دعاويهم ، ويحبط خططهم وما كان من هذا الاه
الذى تدفعه وطنية باكثير الصادقة إلا أن استنفر قوى الشاعر الفكرية فأخرج
العديد من المسرحيات تتحدث عن تاريخ اليهود البشع وعن مؤامراتهم الدنيئة
فقد كتب فى هذا الشأن (شيلوك الجديد) و (اله اسرائيل) و (شعـب ا
المختار) و (مسرح السياسة) وغيرها من الكتابات التى تبرز قضية فلسطين
وترد على دعاوى الصهاينة ، وتسفه أحلامهم فى اغتصاب فلسطين . وقد أوض
باكثير وجهة نظره حول هذه القضية وعن اهتمامه بها بقوله :

« تدور مسرحيتى القادمة حول مشكلة اسرائيل واهتمامى بهذه المشكلة قد
لأنى أعتقد أن قضية فلسطين هى مفتاح القضايا العربية كلها وهى قضية حي
أو موت بالنسبة للشعب العربى كله بخلاف القضايا العربية الأخرى لأن البلا
الأخرى مهما اشتدت وطأة الاستعمار فيها فالأمل كبير فى تخليصها م
سيطرته » .

فبالنسبة للقضية المصرية مثلا لم يكن من المعقول أبدا أن يظل الاستعمار مصر إلى الأبد لأنه اذا سيطر عليها سياسيا واقتصاديا فلم يستطع - بل لعله يحاول - أن يقلب تاريخها وذاتيتها من بلد عربى إلى بلد غير عربى . أما ذى حدث فى فلسطين فهو اكثر من الاستعمار إذ إن معناه تحويل قطعة من أرض العربية إلى أرض غير عربية اخرى يسكنها إلى الأبد شعب غير بى »[1] .

إذن فقضية فلسطين فى رأى باكثير قضية لا كالقضايا العربية الأخرى فهى ضية هذا الاستيطان اليهودى وطرد العرب من منازلهم وتشريدهم . ومن هنا كان ثار اهتمامه بهذه القضية كبيرا فهو يرى أيضا أن هذه العصابة اذا حشدت قواها جندت امكانياتها لا يستبعد أن تسيطر على العالم العربى كله خصوصا وانه ان يعيش فى تمزق وتخلف وخمول وتحوله من وطن عربى إلى وطن يهودى . ويرى ن هذه المشكلة كانت نعمة على الأمة العربية لأنها ايقظتها من سباتها العميق بثت فيها الروح والتأهب لدفع ما يتهددها من خطر ويرى أن من نتائج ذلك و ثورة ٢٣ يوليو ١٩٥٢ م التى أيقظت الشعوب العربية ونبهتها للخطر المحدق ا وقادتها فى معاركها الفكرية والعسكرية[2] .

وفى مسرحية (شيلوك الجديد) تنبأ باكثير بضياع فلسطين وكان يرى ان سلاح الوحيد الذى كان يمكن للعرب ان يستعيدوا به فلسطين هو المقاطعة ربية .

وقد كان باكثير يرى أن تحرير فلسطين ممكن اذا تكاتف العرب جميعا

---

١) مجلة الأدب العدد (١١) السنة الثالثة ، ص ٦٧٩ ، مقال للأديب باكثير .

٢) نفس المصدر السابق .

واتحدت كلمتهم فليس قضية فلسطين أخطر من الحروب الصليبية ولا من الحر
التترية والحرب والاصرار هو السبيل الوحيد لخلاصها .

وقد بلغ من اهتمام باكثير بقضية فلسطين وانشغاله بها انها كانت تقتحم ع
خلواته الذاتية . ففى قصيدة بعنوان (بين الصحو والذهول) [1] التى يتحد
فيها عن خلجات نفسه وفلسفة هذا الكون وكان ذلك فى ليلة أرق لها حي
تساءل (أأنا حلم من أحلامه ؟) ـ أى الكون ـ تدفع الباب عليه قض
فلسطين من نافذة فلسفية رمزية فى هذا الوجود :

وبينما النشوة فى أوجها ... كنت بها المشهود والشا
وقد تلاشت ثمّ فى موجها ... فوارق الكثرة والوا
وكاد فيما يحسب الساجد
يتحد المعبود والعابد
اذا بها تهبط من أوجها !
إذ روعتنى بغتة صيحة ... منى انطوى فى أثرها المش
نار كوت رجلى ؟ أم شوكة ... لا شوك من حولى ولا مو
ولاح شيء فى الثرى أسود
يسعى كجانٍ فر يستنجد
كى يتوارى لائذا بالحجر
هل اقتل العقرب ؟ ما ذنبها ... وقد براها هكذا البار
إن لسعت رجلى فذا دأبها ... شبَّت عليه منذ أده
إن لهذى حرمة الجار
كانت معى فى الموكب السارى

(١) شعراء اليمن المعاصرون ، ص ٢٥١ ، وما بعدها ومجلة الأديب البيروتية العدد (٦) السنة السابعة

شـــارك قلبـــى مجـــده قلبها
ـــرت عنهـــا العفـــو .. لو لم يلح لى من وراء الأفـــق صهيون
تراءى لى بوجـــه قبح وبـــين فكيه فلسطين
ـــن حواليه الشياطين
ختلـــط العقـــرب والطين
اذ دستهـــا فى الأرض هل من مفر ؟

وقد بلغ بباكثير التحمس إلى أن تمنى أن يكون ثائرا مقاتلا فى صفوف المقاتلين من جل فلسطين لا شاعرا يجعجع بالكلمات :

دت لو أنـــى فى فلسطـــين ثائرا لأهلى تنعانـــى الظبـــى لا القصائد

ويمضى فكر باكثير فى تجسيد هذه المشكلة والاهتمام بها حيث كان يضعها فى لمقام الأول من بين المشاكل العربية المعاصرة . وفى قصيدة بعنوان (فلسطين لمجاهدة) [1] يلم باكثير بالقضية الماما عاما . وقد بنى هذه القصيدة على ادوار ن أربعة أبيات وكل دور يتحدث عن لون من الوان المأساة الفلسطينية وسوف عرض هذه القصيدة وندرسها حتى يعلم القارىء إلى أى حد بلغ فكر الشاعر فى عمق هذه المشكلة ، استمع اليه يقول فى المطلع :

ى يعـــرب ماذا دهـــاكم ؟ أجيبونى ألـــم تشهـــدوا أشـــلاءكم بفلسطين ؟
ق على الأرض الحـــرام دماءكم لارضـــاء منبـــوذ الخلائـــق مأفون
رامتـــكم فيهـــا تداس ، وشعبكم يســـام الـــرزايا باضطهـــاد أفانن
تـــل وتشريد وشجـــن ومغرم وتفتيش ابـــكار الحرائـــر والعون

---

(١) مجلة الفتح العدد (٥٠٥) العام (١١) عام ١٣٥٥ هـ .

فأنت تجده فى هذه الأبيات يصرخ فى العرب مستنجدا بهم لانقاذ فلسط
مثيرا فيهم الحمية والنخوة العربية بذكر النساء وتفتيشهن حتى يلهب النفوس
ويؤجج الأفئدة وهو فى هذا يرى أن المشكلة لا تخص الفلسطينيين فقط وإ
تخص العرب وتهمهم قاطبة .

وبعد ذلك يدلف إلى تصوير المأساة تصويرا مؤثرا ومعبرا عن واقع الأم
الجارية :

اذا ما ظلام الليل أرخى سدوله　　تجاوب نوح الثاكلات من الدور
فكم منزل أودى بكاسبه الردى　　ولم يبق فيه من طعام ولا نو
ترى الأم حيرى فيه ما بين صبية　　تصيح وشيخ كالحنية مذعور
وقد شغلت عن ثكلها وبكائها　　بجوع بنيها من فطيم وموجور

وبعد تصوير مأساة الأيامى والثاكلات يعود إلى تقريع العرب ويشمل به
التقريع الأمة الاسلامية كلها كعادته :

ألا ليت شعرى كيف تصبر يعرب　　على حالة فيها المنية تعذب
وكيف (بلاد الضاد) تغفو جفونها　　وجفن (فلسطين) دما يتصبب
وكيف يسيغ العرب برد شرابهم　　ومليون نفس منهم ثم تنكب
أيرضى بنو الاسلام مسرى رسولهم　　لأهون من فوق البسيطة يوهب

ويتحرق بعد ذلك ويتحسر لموقف فلسطين الذين يتصدون لليهود ويقاتلونه
ويصور حالة اليهود بمن يحارب وهو فى مأمن ويشير بذلك إلى حماية بريطانيا له
التى كانت مندوبة على فلسطين أثناء عدوان اليهود عليها :

فويح فلسطين ! تواثب قسورا　　يقل على اكتافه شر تني

ينفــث هذا الســم وهــو بمأمن ... وينشــب هذا مثــل حد السكاكين
لــو زحف التنــين فى الأرض وحده ... لقطــع أوصـــالا وديس على الطين!
لا يغتــرر بالليث فهــو يحوطه ... لأمــر ولا يبقيه إلا إلى حين

وفى هذا نجد أن الشاعر يرى لو أن إسرائيل كانت فى الميدان لوحدها لما جرأ اليهود على الاعتداء على السكان العرب وبأنهـا لو تركت بدون احتـواء قطعت اشلاء كما يرى أن بريطانيا لم تفعل ذلك باليهود الا لشىء فى (نفس غوب) .

ويوجه حديثه بعد ذلك الى بريطانيا صانعة هذه الدويلة وحاميتها وحديثه حديث تهديد ووعيد لا حديث استجداء أو خضوع فيقول :

ــد حدثونــا أن (لليــث) حكمة ... وأن له طرفــاً الى الغيــب ينظر
ل شاخ عقل (الليث) أم كلَّ طرفه ... فأصبــح فى اخطائــه يتعثر ؟!
ــزب عنــه عالــم متحفز ... يردد فى انحائــه : الله أكبر
يجــر فى (مصر) ويكظــم غيظه ... «بفاس» وفى (الصحـراء) ينهـى ويأمر

وكان فى تقدير باكثير أن وجود إسرائيل فى فلسطين هو هفوة من هفوات ريطانيا حيث إنها تجاهلت الأمة العربية ومن ورائها الأمة الاسلامية المتحفزة لنهوض وأنه سيأتى اليوم الذى تقتلع هذه العصابة وتلقى بها فى وجه الأسد ريطانى .

ولذلك فهى واهمة فى كل ما ظنته وفى كل مابنته وعليها أن تراجع حساباتها رجع الى عقلها وصوابها وتثوب الى رشدها :

يذهــب يبنـى (للعنــاكب) فى الهوا ... بيوتــاً تقيــه مايخــاف ويحذر
يــدرى غداً أن الــذى ظن باطل ... وأن الــذى لم يولــه الــرأى أخطر

وأن ليس يغـدو الهـر « قــط » ضيغماً   وفى « الشبل » ما فى أصله حين يك
فهل يعقل « الليــث الحكيــم » صوابه   (وهل يستحى أو يرعوى أو يفكر

* * *

وإذا كان العرب قد تخاذلوا وخذلوا فلسطين ولم يجودوا بدمائهم ولم يضح بأنفسهم فلا أقل من أن يبذلوا المال فى سبيـل نصرة اخوانهـم . هكذا يرى (باكثير) وهكذا يصرخ فى وجوههم قائلاً :

بنـى العـرب والاسـلام أيـن غياثكم   لأخوانكم فى الجنس والضـاد والدين
أيعطــى الملايــين الأقــل عدوكم   ولا تنفقـوا ـ فى كثـرة ـ نصف مليو
فليس باســلام ولا جاهلية   تخاذلــكم والشــح فى الله بالدو
وهـل يعـرف الإســلام شحــا وذلة ؟   وهل تعرف الأخـرى الحيـاة على الهو

وكأن الشاعر بذلك يرى أنه الى جانب المعارك الحربية يجب أن تكون هنا معارك بالمال ومحاربة اليهود بنفس أسلوبهم . ويعود الى تقريع العرب وتأنيبه تأنيباً مراً على تخليهم عن فلسطين :

لعــار بكم أن تستطيعــوا غياثها   فلا تهبــوا أرواحــكم لفلسط
وفى ضنــكم بالمال لا تبذلونه   لغــوث حمــاة المكرمــات الميامي
فلسطــين برهــان لكم فى جهادكم   أليس لديــكم قيمــة للبراهين
ولــو لم يكن فى موتهــا موت أمركم   لأودت ولــم تفتــح فما بأغيثون

إذن فمشكلة فلسطين فى رأى باكثير هى مشكلة العرب كما أسلفت جمي ذلك أن الأخطار التى هددت الأمة العربية والاسلامية كانت كلها تتجه أولاً ال فلسطين ثم تنطلق منها الى العالم العربى والإسلامى . وكم فى التاريخ من ع

ن مثل (عين جالوت) و (حطين) . وباكثير فى هذا يعود بفكره الى الأيام لغابرة ذلك أن فى حياة فلسطين التى هى مرمى الغزوات حياة للعرب جميعاً وفى وتها موت للعرب جميعاً وقد كان مصيباً فى ذلك وكانت نظرته صادقه فكم عانت لأمة العربية من هذه المشكلة وتعانى الى وقتنا الحاضر ومن يدرى ماذا تخفيه لأيام القادمة للعرب من جراء احتلال الصهيونية لفلسطين ؟!!

ويقف الشاعر بعد هذا الإلمام بجوانب المشكلة وعرض مأساة فلسطين هدداً الصهاينة مذكراً لهم بما فعل فيهم (هتلر) :

ل لبنى قمل الشعوب : رويدكم — فأحلامكم بالملك أحلام مجنون
ن تملكوا شبراً « بأرض محمد » — وتنكر هذا روح موسى وهارون
مر قلاكم « هتلر » عن بلاده ! — وطاردكم منها طراد الشياطين
رام علينا أن نعيش بأرضنا — إذا لم تطهر من نجاسات (صهيون) !

وبعد أن استعرض الشاعر مشكلة فلسطين ومأساتها مصوراً لكثير من جوانب هذه القضية يقف ليواسيها ويطالبها بالصبر والتجلد والصمود وألا تيأس تقنط من رحمة الله فالأمل كبير فى يقظة العروبة ونجدتها ، ويفخر بقومه العرب شجاعتهم :

نت فلسطين اثبتى وتجلدى — فما الصبر إلا عندما الصدمة الأولى
درى الورى أن « العروبة » لم تمت — وان لها فى المكرمات اليد الطولى
نا الألى لانرهب الموت كالحاً — ولا النار شؤبوبا ولا السيف مسلولا
نا أردنا أن نعيش ومن يرد — حياة يجد طعم المنية معسولا

* * *

وبعد استعراضنا لهذه القصيدة فانك تجد مدى عاطفة الشاعر نحو هذه

القضية ونحو العروبة وتحس مدى صدقه فى تصويره للمأساة ولما حل بأرض فلسطين من تشريد وتقتيل كما تحس هذا الاعتزاز والفخر بالعرب ومجدهم وبالتالى تحس بتلك الثورة المتدفقة فى كل مايقوله ويسجله من معانٍ صادقة ناب من أعماق نفسه .

والشاعر لا ينسى أن ينقل آلام فلسطين ومأساة العرب فيها الى العالـ الخارجي وبالأخص العالم الاسلامى فهو يقف فى الاجتماعات والمنتديات عند تلوح له الفرصة مذكراً بهذه المشكلة وطارحاً لهذه القضية أمام الرأى الاسلام العام فمن قصيدة يحيى بها الزعيم الإسلامى الأندونيسى « سوتومو »[1] يقف باكثير ليشرح لهذا الزعيم ما حل بعرب فلسطين من قتل وتشريد على العصابات الصهيونية :

وفلسطين هل أطيق مقالاً ... عن فلسطين أم أحير جواباً
كلماتي تموت - بين لساني ... ولهاتي - تعثراً واضطراباً
ان فيها هولاً وحر دم ينسا ... ب فوق الأرض الحرام انسيا
نزفته قحطان من قلبها الدا ... مي فخطت به كتاباً عجاباً

* * *

وفلسطين آه ويح فلسطين ... تعاني على العذاب عذا
إن فيها ارامـلاً ويتامى ... لا طعاماً يرونه أو شرا
حصد الموت كاسبيهم شيوخاً ... وكهولاً وفتية وشبا
تركوهم لرحمة الله والاسـ ... ـلام ، واستقبلوا الردى الصخا

(١) مجلة الفتح العدد (٥١٤) العام (١١) ، ص ٣٣٢ .

وبعد تصوير المأساة للزعيم الأندونيسى وتجسيدها تجسيداً معبراً يفصح عن نفعال الشاعر واحساسه بهذه القضية . يقف باكثير موجهاً خطابه لهذا الزعيم لاسلامى طالباً منه الغوث والتنويه بهذه القضية وأن يرفع صوته فى بنى قومه فنداً لهم ما يدور فى فلسطين داعياً لهم الى المشاركة والمساعدة فى هذه المعركة لتى هى معركة الاسلام والمسلمين جميعاً :

ا زعيم الاسلام فى أندونيسيا — عش زعيماً ليحيى شعبك شعبا
ت أسمى من أن أزيدك ذكرى — بفلسطين : أنت أرحم قلبا
ذا ما حوتك دارك فأملأ — ها دعاء الى الغياث وندبا
ك فيها الصوت البعيد مداه — من دعاه سعى إليك ولبى

* * *

هكذا كان باكثير يحس بمأساة فلسطين ، وهكذا كان يتألم لها ، وهكذا كان رفع صوته جهيراً بما يعانيه الشعب العربى فيها إذ ذاك من قتل وتشريد . وبهذا لأحساس والشعور تجاهها كان كثيراً مايردد ما تعانيه فى شعره بل فى كثير من تاباته .

* * *

ونقف بعد هذا وقفة قصيرة لنوضح وجهة نظر شاعرنا تجاه هذه القضية وحول لحلول الممكنة لحلها . ووجهة نظر باكثير فى مشكلة فلسطين هو الرفض لكل لحلول الوسط والرفض للصلح مع إسرائيل ، وهو يرى أن هذا حق للعرب ' يشاركهم غيرهم فيه وما على إسرائيل إلا أن ترحل وتعود من حيث أتت . إذا أبت غير ذلك فلا سبيل لاسترداد فلسطين إلا حمل السلاح وطرد الصهاينة

منها ، وأنه لا مساومة فى حقوق شعب فلسطين . وهو يقف فى وجه من ينادو
بالصلح ويتشدد فى ذلك ويعتبره انهزامية وخيانة للعروبة والعرب فى فلسطين و
قصيدة بعنوان (العضو الذى فسد)[1] يخاطب قادة العرب بقوله :

ياقادة العـرب لاتخفـوا المصـاب سدى — هيـا ابتـروا ذلك العضـو الـذى فس
القيـح والـدود فيـه ، لا شفـاء له — لا تتـركوه يعـل الـروح والجس
هيـا اقطعـوه والقـوه علانية — فى وجه صهيـون رجساً خالـداً أب
رجساً الى رجسـه لا فـرق بينهما — لتطـوينهما نار الجحيـم غ
قد جاء فى الـذكر ملعونـاً أبو لهب — وكان فى هاشـم أعلى الرجـال ي
ولـم يخـن قومـه والحـرب دائرة — ولـم يبـع للعـدى شعبـاً ولا بل

فالشاعر يرى هنا أن دعاة الانهزامية ودعاة الصلح مع إسرائيل خونة يج
أن تلفظهم الأمة العربية . فأنه لا فرق بينهم وبين إسرائيل وأعوانهم بل هم م
أعوانها ومشايعيها وأنهم بهذه الانهزامية ، وبهذه الخيانة يبيعون الشعب العربى
فلسطين للعصابات الصهيونية ، ويشبههم بالعضو الفاسد فعلى الأمة العربية ب
من جسمها حتى لا يؤثر فى باقى الجسم .

ويرى الشاعر بعد ذلك أن أضعف وسائل الحرب هو مقاطعة هذا الع
ومحاصرته ورفضه حتى يموت ويتآكل من الداخل وتسوء حالته وبالتالى يذهب ا
غير رجعة . وهو مودٍ لا محالة إذا لم يجد سنداً من العرب أما إذا وجد سنداً من
فسوف يؤدى بهم . والصلح من وجهة نظر باكثير لحد للعرب يقبرون به أنفسهم
أما للصهاينة فهو حياة :

صحواً بنى العرب من طول الكرى فلقد — قام العـدو على أبوابـكم رص
فأبقوا على أضعف الايمـان : أن تقفوا — على الحمـى دونـه حتـى يمـوت صد

ت مودٍ به إن لم يجد سنداً منكم ومودٍ بكم ان أحرز السندا
سلح للعرب لحد يقبرون به وللعدى هو مهد يكفل الولدا
ساكم ان تزلوا زلة عمها فتفتحوا لهم الأبواب والسددا
تبيدوا على أقدامهم ضعة إذن يعيشوا على أشلائنا رغدا
ـركوا بينكم نكساً أخا دخن يسعى الى خطة الأهوان مجتهدا
ـو بها سبباً عند العدى ورضا لكى يجمع أموالاً له لبدا
تقى الله فى دين ولا وطن سيان أن يكفل الأوطان أو يئدا

والشاعر يرفض الكيان الصهيونى من أساسه ويرى أن هذا الجزء الذى قد
من جسم الأمة العربية لابد أن يعود إليه بقوة السلاح ، وهو لا يفتأ يهتف فى
ى شعره الوطنى تقريباً بعد النكبة بهذا الرأى ، داعياً لخلاص فلسطين من أيدى
صهاينه ، وهذه الظاهرة ظاهرة الرفض توضح إيمان باكثير ويقينه بنصر العرب
هم صمموا على ذلك وتكاتفوا .

ولعل من أبرز شعره فى هذه الظاهرة هى تلك الأرجوزة التى نظمها عقب
ة ٢٣ يوليو ونشرها الأستاذ هلال ناجى فى كتابه « شعراء اليمن المعاصرون »
١٩٦٦ م عند الحديث عن الأديب على أحمد باكثير[١] .

وفى هذه الأرجوزة التى كنى عن عبدالناصر بصلاح الدين فيما أعتقد تبدو
ل باكثير فى خلاص فلسطين على يد هذا الزعيم ، حيث ستحل الأفعال محل
وال كما تصور :

قول بعد اليوم يا فلسطينْ لكن فعال كفعال حطينْ
صلاح الدين من عنانكْ يستنفر العرب الى ميدانكْ
ـا يدعى فلا يجيب صوت صلاح إذ يهيب ؟

ص ٢٥٤ .

ويشير الشاعر بعد ذلك الى الخطر الذى يهدد كيان الأمة العربية كل
وليست فلسطين لوحدها :

كفى كفى قولاً كفى كفى كفى   هذى بلاد يعرب على ن
لا مصرنا تبقى ولا العراق   إن طار من يميننا البـ

ويمضى بعد ذلك يصور الجنس اليهودى ويندد بأطماعهم فى أرض العر
والاسلام وماتصور لهم أحلامهم فى امتلاك المدينة المنورة ومصر والشام وتساءل
مستنهضاً أمة محمد صلى الله عليه وسلم . ثم يتحدث عن إنصاف اليه
ومسالمتهم ان سالمونا ومحاربتهم إن حاربونا ويتهددهم تهديداً عنيفاً :

لمن ؟ لقوم نفايات الأمم   هم شر مظلوم وشر من
مطية الشيطان من قديم   من عهد اسحاق وإبرا
ويل لهم يبغون بعد يثرب   ملكاً لهم فى قلب أرض يع
أين إذاً محمد أين ذهب   ان ذُل لليهود بعده الع
لا والذى به اليهود تجحد   لكلنا فى قلبه مح
يوصى بانصاف اليهود فينا   ما لزموا الحد وس
فان بغوا فالذبح بالشفار   والدق بالخطى وا
والدك للحصون والديار   والطمس للرسوم وا

وبعد ذلك يتحدث عن دسائس اليهود بعضهم لبعض وعن أخلاقيات
الجنس من البشر وطرقهم فى الكيد للآخرين بواسطة النقود :

حتى يلوذوا بجحور الأرض   وَيشِى البعض بسر بع
ويؤمنوا أن لكون البارى   ربا سوى الدرهم والد

وفى نهاية الأرجوزة يعرج على من هم وراء إسرائيل يساندونها مادياً ومعن

لذين يطيعونها طاعة عمياء ، ويوضح لهؤلاء أخلاقيات اليهود وقيمهم ويحط من درهم ، وبمقابل ذلك يرفع من شأن بنى قومه ، ويفخر بهم فى عزة واباء :

مئـذ يدرى عبيـد القوم إذا استفاقـوا بعـد طول نوم
كل باغ مفسـد غدار أخـى جنيـه أو أخـى دولار
يـع صهيـون ولا يعصيه ولا يقـول غـير ما يرضيه
إيمـان اليهـود كفر وان أرقـام اليهـود صفر
وعـد العـرب وعـد حر وأن لحـم العـرب لحـم مر
ـم لايتـركون شبراً من أرضهـم حتـى يبيـدوا طرا
ـا صهيـون ملك من ورق ان مسـه عزيمـة العـرب احترق

* * *

وبعد فهذه خواطر عابرة وجوانب متعددة ولمحات خافته من قضية فلسطين فى ر على أحمد باكثير أرجو أن أكون قد وفقت الى عرضها عرضاً يجعلها قريباً من صواب ، وأرجو أن أكون قد وفقت الى فهم ما أراد باكثير والى ماقصد . وليس من فضل فيا أعتقد فى الذى عرضته غير الشرح والتوضيح أما آراء باكثير فى ا الشعر فهى واضحة بينة لا يكتنفها غموض ولا التواء . ذلك أنها تدور حول هوم باكثير لهذه المشكلة فهو يرى أنها أخطر قضية تواجه العرب فى تاريخهم اصر وهى قضية حياة أو موت بالنسبة لهم . وهو فى شعره الذى عرضناه ض الحلول الوسط ، ويرفض الصلح ، ويدعو الى حمل السلاح والكفاح لطرد هاينة واخراجهم من فلسطين .

وقد كان باكثير منفعلاً انفعال المواطن الغيور ، مؤمناً بما يقول ، حاساً بما ب ، متمثلاً للمأساة الفلسطينية ، شاعراً بها .

وقد كان دوره فى هذا الاتجاه ـ كما أسلفناه ـ دور الموقظ المحـرض ع
الرفض للوجود الصهيونى وهو فى أحساسه بهذه المشكلة أخذ طريقين :

الطريق الأول : طريق التصوير للمأساة وشرحها للرأى المحلى والعـا
منبهاً على ما يكمن من أخطار فى ضياع فلسطين .

الطريق الثانى : هو طريق الثورة والتحريض والهاب شعور العرب واي
نفوسهم نحو هذه المشكلة التى هى مشكلتهم جميعـاً لا مشكلـة الفلسطيني
وحدهم .

* * *

نكسة عام ١٩٦٧

بعد أن استعرضنا شعر باكثير وآراءه فى قضية فلسطين ، وبعد أن طوفنا فى ذلك ما شاء لنا الموضوع . يصل بنا الحديث الى نكسة عام **١٩٦٧** أو تلك الهزيمة الشنعاء أو الحرب الثالثة مع إسرائيل كما يحب البعض أن يسميها ، والتى احتلت إسرائيل فيها أراضٍ عربية جديدة ، وأجزاء من مصر وسوريا والأردن . وكانت قضية فلسطين ومشكلتها هى السبب فى تلك النكسة وهذه الهزيمة .

والحقيقة أن الأمة العربية فى تاريخها المعاصر لم تلق مثل تلك الهزيمة النكراء . ولم تعرف مثل هذه الحرب فاجعة ومفاجأة . ومن هنا فقد أثرت هذه الهزيمة على النفسية العربية ، وزلزلت من كيان بعض ضعاف النفوس ، واصيبوا بعقدة الانهزامية والاستسلام .

ولقد أوجدت هذه الهزيمة هزة عنيفة فى الفكر الأدبى وخلقت اضطراباً فى الاتجاه والنظرات وشغلت الفكر العربى بصفة عامة ولازالت تشغله ، فارتفعت صيحات تلقى اللوم على الدين ، وأن الفكر الدينى هو السبب فى هذه الهزيمة ، وصيحات أخرى ترى أن الحضارة الاسرائيلية هى التى هزمتنا وأن الفكر اليهودى هو الذى تفوق علينا .. الخ .

وقد ساد فترة مابعد الهزيمة شعور بالضياع والتفتت ، وشعور بالقلق عبر عنه الأدب فى ألوانه وفى اتجاهاته المختلفة . فمن اتجاه يسارى يرى الأمور برؤية المعسكر الشرقى الاشتراكى الى اتجاه يمينى يرى الأمور برؤية المعسكر الغربى الرأسمالى . الى اتجاه عربى اسلامى يرى الأمور بمنظار الحضارة العربية الاسلامية ، وبرؤية التاريخ العربى الاسلامى والفكر العربى الاسلامى وبكل ما

للأمة العربية الاسلامية من أمجاد وبطولات قديمة وحديثة وبكل مالها من مقومات إنسانية ومن قيم أخلاقية . وقد انبرى هذا الاتجاه الأخير يفسر الهزيمة بهذه الرؤية . ويدافع عن الفكر العربى الاسلامى .

وقد كان شاعرنا على أحمد باكثير من هذا الاتجاه الاسلامى العربى كان يرى به من قديم وزاد يقينا به بعد النكسة . وإذا كان الاتجاه اليسارى والاتجاه اليمينى يرى أن هذه الهزيمة كانت نقمة على العرب وكانت كارثة على تاريخهم وحضارتهم ومجتمعهم وأنها مصيبة حلت بهم ، ونازلة نزلت بأرضهم . فأن الفكر العربى الاسلامى ممثلاً فى شاعرنا على أحمد باكثير يرى أنها نعمة وبركة يجب أن نستخلص منها العبر والعظات بالرغم من هذه الكارثة وبالرغم من هذه الهزيمة :

« ..... حتى كان عدوان الخامس من يونيو هو الذروة وكانت هزيمتنا فى تلك الحرب كارثة قومية عظيمة لم يشهد تاريخنا النضالى لها مثلاً قط فى فداحة خسائرنا وقلة خسائر العدو وفى شدة جرحها لكبريائنا القومية ، إلا أنه كان من لطف الله بنا أنه لم يمض وقت طويل حتى أدركنا أن تلك النكسة كانت بركة علينا ونقمة على العدو من عدة وجوه :

أولاً : أنها كشفت للعالم أجمع حقيقة الدولة الاسرائيلية العنصرية العدوانية .

ثانياً : أنها وضعت العرب أمام الأختيار الصعب أما نكون أو لانكون فى وقت مبكر قبل أن يفوت الأوان .

ثالثاً : أنها صعدت العمل الفدائى داخل الأرض المحتلة وأبرزت الشعب الفلسطينى كقوة مقاتلة وكيان . ولأول مرة تشعر إسرائيل بذلك »[1] .

وهذه النظره توضح وجهة نظر باكثير نحو الهزيمة ، فهو يرى فيها عبر

---

(١) مؤتمر الأدباء العرب السابع المنعقد فى بغداد عام ١٩٦٩ م ، ص ١٢٧ .

وعظات كانت لها فضل على العرب فى كشف إسرائيل أمام العالم ، وفى وضعهم فى موقف الصمود والرفض لهذا الكيان الدخيل عليهم .

وقد سار بعد ذلك الفكر العربى الاسلامى فى اتجاهه الأصيل بكل مقوماته التاريخية والحضارية فى شرح أسباب الهزيمة وفى الاعتبار بها وعدم التهوين من شأنها الذى يؤدى الى اللامبالاة ومن ثم الغفلة وعدم الحيطة . وعدم التهويل من أمر هذه الهزيمة لكى لا تتحول الى يأس والى استسلام . بل كان منبهاً وموقظاً مستخرجاً العبر من التاريخ ومن الحضارة العربية الاسلامية .

ومن هنا فقد رفض الأديب على أحمد باكثير كل الأفكار المستوردة شرقية كانت أو غربية ونبه عليها بأنها أداة هدم ، ومعاول تحطم النفسية العربية ، وتثبط العزيمة العربية ، ووقف لها بالمرصاد مفنداً تعليقاتها المشبوهه وتلفيقاتها المنبوذة ودعاويها الكاذبة .

(.... ولا أحب أن أترك هذه النقطة ، دون أن أضرب لكم أمثلة مما نشر فى بعض صحفنا العربية توضح هذا المعنى الذى أشرت إليه ، فقد نشر أحد كتابنا الصحفيين مقالاً عقب النكسة زعم فيه أننا هزمنا أمام إسرائيل هزيمة حضارية . آى أن إسرائيل فى الحقيقة لم تهزمنا عسكرياً بل حضارياً وأياً ما كان قصد الكاتب ، فمما لاشك فيه أنها زلة كبيرة . جره اليها أنه ينظر الأمور بعين غير عربية .. عين أمرىء لا يؤمن بقيم الحضارة العربية بل لعله لا يرى للعرب سبيلاً الى النهضة إلا بالتخلى عن تلك القيم الحضارية كلها . وإلا كيف يزعم عربى معدود فى المثقفين بأن أولئك الذين ارتكبوا الفضائح المخزية فى (دير ياسين) و (ناصر الدين) و (قبية) و (السموع) ، متفوقون علينا حضارياً ولذلك هزمونا فى الخامس من يونيو ؟

ان كاتبنا هذا انما استعار هذا الرأى أو استورده ، أو اقتبسه أو استوحاه

أو استتار به ، من تلك الفكرة الساذجة ، التى يتقولها المظللون فى الغرب ، ومؤداها أن معركة الصهيونية مع العرب ، هى معركة الإنسان المتحضر مع الإنسان البدائى تماماً كما كانت معركة المعمر الأمريكى مع الهندى الأحمر .

وكان ينبغى مادام لايقبل إلا من الأجانب ان يستعير الرأى من الأجنبى خبير بالموضوع ، وعلى شيء من الانصاف .

هذا الجنرال (كارل فان هورن) الذى احتك احتكاكاً بالعرب والاسرائيليين على أعلى المستويات وأدناها ، خمس سنين كاملة وسجل انطباعاته هذه فى كتابه (الخدمة العسكرية من أجل السلام) يقول : « قد يكون العرب متعصبين فى بعض الأحيان ، ومتصلبين بل ومتعنتين ، ولكن طرائقهم فى السلوك ، كانت دائماً أرفع وأكثر حضارة من طرائق الاسرائيليين » ويشير فى موضوع آخر من كتابه الى المال والجهود التى بذلها الاسرائيلون من أجل إفساد رجال الأمم المتحدة عن طريق الفتيات الاسرائيليات الجميلات اللائى يسرحن من الخدمة العسكرية للقيام بواجبات خاصة .

وزميل ثان فى هذا الصدد .. فى هذا الوقت الذى نتطلع نحن العرب فيه ويتطلع العالم معنا الى أعمال المقاومة الفلسطينية باعجاب وإكبار ، بل نرى فيها السبيل الوحيد لتصفية الكيان الصهيونى نهائياً والقضاء عليه نجد مجلة عربية أخرى تنشر بحثاً طويلاً حول شرعية هذه المقاومة إذ كانت غير قائمة على مذهب اجتماعى معين . فى هذا البحث يحاول الكاتب الذى يرد على مقال آخر ، أن يثبت شرعية تلك المقاومة ، بأسانيد ينقلها عن لينين ، كأنما نحن أمة لم تعرف الجهاد فى سبيل الحق والكرامة من قبل وكأننا لايجوز لنا اليوم أن نقوم بأى عمل ولو كان فى مقاومة أعدائنا الصهاينة إلا إذا وجدنا فى أقوال لينين مايفتينا بجواز ذلك العمل .

ومن هذا القبيل أيضاً ماتردد على أقلام بعض كتابنا منذ النكسة ، وهو أن هذا العدوان الصهيوني الاستعماري في الخامس من يونيو ، لم يستهدف غير النظم الاشتراكية التقدمية في العالم العربي ، لاسقاطها والقضاء عليها ولست أدري كيف يغفل أولئك الكتاب عن تاريخ الصهيونية وتاريخ غزوها لبلادنا وإلا فان نظرة عجلى الى ذلك ، خليقة أن تفتح عيونهم على أن الصهيونية والاستعمار من ورائها ، حينما بدأت في إقامة كيانها الدخيل في بلادنا لم يكن في بلادنا حينئذ دولة اشتراكية واحدة »(١)* .

من كل ماتقدم عرضه حول هزيمة سنة ١٩٦٧ يتضح لنا الخط الفكري الذي سار عليه شاعرنا ، والاتجاه الأدبي الذي تبناه ذلك أنه يرفض كل التبريرات الفكرية لهذه الهزيمة ويرى أنها هفوة حربية وليست حضارية أو ثقافية وعلى الرغم من جرحها العميق فأنها قد نبهتنا لأشياء كثيرة .

ومن ثم فانه يرى أن الفكر العربي الاسلامي الأصيل عليه دور كبير في توضيح الأمور والرد على الفكر الاسرائيلي وفي شحذ الهمم والعزائم وتثبيت الأقدام استعداداً للجولة القادمة .

وقد كان باكثير مثالاً للأفكار والآراء التي ينادي بها فبعد النكسة مباشرة نجده يصرخ في مطولته (أما نكون أو لا نكون) معبراً عن آرائه وأفكاره تجاه هذه الهزيمة وتجاه الأمة العربية واضعاً بين يدي العرب كثيراً من العبر من التاريخ العربي الاسلامي وكاشفاً لهم عن النفسية الاسرائيلية مزمجراً في وجه الاستعمار وأعوانه . ناصحاً لبني قومه بأن يرفضوا الهزيمة والاستسلام وبالتالي الصلح مع

---

(١) مؤتمر الأدباء العرب السابع المنعقد في بغداد عام ٦٩ م ص ١٣٣ ـ ١٣٤

* لقد أطلنا النقل من حديث الشاعر لتوضيح ماكان يدور من آراء عقب النكسة .

إسرائيل لأن فى ذلك موتاً لهم ، وعاراً وشناراً عليهم ، ولهذا فأن عليهم أن يصمد
فى وجه العدو ويحاربوه بكل قوة ، فالمسألة مسألة حياة أو موت إما أن تكو
الأمة العربية رافعة رأسها شامخة ماسحة عن نفسها عار الهزيمة . وإما ألا تكو
وتصبح خبراً وقصة من قصص الماضى .

ولعله من الخير أن نستعرض معاً بعض مقاطع هذه القصيدة لنقف على جل
وجهة نظر باكثير وآرائه .

* * *

ذاق باكثير غصة الهزيمة كما ذاقها العرب جميعاً ، وتجرع مرارة النكسة فى عا
١٩٦٧ م كما تجرعها العرب جميعاً إلا أن الشاعـر بروح الفنـان ، وبالتزامـ
بمسئولياته نحو العروبة والاسلام وبايمانه العميق بربه وبيقينه بصدق وعده ل
تحطمه هذه النكسة ولا هذه الهزيمة كما حطمت غيره ، ولم ييأس ويستسلم ك
استسلم غيره ، بل حولته الى شعلة متوقدة ثائرة . فهب ـ كعادته بالرغم مر
الظروف النفسية التى كان يعانيها ـ يشحذ من همم العـرب ويحرضهـم عل
الصمود والمقاومة ويفند لهم كل الدعاوى والافتراءات نافخاً فيهم بروح الثور
والقومية العربية . واضعاً نصب أعينهم كل الحقائق كاشفاً لهم عن الخطر الذى
يتهددهم .

وفى القصيدة التى بين أيدينا والتى نظمها عقب الهزيمة ، نجد فيها هذ
الأحساس بالهزيمة والألم لما حل بالعرب ، وهى صرخة غضبى ثائرة فى وجو
اعدائهم ، وصرخة موقظة منبهة فى نفوسهم . فهو لم ينح كما ناح الآخرون ولم
يتساءل كيف حصل ذلك ؟ ولم يصب بالضياع كما أصيب البعض ؟

بل صرخ قائلا :

اما نكون ابدا
او لا نكون ابدا
غدا وما ادنى غدا لو تعلمون
اما نكون ابدا او لا نكون

وبعد هذا التحذير او هذا النذير يوجه الشاعر خطابه للعرب ويضعهم أمام سبيلين لا ثالث لهما : اما ان يكونوا امة عظيمة كما كانوا فى الماضى ويعيدوا مجدهم القديم فترهبهم الدنيا ويحترمهم العالم يرفضـون ما شاءوا ويقبلـون ما شاءوا ويكون لهم الحق فى الحياة احرار الارادة والتصرف . واما ان يتواروا عن مسرح الحياة ويبيدوا ويصبحوا خبرا من اخبار العصور وقصة من قصص الزمن .

والشاعر هنا ينبه قومه ، وينصح لهم ، ويرفض الـذل والعيش فى خنـوع ومسكنة فاما أن يعيش العرب اعزة فى وطنهم أباة واما أن يذهبوا ويمحوا من لوجود كما باد غيرهم من الامم :

غدا بنى قومى وما ادنى غدا
اما نكون ابدا
او لا نكون ابدا
اما ان نكون امة من اعظم الأمم
ترهبنا الدنيا وترجونا القيم
ولا يقال للذى نريده لا
ولا يقال للذى نأبى نعم
تدفعنا الهمم

لقمم بعد قمم
او يا بنى قومى نصير قصة عن العدم
نحكى كما تحكى اساطير ارم
غدا وما ادنى غدا لو تعلمون
اما نكون ابدا او لا نكون
قد وضح الصبح لذى عينين
لم يبق من شك ولا من مين
أين الخلاص أين أين ؟
لم يبق بين بين
اما نحوز الغايتين
أو نخسر الكرامتين
اما نكون أبدا
أو لا نكون أبدا
غدا وما أدنى غدا لو تعلمون
اما نكون ابدا أو لا نكون

ثم يحضهم على الجهاد ان ارادوا الحياة الحرة الكريمة ، وان ارادوا ان يبقوا هذا العالم ويحثهم على البذل والعطاء فى سبيل ذلك ففى الجهاد حياته ووجودهم .

والجهاد من وجهة نظر باكثير ليس فى سبيل العيش والرفاهية والحياة . ح الذل والمهانة وهو ان تعيش فى هذه الحياة فحسب . بل يجب ان تكون للجه والتضحية غاية اسمى وفكرة مثلى ، وهو يرى أن هذه الغاية السامية هى

كون الجهاد فى سبيل الله وفى سبيل العروبة والاسلام والوطن وأن يكون هناك
ن واعتقاد صادق بهذه الغاية :

أفى سبيل العيش نمضى للجهاد
كلا بنى قومى فهاذا بالسداد
والعيش لا يثبت للموت لدى الجلاد
لله فى المبدأ والمعاد
بالله فى القلب وفى الكف وفى الزناد
ننتزع الحياة من جوف الردى
حتى ننال النصر او نستشهد
أما نكون أبدا .. أو لا نكون أبدا

وفى الفقرة التالية تتجلى قوة عقيدة الشاعر الاسلامية وسلامة فكره الاسلامى الأصيل فهو يتمثل ببلال عندما عذب لكى يرتد عن الاسلام فثبت ، صمد . وهو يضرب به مثلا للعرب فى قوة الارادة والعزيمة والاصرار ويقول لعرب مهما فعل اليهود بنا من الوان التعذيب وفنون التقتيل يجب الا نضعف مامهم ويجب الا نتزعزع أو تخور قوانا بل علينا أن نقاوم كل هذه الاشياء . نقابلها بالعنف والعزيمة والاصرار والصمود حتى يتم لنا النصر فى النهاية .

وهو يرى أن هذه الطريقة التى يستعملها اليهود لن تزيد العرب الا صمودا إصرارا لانهم واهمون ان حسبوا انهم بالوان التعذيب يستطيعون أن يخضعوا عرب ويسخر منهم قائلا :

ليفعل اليهود ما شاء الحرد
ليضربونا بالعمد

وليشربوا من دمنا وليأكلوا منا الكبد
فلن نقول غير ما قال بلال وهو فى الرمضاء مضروب الجسد
أحد أحد .. أحد أحد
هيهات أن نخضع أو نرتعدا
أما نكون أبدا .. أو لا نكون أبدا

ويرفض الشاعر الصلح رفضا باتا مهما كانت وحشية اليهود ومهما بلغت من القسوة والعنف ومن التنكيل والتقتيل :

لا صلح يا قومى وان طال المدى
وان أغار خصمنا وانجدا
وان بغى وان طغى وان عدى
وروع القدس وهد المسجدا
وشاد مكانه هيكله الممردا
وشرد الألوف من ديارهم وطردا
وذبح الاطفال والنساء والشيوخ ركعا وسجدا
يلتمس العدو صلحنا سدا
لا لن يكون سيدا
ولن نكون أعبدا
أما نكون أبدا أو لا نكون أبدا

* * *

وهو يرى بعد ذلك أن هذا الصلح فرصة لليهود سيعملون من خلالها على استقطاع باقى الوطن العربى . استمع اليه يقول :

أن تقبلو تهويد أرض العرب
جميعها من مشرق لمغرب
ليس من النيل الى الفرات بل
من المحيط للخليج العربى
بما حوت من مكة ويثرب
وكعبة الله وروضة النبى
فامتثلوا الدعوة للوغد الغببى
جونسن قواد اليهود الأعظم
جونسون جلاد الشعوب المجرم
فى بيته الأبيض بيت الكذب
بيت الخنا المعشوشب
بيت الربا المركب
تعقدوا الصلح مع المغتصب
الخائف المرتعد المضطرب
يستقر فى ثرانا الطيب
يطمئن للغد المرتقب
لن : يقر أبدا
لن يرى فى أرضنا غدا

ويمضى الشاعر فى تثبيت عزيمة العرب ، وتوطيد الايمان بالصمود والاصرار بعد ان خشى ان تخور قواهم وتوهن عزائمهم ، فيسوق لهم عبرة من التاريخ

الاسلامى حيث يقول إن المسلمين قد انهزموا في مواطن كثيرة لغفلتهم ولاغترارهم بعدتهم وعددهم وما أصاب المسلمين قد أصابنا .

والمسلمون لم يضعفوا وييأسوا ولم تخر قواهم بل اعتبروا بذلك والاسلام لم يضعف ولم يتلاش بل انتشر بعد ذلك انتشارا عظيما . ونحن يجب أن نتمثل ونقتدى بهم وألا تفت الهزيمة فى عضدنا وألا تثبط من عزيمتنا وألا نيأس :

المسلمون انهزموا يوم حنين واحد
من غفلة بالمسلمين واغترار بالعدد
والمصطفى يذود عنهم ويصول كالأسد
هل ضعف الاسلام من بعد حنين وأحد ؟
لا بل علا سلطانه بعد حنين وأحد
وأنجز الرحمن ما وعد
وانتشر الهدى
لا لن تهيضنا الخطوب أو يخيفنا الردى
أما نكون أبدا أو لا نكون

ويرى الشاعر بعد ذلك أن الصلح مع اسرائيل كفر بالله وذله وعار وضياع للبلد وفقد للولد . والذين يدعون للصلح هم الانهزاميون المرتزقة وعملاء الاستعمار الجديد ، وسماسرته ، ثم يفند دعاويهم التى ارتفعت فى ذلك الوقت تطالب بالانحياز الى امريكا وترى أنا إذا أنحزنا الى معسكرها سوف تغدق علينا بمساعداتها وسوف تغرقنا بهباتها ، ويوضح حقيقة هذه الدعاوى ؟ ذلك أن ما تدفعه أمريكا لنا باليمين تأخذه بالشمال من أرضنا ومن كرامتنا ومن بترول العرب وثرواتهم . وتدفعه لليهود ليحاربونا ويقتلونا ويشردونا من أوطاننا :

هيهات أن نكفر بالله الصمد
فنقبل الصلح مع الخصم الالد
وإن وُعِدْنا برخاء ورغد
ومدد اثر مدد
من الطعام والكساء والسلاح والعدد
فان امريكا التى تعطى بيد
تسلبنا اضعاف ما تعطى بيد
وتمنح اليهود من ثروتنا ماليس يحصى أو يعد
هيهات أن نقبل سبة الأبد
وذلة البلد
وضيعة الولد
ان قبول الصلح كفر أو أشد
ياداعيا الى الردى
ادع الى الصلح سدا
اما نكون أبدا أو لا نكون أبدا

وبعد تبسيط الأمور ، وتوضيح الحقائق أمام العرب يضعهم الشاعر أمام الصعب من الأمور لأنه السبيل الوحيد الى وجودهم فى هذه الحياة ، والى عزتهم ورفعتهم فيصرخ فيهم داعيا الى القتال والى محاربة اسرائيل ، ومن هم وراء اسرائيل . موضحا لهم العبرة من هذه النكسة لأنها جعلتهم يعيشون فى خطر وهذا الخطر قد نبههم الى اشياء كثيرة ومن ثم فقد وحد كلمتهم وجمع شملهم وشب من عزائمهم وأوقد سورة الغضب فى نفوسهم .

وبالتالى فقد كانت هذه الهزيمة نعمة عليهم ولم تكن نقمة :

فقاتلوا يا عربُ
أئمة الكفر ولا تهيبوا
أئمة الطغيان
الحاكمين الآن
فى دول العدوان
ليس لهم ايمان
ولا مواثيق تصان
أوزار اسرائيل فى جباههم
يعلو الخنا سيماءهم والمنكر
قد بدت البغضاء من أفواههم
وماتكنه الصدور أكبر
من كل عبد خاضع لصهيون
يبيعه أمته بمليون
مستأسد على شعوب الارض
يذل بعضا باطشا ببعض
وهو لصهيون مباح العرض
يجعل فى النور وفى الديجور
من بيته الابيض كالمأخور
كلا ورب العالمين
والبلد الأمين

وحقنا الخالد فى طور سنين
لا نرتضى بأن نعيش آمنين سالمين
فى مثل هذا العالم المهين
حيث الخنا يعربد
حيث الحقوق تجحد
وهذا التحدى الاكبر
قد جاءنا على قدر
يكمن فيه الخطر
ومالنا منه مفر
سيروا بنى العرب اليه
وقاتلوا بين يديه
حتى يتم الظفر
ويشرق اليوم الأغر
يومئذ تخروا ساجدين
لله شاكرين حامدين
أن جعل الخطب دليلا مرشدا
يذود عنا النوم والتبلدا
ولا يبيح بيننا خصومة أو لددا
جمعنا ووحدا
ضاعف فينا الصبر والتجلدا
وشب فينا العزم والتوقدا
خيرنا أن تتلاشى بددا

أممنا أو من جديد تولدا
أما نكون أبدا .. أو لانكون أبدا

* * *

ويبلغ الانفعال قمته بباكثير فى نهاية القصيدة فيصرخ مقسما بالله وبنبيه فى يقين وايمان بعودة عز العرب ومجدهم :

ولا والذى يقول كن لما يشاء فيكون
وقسما ببيته المحرم المصون
لمثلما كنا قديما سنكون
ومثلما ارادنا كتابنا سوف نكون
ومثلما ارادنا محمد سوف نكون
أعزة مناضلون .. وأقوياء عادلون
لا لن نذل أبدا ولن نهون
وان تواطأ الطغاة أجمعون
فليسمعوا .. هل يسمعون
وليشهدن العالمون
إنا علينا أن نكون أعزة أو لانكون

* * *

بهذه الرؤيا كان يرى باكثير الهزيمة ، وبهذا الاتجاه الفكرى الاسلامى كان يعبر عنها وعن جروح الهزيمة . الفكر الذى يرفض الهزيمة ويرفض الصلح مع اسرائيل . الفكر النابع من الشعور العربى ومن الكيان العربى ومن كل ما للعرب من مآثر حضارية وتاريخية وأمجاد وبطولات وهو فكر يرفض الهزيمة والاستسلام والخور باصالته وعزيمته وقوته .

ومن هنا فقد كان باكثير بالمرصاد لكل الدعوات الانحرافية ولكل الدعوات الانهزامية التى كانت تحاول تثبيط همم العرب وبث اليأس والاستسلام بين صفوفهم كما كانت تحاول تمزيقهم وسوقهم الى شعاب الضياع والألم والفجيعة .

ولهذا فانه قد وقف فى وجه الانهزاميين وضعاف النفوس الباثين لسموم اليأس والاستسلام والخضوع .. موقف الزجر والردع موقف المفند لضعفهم الكاشف نفسياتهم .

وتجده يرد على هؤلاء الضعفاء ردا عنيفا فهو لايعرف اللين فى الحق .

* * *

وهذا أحد هؤلاء الشاعر كمال عبد الحليم فى قصيدة له بعنوان (رقصة
يصور فيها هول الهزيمة ودمار الحرب ودماء السيقان المبتورة حيث يقول :

كيف تدعونـى الى رقصتنا أنـا لا أملك ساقـا ثاني
أفـلا تذكر من قصتنا هذه الســاق .. وحربـا دامي
يوم عاشـت فى سماء القاهرة وسمائـى وشبابـى طائ
لم أفـق الاعلى عكازة ودمـوع كاليتامـى حائ
وجـدار لم تكد تدركه رخصـة من عربـدات القنبا
خر بالسـقف الـذى ينهكه واستقـرت فى حشـاة العائ
كيف لا تذكر آثـام دجى قد لبسناهـا طويلا فى نه
وصراخـا يتلـوى مزعجا وعيونـا مفعمات بالحد
وشظـايا أغرقتنـا فى دم وأنـين وحطـام ورم
ودموعـا لم نطـق نيرانها فسكبناهـا على هذا السو

* * *

لم يكن يخفـق فى جوف الدجى غـير اضـواء تعالـت كاشف
تبعـث الحـيرة فى حيرتها والملايـين توارت طائف
إننـى احمـل فى عكازتى ذكريـات كالشظـايا جارف
إننـى أسمـع فى دباتها لعنـات من بقـايا العاصف
ايـن ساقـى ؟ ايـن غاصـت قدمى كيف أنسى أن ساقـى زائف

* * *

رقصـة الموت سئمناهـا معا وذوى الجسـم على ألحانه
وسكبـت فى خطاهـا ادمعا وفقـدت السـاق فى ميدانه

يف تدعونــى الى رقصتنا ... أنــا لا أملك ساقــا ثانية
كب الماضى على قصتنا ... لحنــه المر وحربــا دامية

* * *

فيرد عليه باكثير بقصيدة على نمط قصيدته بعنوان (الرقصة المقدسة) موضحا ضعف نفسه وانهزاميتها ، شارحا له مفهوم الرقصة المقدسة رقصة الجهاد فى سبيل الله والوطن ، ساردا عليه قصة امجاد العرب وبطولاتهم ، كاشفا له عن زيف اقه فيقول :

ـت أدعــوك الى رقصتنا ... نحــن لا ندعــو اليهــا الضعفاء
ـت لا تذكر من قصتنا ... يوم كنــا نمــلأ الدنيــا ضياء
. ولا يعنيــك يوم اتحدت ... كتلــة السوفيــت والغــرب علينا
اقتــا (الــرجس) الى محرابنا ... بفلسطــين ليغــزو عنصرينا
م يبنــى امبراطورية ... من ربــى النيــل الى اعلى الفرات
لــم للــرجس ما أهوله ... ان بقينــا فى سبــات وشتات
يف ادعــوك الى رقصتنا ... رقصــة الابطــال للثــأر المقدس
الــذى يعنيــك من قصتنا ... هو ان نلعــق بلوانــا ونيأس
قبــل الــذل قبــول الذاعنينا ... ونشيــع اليــأس فينــا والأنينا
م لا ؟ إن سلام العالمينا ... سوف يودى ان وثبنــا ثائرينا

* * *

يهــا الهائــم فى وادى الخيال ... لم تضــع ساقــك بل ضاع وجودك
تغنــى اليــوم بالسلــم المحال ... شد ما يدعــو الى الموت نشيدك

لست ادعوك الى رقصتنا   رقصة الموت الى وادى الحي
رقصة تفضل فى شرعتنا   وقفة الخاشع فى قدس الصلا

* * *

ايها الباكى على ساقك مهلك   قبل أن تقطع كانت زائ
أنا ايضا تلفت ساقى مثلك   غير أنى لست ابكى التال
فى سبيل الله من أجل بلادى   جدت بالأولى وبالأخرى أج
دون أن افسد بالمن جهادى   أنا لله .. ولله أ
ليت لى مليون ساق أيده   أنبرى رقصا بها فى المعم
ثم لا تسلم منها واحدة   لترى نعشى .. والنصر مع

وبعد ... فهذه صرخة عربى صميم ، ومسلم متيقن مؤمن باسلامه وهـ
نفسه وفنه وقصر قلمه وفكره على آلام قومه ومشاكلهم حاسا متألما لكل ما تصاب
به العروبة من محن ومصائب .

وهذه الصرخة أو القصيدة التى عرضناها تفصح لنا عن عاطفة هذا الرجل
المؤمن بحق العروبة والاسلام فى الحياة وبمجد العرب والاسلام ولعل القارى
يحس عندما يقرأ هذه القصيدة بأن الشاعر فى تصويره لآلام الهزيمة ورفضـ
لفجيعتها وايمانه بمستقبل العرب الزاهر أنه ينزح كل ذلك من اعماق قلبه ومن
خلجات نفسه ، ومن صفحات فكره وأنه يتحدث عن كل ذلك حديث الصادق
المؤمن .. حديث الانسان العربى المكلوم الغاضب الثائر . وهى صرخة ليس فيه
انهزامية ولا ضعف أو يأس .

ومن هنا فان الشاعر فى هذه القصيدة التى عرضناها لم يهون من شأن
الهزيمة حتى يستخف العرب بها ويغفلوا عن عدوهم ، ويركبهم الغرور والتعجرف

الذى كان سببا فى النكسة ، ولم يبالغ فى تهويل الهزيمة حتى تتحول الى يأس والى استسلام ومن ثم تهدم النفوس ويصاب القوم بالضياع والتمزق . بل اتخذ موقفا وسطا وهو تصوير هذه الهزيمة بأنها نعمة قد نبهت العرب الى ما ينتظرهم فى المستقبل ، وبأن هذا الخطب الذى حل بهم له فضل كبير فى أن يتدارك العرب الموقف ويتحدوا ويضموا صفوفهم .

فهذا التعبير عن النكسة قد خلق جواً من الموازنة بين الهزيمة وبين النظرة المستيقظة للمستقبل . وبأن ما حدث ممكن تداركه واصلاحه بل أن الوقت المناسب هو هذا الوقت وقت العيش فى خطر .

* * *

(توطئة)

بدا لى قبل أن أخوض فى الحديث عن معانى الاسلام فى شعر (باكثير) أن أقف وقفة قصيرة عند احتفائه بالاسلام وعند نزعته الاسلامية ، حيث نتعرف على اتجاهه الاسلامى ونظراته ، ونقف على مفاهيمه للاسلام ولتعاليمه وأخلاقياته . ومن ثم تكون مدخلا لنا هذه الوقفة إلى تفصيلات حديثنا عن عقيدته وايمانه بالله ورسوله ، وعن غيرته على الاسلام والمسلمين .

- ١ -

درس الأديب الناثر الشاعر على أحمد باكثير الاسلام دراسة عميقة وافية فى بواكير حياته حيث كان يطمع فى أن يكون فقيها وقاضيا كعمه محمد بن محمد باكثير غير أن رغبته وموهبته الأدبية قد حالت بينه وبين أمنيته .

وبالرغم من اتجاهه إلى الأدب وميله إليه فى بواكير حياته إلا أن النزعة الاسلامية والغيرة على الاسلام وعلى كل ما لهذا الدين القويم من مآثر وأمجاد ومفاخر ظلت شديدة وقوية عنده .

ومن هنا فلم يهمل الناحية الدينية ، فقد تعمق فى الفكر الاسلامى تعمقا كبيرا ووقف على تعاليم الاسلام الحقة وعلى مفاهيمه وفضائله العظيمة وظلت دراسته للاسلام تسير فى اتجاهها القوى إلى أخريات حياته .

ونزعة (باكثير) الاسلامية القوية ترجع إلى تربيته ونشأته الأولى وإلى البيئة التى عاش فيها فى صباه . فهو قد تربى على تعاليم الاسلام ونشأ على مفاهيمه وأخلاقياته . وقد تغلغلت كل هذه الصفات إلى أعماق فكره ، لهذا فقد

قويت اسلاميته وتطورت مفاهيمه للاسلام واشتدت غيرته عليه فأشاد بحضارة الاسلام وأشاد بفضائله ، وتحدث عما للاسلام من فضل على العالم أجمع .

ومن ثم فقد أشاد بالاسلام كعقيدة صافية نقية وكنظام وتشريع فيه خير البشرية وأمنها واستقرارها ، وفيه اصلاح شأنها من تخبطاتها الحضارية . فهو دين ويم ونظام سماوى سام .

ولهذه النزعة الاسلامية الغيورة فقد طبع شاعرنا جلة أعماله الأدبية بالطابع الاسلامى واستخرج من تاريخ الاسلام وحضارته وجوهره أكثر مؤلفاته فهو قد كتب لنا فى الرواية (وا إسلاماه) و (سَلاَّمة القَس) و (سيرة شجاع) وفى المسرحية (من فوق سبع سموات) و (شادية الاسلام) و (قصر الهودج) و (السلسلة والغفران) و (سر الحاكم بأمر إله) وغيرها كثيرة من التمثيليات تجدها مبثوثة فى المجلات والكثير من الأشعار تجدها أيضا فى الصحف والمجلات ل وفى شعره المخطوط الذى كتبه فى أيام الصبا .

ولعل من أبرز أعماله الاسلامية التى تنم عن اتجاه اسلامى صحيح تلك الملحمة التى كتبها عن حياة ثانى الخلفاء الراشدين عمر بن الخطاب (رضى الله عنه) والذى ضمنها أعظم أعمال هذا الخليفة العادل .

وقد كان من دلائل هذا الاتجاه عند (باكثير) أنه قد صَدَّر أكثر أعماله الأدبية بآيات قرآنية تعطى جوهر الفكرة التى يتضمنها المؤلف . وهذا نثار من بعض هذا التصدير فقد صدر مسرحية (همام أو فى عاصمة الأحقاف) بقوله تعالى : « واذكر أخا عاد إذ أنذر قومه بالأحقاف » .

وصدر روايته (سيرة شجاع) بقوله تعالى :

« وما كان استغفار ابراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها اياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه . ان ابراهيم لأواه حليم » .

وصدر مسرحية (السلسلة والغفران) بقوله تعالى :

« وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون فى السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين . والذين اذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله فاستغفروا لذنبهم ، ولن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون » .

وصدر قصة (الثائر الأحمر) بقوله تعالى :

« واذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها تدميرا » .

وصدر قصة (سلامة القَس) بقوله تعالى :

« ولقد همت به وهم بها لولا أن رأى برهان ربه » .

هذه بعض الآيات القرآنية التى صدر بها أديبنا الاسلامى وشاعرنا مؤلفاته وهى كثيرة ومثبوتة فى الصفحات الأولى فى معظم كتاباته . وهذا لا شك ينبىء عن قوة ايمانه بالاسلام وقوة تمسكه بالدين الحنيف .

ـ ٢ ـ

تغيرت نظرة باكثير للاسلام وتطورت مفاهيمه له منذ صباه فهو لم يعد يعرف الاسلام كما كان معروفا فى مجتمعه وعصره . دين تراتيل وتسابيح وخرافات وبدع ، ولم يعد يفهم الاسلام على أنه متون وحواشى فى الكتب ، بل فهم الاسلام على أنه دين القوة والعزة والمجد ودين التسامح والعدل ودليله على ذلك الكتاب والسنة لا هذه الكتب الملفقة التى تدعو إلى الجمود ونبذ الاجتهاد والتى تدعو إلى الخمول واليأس والاستسلام ، وليس إلى العمل والجد .

لهذا فقد دعا إلى دراسة القرآن والحديث دراسة صحيحة وإلى فهم الاسلام من خلالهما لا من خلال هذه الكتب وحواشيها :

اقرءوا فقه حديث المصطفى ... تعبروا الشك إلى بر اليقين
لا تهابوا اليوم أن تجتهدوا ... ان سر العلم للمجتهدين
وكتاب الله باق خالد ... تنجلى آياته فى كل حين
درسوه درس أحياء ولا ... تدرسوه درس قوم ميتين[1]

* * *

وقد وقف الشاعر (باكثير) فى وجه البدع والخرافات وحاربها :

أنا لا أعرف إلا دعوة ... (لجهال الدين) شقت غلقا
تندب الناس إلى دين الهدى ... مثل ما كان بعهد المصطفى
لا خرافات وأوهام ولا .. ... بدع تحسب فيه زلفا[2]

كما وقف فى وجه الشعوذة والدجل وحارب البدع والتضليل :

ولى الله ذو الجبـ ... ـوة والاردبة الخضر
وذو المسواك فى العمـ ... ـة قد أربى على الشبر
ورب السبحة الغا ... رق فى التسبيح والذكر
بها يذكر فى الناس ... ولا يذكر فى السر
ومن يمشى بعكازين ... من أتباعه الكثر
يطاطىء رأسه للأر ... ض كالباحث عن سر[3]

---

(١) مسرحية همام ص ١٠ ـ ١١ ط السلفية
(٢) المصدر نفسه ص ٤٤
(٣) المصدر نفسه ص ٢٦

كما وقف فى وجه الالحاد والفسق :

خذوا معكم الحادكم وفجوركم   فليس بنام فى ثرانا المفاس
لنا ديننا الأسمى لنا مجدنا الذى   تتيه به الدنيا وتزهى المحا

ولا يحسب القارىء أن ثورة (باكثير) على الجمود والخمول الدينى كان شطحات شطحت به وأبعدته عن الدين ، وان مفهومه للاسلام برؤيا عصرية قد ساقه إلى الانحراف . معاذ الله فقد كان الرجل ـ كما يروى عنه ـ مستقيما دينه متمسكا بالاسلام وبقيمه ، محافظا على واجبات الله مقيما لحدوده ، فلم يؤ عنه شرب مسكر ، ولم يؤثر عنه أنه تعدى على حد من حدود الله ، ولم يؤثر ع فسق أو فجور فقد كان مستقيما فى دينه ودنياه .

وقد يؤخذ على باكثير من الناحية الدينية أنه فى بعض قصائده قد أو ألفاظا لا تليق بشاعر مسلم مثله . وذلك من مثل قوله فى قصيدة بعنوان (الأمس واليوم) :

أنت دنياى ودينى ومعادى وضلالى وهداى(1)

كما تحدث عن نواح حسية فى المرأة وذلك مثل قوله :

لو شف عنك رداء جسمك مرة   لشفيته من غلة وأوام(2)

وقوله فى قصيدة (وحى الشاطىء) :

ماذا لقيت من النهود ؟   واويلتاه من النهو

(١) مجلة أبولو المجلد الثالث عدد شهر ديسمبر ١٩٣٤
(٢) نفس المصدر عدد مايو ١٩٣٤

تــزيات في الترائب كالولائــد في المهود
ق يمــور بهــا على رغــم الصلابــة والجمود
مــت بدغدغــة الوجو د فآه من عبــث الوجود
رهبــات في حلى بيض قلانسهــن سود
رحمــن من طــول القيــا م وليس يعـــرفــن الســجود (١)

***

غير أن هذه المآخذ في نظرى لم تكن ذات خطر كبير ذلك أن شاعرنا قد
ال هذه الفلتات وهو في بواكير عمره ، ومن الطبيعى أن يتغزل شاب في ربيع
لعمر ، وأن تصدر منه مثل هذه الألفاظ ، والتصويرات . على أن شعر باكثير
لغزلى في فترة النضوج قد خلا من مثل هذه الأمور .

ومن الملاحظ أن الشاعر حتى وهو في مثل هذا السن المبكرة كان يعتذر في
خر بعض قصائده عما يبدو مخالفا ومنافيا للأخلاق الاسلامية ، وعما يشين
لفضائل والمثل ، ويوضح لنا أن ما قاله ليس من باب الفجور أو الفسوق ، وانما
ى خواطر واحساسات فنان ، يعشق الجمال ويصفه .

استمع إليه يقول في قصيدة بعنوان (إلى بنات عباد المسيح) (٢) نظمها في
دونيسيا :

ـــات عبــاد المسيح ترفقن بمتيم في حبــكن مغالى
تمســك بالــدين لولا دينه لم يكتــرث في حبــكن بغالى
صبــو لمرآكن ثم يصــده قول الالــه فينثنــى في الحال

) نفس المصدر عدد ديسمبر ١٩٣٤
) مخطــوط

وبعد ذلك يقــول :

خذهــا اليك خواطــر من شاعر ... لم تخطــر الفحشــاء منــه ببال
يهــوى الجمال ولا يرى فى وصفه ... بأســا برغــم معــاطس العذال

وفى قصيدة أخرى بعنوان (ما هو الكون ؟) [1] نشرت فى مجلة الرسال
يقول بعد أن يتحدث عن المرأة وعن انتصاب نهودها واهتزازها :

رب غاو يلومنــى فى نشيدى ... وهــو لا ينتهــى عن الفحشا
خاشع الطـرف مطـرق الــرأس يمشى ... بــين خلــين سمعــة وريا
يظهــر الفــكر وهــو فى السر يغشى ... ما تنــدى له جبــين الحيا
وأنــا الطاهــر السراويل والبر ... د نقــى القميص عف الردا
ليس منــى الفســوق تأبــاه فى جســ ... ــمى دمــاء الجــدود والآبا
ينهــل الحســن من غرامــى ولكن ... هو صديان يلتظــى من ابائى
كل حبــى طهــر وقــدس وتسبيــ ... ــح لربــى وصيغــة من دعائى

* * *

(١) الرسالة العدد (٤٥) السنة الثانية

الباب الثالث

الإسلام في شعر باكثير

الفصل الأول : قوة العقيدة وصدق الإيمان

الفصل الثاني : الرسول والرسالة

الفصل الثالث : الإسلام والمسلمون

الفصل الأول :

قوة العقيدة وصدق الإيمان

تحدثنا فيما مضى حديثا مختصرا عن احتفاء باكثير بالاسلام فى كتاباته ، وعن نظرته للاسلام وغيرته عليه ، وكان ذلك الحديث حديثا عاما استقرأنا فيه بعض الملمحات الدينية عند شاعرنا فى خطوط عريضة .

أما حديثنا هنا فانه سوف يتركز على عقيدة الشاعر وقوة ايمانه بالله وصدق عاطفته الدينية نحو هذه العقيدة .

والشاعر (باكثير) فى يقينى كان قلبه عامرا بالايمان ، متيقنا من وجود الله وبرسالة محمد ﷺ وبكل ما أنزل عليه من التنزيل وكان إيمانه إيمانا صادقا قويا لم يتطرق إليه شك ولم تشبه ريبة . ومن هنا فقد كان شعره يفصح عن هذا اليقين ، وعن هذا الايمان بكل شيء يتعلق بالعقيدة . ولذلك فهو لم يتعرض لمناقشة وجود الله ولم يحاول أن يمس العقيدة الدينية بأى مس لا من قريب ولا من بعيد ولم يعترض على قدر من قضاء الله ، وهو مؤمن بالله إيمانا مطلقا ، ومؤمن برسالة رسوله إيمانا مطلقا ومؤمن بالموت والبعث والجنة والنار إيمانا مطلقا لا يتطرق إليه الشك ولا يقبل المناقشة ؛ ولهذا فقد قل الحديث فى شعره عن وجود الله وعن كل هذه الأمور وما كتبه كان أمرا ينم عن يقينه بالله وبوجوده . وهذه بعض الأبيات تنير لنا الطريق إلى عقيدة باكثير وإلى صدق إيمانه .

فالله موجود وهو الحق وما سواه باطل :[1]

---

(١) باكورة الشعر (مخطوط) .

كل شيء غـير خلاق الـ ورى لاشـك هالـ

ومن هنا فلا ملجأ إلا اليه ، ولا مفزع إلا عنده ، ولا سلوى أو نسيان في حماه :

خذونـي خذونـي إلى المسجد خذونـي إلى الحجـر الأ
خذونـي إلى زمـزم علها تبـرد من جوفى الم
خذونـي لأستـار بيت الالـ ـه أشـد بهـا فى ابتهـال يد
دعونـي أذهـب إلى خالقى دعونـي أذهـب إلى سي
دعونـي أحـط على بابه ثقـال الدمـوع واست
فإن أحـى أحـى على لطفه وان يأتنـى الموت استشهد

فالشاعر هنا تتقاذفه الهموم ، وتعصف به الأعاصير ، وتعتصره الآلام
جراء وفاة أحبته ، ومن ذلك لم يتساءل لماذا يارب فعلت ذلك ؟ ولا لم ؟
الخ . وإنما رجع إلى ربه ولجأ اليه داعيا اياه أن يخلصه وينقذه من هذه المحن
وان يغسل همومه وأحزانه .. رجع اليه رجوع المؤمن الصادق ، ورجوع ال
الخاضع المطمئن إلى قضاء الله وقدره ..

وأنت فى هذا تجد الاعتراف الصادق بالألوهية لهذا الاله بل تجد نوعا
الخضوع والخشوع فى هذا الاعتراف دلالة على العبودية له سبحانه وتعالى :

دعونـي أذهـب إلى خالقى دعونـي أذهـب إلى سي

وهذا يجعلك تقف على صدق إيمان هذا الرجل وقوة عاطفته الدينية .

(١) هيام أو فى عاصمة الأحقاف صـ ١٠٥

تراءت قدرة الله للشاعر فى هذا الاطمئنان الذى غمر قلبه . بعد أن انجابت سحب الأحزان والهموم عن نفسه بوقوفه بين يديه :

الحمد لله اطمأن قلبى هأنذا بين يمينى ربى
وان عظمت مصيبتى وخطبى فالله يرعانى وهو حسبى[١]

وإيمان باكثير وثقته بربه كبيرة ، فهو دائما لا يلجأ إلا اليه ولا يهرب الا إلى قدرته ولا يشتكى خطوبه ومصائبه إلا له :

أشكو اليك الهى ما منيت به من الخطوب ولا أشكو إلى أحد[٢]

بهذه العاطفة القوية الصادقة ، وبهذا الشعور ، كان يعبر باكثير عن ايمانه بربه وعن يقينه بوجود هذا الاله وبعظمته وقوته . وانك لتحس من خلال قراءتك لشعره الدينى بقوة عقيدته وصدق ايمانه وبالتالى بتمسكه بدينه .

* * *

(١) همام صـ ١٠٥
(٢) نفس المصدر صـ ١٠١

(١)

الله الموجود

واذا كنا قد لمسنا فيما مضى صدق إيمان باكثير وقوة عقيدته بالله وعرفنا كيف
عرض لذلك فى شعره حيث كان صادقا فلم تغم عقيدته غيوم الشك ، ولا ضباب
الريبة بل كانت صافية نقية من كل شائبة . فإنه لابد لنا من الوقوف لنتعرف
كيف عرض الشاعر لوجود الله سبحانه وتعالى وكيف تراءى له وما هى الأدلة التى
ساقها على وجوده وعلى وحدانيته .

والواقع أن الشاعر باكثير ـ كما قلت ـ لم يحفل بهذه الناحية لأن إيمانه بالله
ايمان مطلق فهو لا يشك فى ذلك ولا يرتاب . واذا نحن تحرينا وبحثنا فى شعره فا
نجده فى قصيدة له قالها فى حضرموت يتحدث عن ذلك حديثا عاما حيث يص
إلى أن دلالة وجود الله هى هذه الطبيعة بما فيها من كائنات :

الروض أصبح للأحبة ملتقى ... أو ما رأيت تعانق الأغصا
وتشقق الأكمام من أزهاره ... عن أبيض نيق وأحمر قانـ
غار البهار به لحسن ورده ... فتكاد تسمع زفرة الغيرا
والجلنار يكاد تلهب ناره ... لولا الندى لأتى على الأفنا
وشقائق النعمان تقطر من دم ... فكأنها تبكى على النعما
واذا رأيت الماء فى خلجانه ... خلت اللجين يسيل فى الخلجا
حتى اذا عمل الأصيل الكيميا ... رد اللجين بها إلى عقيا
واذا مررت على الغدير قرأت فى ... ديباجتيه دلائل الايما
كتبت بأيدى الريح آيا فصلت ... للناظرين جلية البرها

والطـير تبتـدر الغصـور شواجيا فيما النفـوس باطـرب الألحان
من علـم الطـير التمايل للغنا ؟ والطـير رجـع مثالـث ومثانى
سبحـان من خلـق الوجـود وصاغه فى قالـب الابـداع والاتقان
ما أحـكم الطـوس فى تحقيقه أن ليس أبـدع منـه فى الأمكان
عطـى المهيمـن كل شىء خلقه عن قدرة عظمـى وعـن احسان[1]

فالطبيعة بما فيها من كائنات حية وبما فيها من جماد وبما فيها من صور ومناظر جميلة لهى خير دليل على وجود الله سبحانه .

وهو قد أبدع صنع هذه الكائنات وأتقن خلق هذه المخلوقات وكون كل مخلوق باتقان وحكمة حيث وضع له من القدرات والامكانات ما يناسبه . وهذا مما يدل على عظمة الله وقدرته .

(٢)

الله الواحد

وبعد أن تحدث باكثير عن وجود الله وأن وجوده يتراءى للمخلوق من خلال تكوينه لهذا الكون واحكامه لهذا الوجود بابداع واتقان ، تحدث عن وحدانية هذا الاله وتفرده بالبقاء فى هذا الوجود وتنزيهه عن كل ما لا يليق بمقامه عز وجل .

ومن هنا فقد عرض لوحدانيته عرضا يفصح عن عقيدة متينة وإيمان صادق حيث يقول :

رب أنـت الواحـد القهار وأنـت ذو الرحمـة والجبار

(١) مخطـوط .

تفجـرت من نورك الأنوار وقصرت عن كنهـك الأفكار[1]

فالشاعر مؤمن بوحدانية الله ايمانا مطلقا ، فهو لن يبحث بفكره عن اسرار وجود الله ، ولن يدخل فى فلسفات ومحاجات عقلية لأن ذلك شىء لا يدرك كنهه العقل ولا يصل إليه الفكر؛ ومن هنا يجب على الانسان أن يستمد إيمانه بوحدانية الله من الكتاب العزيز لا من كتب المناطقة وفلسفات الفلاسفة :

استقـوا التـوحيد من ينبوعه وانبـذوا كتـب الصفـات الأربعين
لا تزيد النفس إلا حيرة لا كأسلـوب الكتـاب المستبين
لم تألف لكم هاتيك بل ألفوهـا لحجـاج الملحدين[2]

اسمه الباقى

وإذا كان الله واحدا متفردا فى هذا الوجود ، فإنه باق وهو حى لن يموت بيده ملك السموات والأرض يصرفها كيف ما شاء ، وقد آمن باكثير ببقاء الله إيمانا صادقا ورَدده فى شعره . ومن ذلك قوله فى قصيدة رثى بها شوقى بعنوان (دمعة حضر موت على أمير الشعراء) [3] :

ان يكن ولى فذى آثاره يهـرم الدهـر بهـا وهـى نضر
أو يمـت فالله باق وحده ما لمخلـوق من الموت مفر
سوف يطـوى الأرض يومـا والسما وارث الأجيال خلاق القدر
ان هذا لهـو الحـق فمن شاء فليؤمـن ومـن شاء كفر

(١) مسرحية همام صـ ١٢٥
(٢) نفس المصدر .
(٣) مخطـــوط

ايمانه بالقضاء والقدر

وباكثير من المؤمنين الصادقين بالقضاء والقدر ، وبأن ذلك أمر شاءه الله قدره ولا تبديل له أو تعديل ولا اعتراض عليه . استمع اليه يقول من حديث ذاعى من اذاعة البرنامج الثانى من القاهرة عام ١٩٦٩ م بعنوان (مع أدباء) :

« فكأن الأقدار أفقدتنى زوجتى هذه الشابة لتتم زيارتى أو اقامتى الطويلة ى مصر بعد ذلك . أنا لا أشك فى حكمة الله سبحانه وتعالى ، ولهذا أحمده على سراء كما أحمده على الضراء » .

لهذا فهو لا يعترض على قضاء الله ولا يستطيع نقض حكمه وقدرته . فحكمه و الحق وهو مؤمن به أشد الايمان لأنه يجهل ما يريد الله وربما كان فيما ظنه شرا خير له . « وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم الله يعلم وأنتم لا تعلمون »[1] .

لذا تراه يقول :

رب لا نقض لما أبرمتا فرضنى رب بما حكمتا
لنى أجهل ما علمتا من صالح لى فى الذى اقمتا[2]

***

) البقرة ٢١٦
) مسرحية همام أو فى عاصمة الأحقاف صـ ١٢٥ الطباعة الصبان عدن

ايمانه بالقدر

وقدرة الله سبحانه وتعالى تكمن فى خلقه لهذه المخلوقات وتسخير بعضه لمصلحة بعض . واعطاء الانسان الفكر ليكون سيد هذه المخلوقات .

ومن هنا فقد عرض باكثير لقدرة الله من خلال تكوينه للانسان واعطائ القدرة على التفكير فى صنع الآلات الحديثة : استمع إليه يقول فى وصف السيارة :

فاجمع متاعك واركب ظهر سابحة ... هول تسير بلا رحل ولا لج
تجرى فتبصر بالأشياء مدبرة ... كأن منهزما فى اثر منهز
كأنما امتلأت بالغيظ فانطلقت ... تنفسا عن شواظ منه محتد
أنبتْ (ويخلق ما لا تعلمون بها) ... وغيرها من بنات العلم من قدم[1]

وقدرة الله سبحانه وتعالى خلقت هذا الكون من العدم :

يتم ما بدأ الرسل الكرام به ... من دين موجد هذا الكون من عدم[2]

* * *

ايمانه بالكتاب

والشاعر على أحمد باكثير كان يردد ذكر الكتاب الشريف كثيرا فى شعره

(١) نظام البردة

(٢) نفس المصدر

وأنت تجده تارة يسمى الأمة الاسلامية (أمة الكتاب) وهو يشير إليه اشارات مختلفة فى أكثر شعره بل فى كثير من كتاباته مما يدل على إيمان عميق بالقرآن الكريم وبالتنزيل :

اك الكتاب الذى أحيى النبى به ... بقدرة الله أجيالا من الرمم
قام من (يعرب) من بعد شقوتها ... شعبا عزيزا قويا جد ملتئم
امت به دولة عظمى على أسس ... من الهدى والتقى والعدل والكرم
عمت ـ ولم يمض من تكوينها زمن ... كبرى الممالك بعد الشاء والنعم
المعجز الخالد) الباقى بجدته ... اذ معجزات سوى (المختار) لم تدم[1]

* * *

ايمانه بالعبادات

آمن شاعرنا بالعبادات التى فرضها الله على عباده إيمانا عظيما وكان يرى أنها واجبات جعلها الله لتطهير نفوس عباده ، ودلالات لصدقهم ، ومبادىء عامة توثيق روابط المجتمع وزرع المحبة والوفاء بين أفراده .

لهذا فقد عرض لها عرضا عاما مستخلصا الحكمة من فرضها على العباد .
ستمع إليه يقول فى مطولته نظام البردة أو ذكرى محمد (ﷺ) :

رى (الطهارة) من أسمى شعائره ... لا يقبل الله نسك الأغبر الدسم
فى (الصلاة) مناجاة تطهر من ... نفس المصلى وتؤويها لدى البهم

---

١) نظام البردة صـ ٨ ـ ٩ مطابع الشباب بمصر عام ١٩٥٤ م

وفى (الـزكاة) دواء لا مثيل له لكشف ما حاق بالـدنيا من الأز
الاشتـراكية (المثلى) تتـم به بلا كنـود ولا حيف ولا رغ
أما (الصيام) فترويض النفوس على حمـل الشدائـد فى صبـر بلا بر
وكم جلا الطـب من أسراره عجبا يزيل ما عى عنـه الطـب من سق
و (الحـج) مؤتمـر للمسلمـين به تنمـو قواهـم ليضحـوا قادة الأم
وكم به من دروس جد نافعة لو أن آذانهـم خلـو من الصمم[(]

بهذا يكون الشاعر قد أعطى مبادىء عامة وخطوطا عريضة لحكمة فرض
الله لهذه الفرائض حيث يرى أن :

الطهارة شرط أساسى لكل عبادة ومن مستلزماتها والغرض منها تنظيف
الجسد من الأدران والأوساخ والأوضار ، لأن فى طهارة الجسم من هذه الأوسا
حفظاً لتعاليم الاسلام « النظافة من الايمان » وللنظافة وقع حسـن فى نفس
المتطهر .

واذا كانت الطهارة المادية تطهيرا للجسم من أوضاره فإنّ فى الصلاة تطهي
روحيا للنفس من مشكلاتها ووساوسها وهى صلة العبد بربه ، وجعلها دلالة ع
خضوعه وانقياده لخالقه ومالكه .

وقد ردد شاعرنا إيمانه بالصلاة وشعائرها ، تحدث عن آثارها النفسية وو
شعائرها فى قلب المصلى . فقال فى قصيدة (وداع رمضان) [(٢)]

لله ما أحـلاك فى وجـه الصبـاح اذا ب
واستيقـظ الغـافى ليركع للالـه ويسجـ

(١) نفس المصدر صـ ١٠ ـ ١١
(٢) الفتح العدد (٤٧٨) السنة العاشرة

أقــام نافلــة الضحى متألهــا متعبــدا
جذلان قد خلــع الزما ن وراءه وتجــردا

ويتجلى إيمانه حين يقف عند مطلع الفجر ، ويصف شعوره عند سماعه للآذان الداعى الى الصلاة فيقول فى قصيدة (بين الهدى والهوى) (١)

فى طلوع الفجر الـوليد على الكو ن وايذان ليلــه بالهروب
وهبوب الأنفاس من ردنــى الصبــ ـح بروح يحيى النفــوس وطيب
ورن فى مسمــع الســكون أذان قدسى التــرجيع والتثويب (٢)

ثم يقــول :

وقف الشاعــر التقــىّ يصلى فى خشــوع لذى الجــلال المهيب
سرحــا قلبــه يطــير استنانا فى مجــال من الأمانــى رحيب
مطمئنــا لو أنــه احتــرق الكو ن جميعــا ما مســه بلهيب
عامــرا بالهــدى يكاد يرى الله (م) بعينــه فهــو جد قريب

وهكذا نجد أن هذه الكلمات تخرج صادقة من قلب عامر بالايمان ، معترف بواجبات ربه وحقوقه . وهو مطيع ومنقاد لأوامره .

أما الزكاة فهى الدواء الناجع لأعصى أدواء المجتمع وأعسر آفاته وهو الفقر ذلك أنها تأخذ من أغنياء المجتمع وترد على فقرائه ففيها نوع من المساواة . واذا كان دعاة الشيوعية يرددون أن الاشتراكية هى الدواء الوحيد للفقر والقضاء على

(١) مجلة الرسالة العدد (١١٨) السنة الثالثة
(٢) التثويب : أن يقول المؤذن فى أذان الفجر الصلاة خير من النوم

ما كان أقصرها وأطيبـ ـها ليالى كالشباب
زهـرت بهـا غرر المسا جد بالتـراويح العذاب
وهمـت بهـا الرحمـات والبركا ت فى تلك الرحـاب
طوبـى لعبـد فاز فيها بالدعـاء المستجـاب

* * *

والحج بالاضافة الى كونه عبادة مفروضة على كل مستطيع ، فهو مؤتمر عا للمسلمين تؤمه الوفود الأسـلامية من جميع انحـاء الأرض فتظهـر فيه قوتهـ وعظمتهم . لذا فان فيه من الدروس والعظات ما يجعل المسلمين وحدة واحدة .

وهو وقوف بين يدى الله للتخفف من الذنوب والمعاصى :

فما وقوفـك مشدوهـا تردد ما بـين النـكوص على الاعقـاب والقد
وقـد بدا لك نور الله متقدا « يوم الوقـوف » أمـام الواحـد الحك
حيث الجمـوع خشـوع يلجـأون الى مولاهـم بدمـوع التـوب والندم[1]

من كل ما تقدم يتضح لنا ان ايمان با كثير لم يقف عند هذه العبادات موقف التابع المقلد . ولم يكن ايمانه كأيمان العجائز . بل كان ايمانا مبنيا على فهم لهذه الفرائض وللغايات والحكم التى فرضها الله من اجلها .

ومن هنا يتأكد لنا مدى عمق ايمان شاعرنا وقوة عقيدته .

* * *

(١) نظام البردة ص ٤ .

الحرمان فانهم قد أخطأوا المصاب بنظرتهم وتطبيقها بالقوة وايراد المجتمع موارد كدرة بالعنف . فإن أخذ الزكاة هى اشتراكية الاسلام بالرضا وبشىء محدد ومعلوم وهو أمر لا حيف فيه ولا جور على الغنى ولا الفقير ، ومن ثم لم يخلق فى نفوس المجتمع إحناً ولا بغضاء لبعضهم البعض .

فالغنى لا يقع فى نفسه أن ماله قد أخذ منه بالقوة وبأمر السلطان . والفقير لا يؤنبه ضمير ولا تدفعه مذلة أوحقد . بل هو حق له فرضه الله لا السلطان :

وفى الزكاة دواء لا مثيل له   لكشف ما حاق بالدنيا من الأزم
لاشتراكية المثلى تتم به   بلا كنود ولا حيف ولا رغم

والحكمة من فرض الله للصيام هى ترويض النفوس على الصبر وقوة لاحتمال وجعل الغنى يحس بما يعانيه الفقير من جوع وحرمان وهذا علاج نفسى للبشرية ثم ان فيه علاجا جسمانيا حيث تتخلص المعدة من الفضلات وترتاح عضلاتها قليلا من العمل اليومى فى هضم المأكولات . وقد أثبت الطب ذلك .

وبنظرة المؤمن الصادق كان باكثير يتلهف ويتحسر على انقضاء شهر رمضان ، فهو يريده أن يطول حتى يرتوى من غيثه الروحى ، لذا لم يتهلل لانقضائه ، ولم يرقص فرحا لانتهائه ولم يقل « رمضان ولى هاتها يا ساقى » بل كان يحس أنه لم يشبع روحه من بركات هذا الشهر الفضيل .

وفى قصيدة له نشرت بمجلة (الفتح) بعنوان « وداع رمضان »(١) يقول :

أسفى على شهر الصيام ولى ولم نوف الذمام
ولى ولم نشف من سلساله حر الأوام

(١) العدد ٤٧٨ السنة العاشرة .

ومضى قصـــير الظـــل ما بـــين البـــداية والختا
قرأ الـــوداع كأنما قرأ الـــوداع مع السلا

* * *

وبعد ذلك يتساءل ماذا فعل المرء هل تخفف عن ذنوبه وحط ثقالها بالاستغفا واعلان التوبة فى هذا الشهر الفضيل ؟ وهل مسح المرء بالتقوى أوضار النفوس وجلا بروحانيته حبات القلوب ؟ وهل عرف الغاية من وراء الصوم الـذى ه الامتناع عن كل المحرمات وعن البغضاء والإحن وعن كل ما لا يرضى الله أ أنه اكتفى بالصوم من الأكل والشراب وعمل بالأمور التقليدية :

يا ليت شعـــرى هل حططنا فيه أثقـــال الذنوب
أم هل جلونـــا بالتقى صدأ الفســـاد من القلوب
وعلى يديه ليت شعرى هل عرفنـــا أن نتوب
أم قصرنـــا أخـــذ القشو ر به وافـــلات اللبوب

* * *

ويعز على الشاعر أن يودعه رمضان لأنه كان مطمئن الخاطر مرتاح البال لم فيه من الخير والبركات :

رمضـــان يا شهـــر الفضيلة والوسيلـــة والهـــدى
أعـــزز على اطمئناننا بك أن تودعنـــا غد

ويتحسر ويتندم على انقضاء ليالى رمضان الطيبة المليئة بالخير والبركات وبالنور والحبور :

تضرع ودعاء

كثرت الهموم فى حياة با كثير وتوالت عليه المحن والآلام ، وأظلمت حياته وتدجى ليلها ، ولكنه لم يضل فى هذه الظلمات بل كان نور الله هو النبراس الذى يهتدى به فى هذا الدجى ، وكان دائما يفزع اليه ويقصده عندما تثقله الآلام وتلم به الخطوب ، ويرفع يديه مبتهلا متضرعا اليه .

وفى مسرحية همام يقف فى نهايتها عند ورود خبر وفاة زوجته واخيه ليبكيهم بصبر وايمان حيث يقول :

ماذا ؟ أماتوا ؟ أماتت حسن ؟ واكبدى
رباه خذ بيدى .. رباه .. خذ بيدى

ثم يتحسر فى حرقة وألم ويلجأ الى الله طالبا منه العون والسداد وان يخلصه من آلام هذه الحياة بأن يجعل مماته فى هذا البلد الحرام :

يا حسرتى اليوم فارقت الحبيب الى ... غير اللقاء . ووا حزنى ووا كبدى
اشكو اليك الهى ما منيت به ... من الخطوب ولا اشكو الى احد
كأنما أنا لم اخلق لأشهد من ... هذى الحياة سوى البأساء والنكد
اليوم اسكب دمعى غير منقطع ... ان غاض دمعى يمدده دم الكبد
يا رب لم يبق لى فى العيش من ارب ... فلقنى راحتى فى هذه البلد

وفى نهاية المسرحية يقف با كثير رافعا يديه الى السماء معلنا رضاه عن قضاء ربه وقدره طالبا منه ان يلهمه العزاء والسلوان والصبر وان يجمعه بزوجته فى الدار الآخرة . وان يرفع الاسلام والمسلمين الى اعلى المقامات وان يوحد العرب ، وان يتولى موطنه العزيز « الاحقاف » بالرعاية والهداية وان يمسح عنه عماية الجهل

والضلال :

يا رب الهمني العزاء الشافي — واضمد جروحي منك بالألطاف
وآتني عزائم الأسلاف — فانت لى الكافي ونعم الكا
وأولني مناى في الدارين — وحسنا اجمع بينها وبين
في دار خلد بين جنتين — اقرر بذلك عينها وعين
ووحد « العرب » فان الوحدة — تحيى لها ماضيها وعهد
تعيد بعد الأندراس مجده — والله لا يخلف يوما وعد
وانظر الى الاحقاف بالرعاية — وأولها بفضلك العنا
بالعلم والأخلاق والهداية — فجل عنها الجهل والعما
وصل يا رب على المختار — خير الأنام سيد الأبر
وآله وصحبه الأطهار — ما طلعت مواكب الأسح
هذا وقوفى خاشعا بين يديك — وتائبا من كل آثامي اليا
متكلا في كل احوالى عليك — لبيك يا رب الجلال لبيك[1]

وفى نهاية مطولته « نظام البردة » يقف راثيا لحال الشرق ولحال العرب
والمسلمين ، مبتهلا الى الله ان يتدارك هذه الأمة برحمته ، وان يعيد اليها مجده
الضائع ، حتى تطهر هذا العالم من اوساخه وأرجاسه وحتى تقضى على الفس
والفجور :

يا رب رحماك ان الغرب منتبه — والشرق مشتغل بالنوم والسأ
والعرب في غفلة عما يهددها — لم تعتبر بليالى بؤسها الده
يا ويحها تتعادى والعدو على — ابوابها يرقب الأحداث عن كث
يا رب يا صاحب العرش العظيم ومن — تحيى الأرادة منه دارس الرم

---

(١) هيام او في عاصمة الاحقاف ص ١٢٥ ـ ١٢٦ .

ـا بعثـت به خـير الأنـام أجر | يا رب امتـه من وصمـة الصمم
لقهـا منـك روحـا لا يغادرها | الا وقـد نهضـت منشـورة العلم
طهـر الـكون ممـا فيه من رجس | ومـن فسـوق ومـن ظلـم ومـن ازم
لا دواء له ممـا يكابده | الا هداية خـير الرسـل كلهم[1]

* * *

ايمانه بالموت

لقد صادمت باكثير الخطوب ، وعصرته الآلام وذاق مرارة الحياة ، ومن هنا فلم يكن كلفا بها ، ولا حريصا عليها .

وقد ردد ذكر الموت فى شعره كثيرا ، ردده ترديد المؤمن الصادق الصابر المستعد دائما لقضاء الله وقدره . المتقبل لأمره برضى ورحابة صدر :

رب من ذا ارى ؟ ملائـكة المو | ت ؟ الا مرحبـا بوفـد السلام[2]

وفى عدن يمرض بالحمى ويتذكر زوجته الحنون ويبكى لفقدها ويعبر عن هذا الموقف تعبيرا صادقا بأنه لم يبك خوفا من الموت ، ولا رهبة لمقدمه ، وانما تذكر عطفها عليه فى مثل هذه المواقف فيخاطب صديقه الشاعر « لقمان » قائلا :

بكيت ومـا بكيت اليك خوفا | ولا فرقـا من الموت الزبون
لـم تتـرك لى الأيام علقا | اخـاف عليه من ريب المنون
ليس سوى حنـوك هاج شجوى | ومـا ابـديت من عطف ولين[3]

(١) نظام البردة ص ١٤ مطابع الشباب بمصر .
(٢) العدنيات « مخطوط » .
(٣) « باكورة الشعر ما قاله فى اندونسيا » مخطوط .

والموت فى نظر با كثير استراحة من هذا العناء الحياتى ، والحياة كقطار يجرى بسرعة بدون غاية وفى كل محطة ينزل من انتهت رحلته ، والأنسان لا اختيار له فى ذلك ، وانما الأختيار للذى خلقه ، ولهذا عليه ان يترقب مماته فى اى لحظة ، وبدون ان يعترض :

وما الموت ان فكرت الا استراحة ... لمن مات من هذا العناء المردد
ومن خبر الأيام هان مصابها ... عليه ومن يركن لها يتردد
وهذى المنايا دائرات على الورى ... عساكرها فيهم تروح وتغتدى
واقرب ما يستقبل المرء موته ... فان لم يكن قد جاءه فكأن قد
وما المرء فى دنياه الا كحالم ... عديم الهدى حتى اذا مات يهتدى
وما المرء فى مسعاه الا مقيد ... وان ظن جهلا انه مطلق اليد
يقيل فلا يمسى ويرقد آمناً ... فيضحى ولم يحسبه آخر مرقد[1]

ايمانه باليوم الآخر

سبق ان عرضنا للموت فى شعر با كثير وتبينا مدى ايمان الشاعر به .

ولكن ماذا بعد الموت ؟ هل هناك بعث ويوم آخر كما يعتقد اتباع الديانات السماوية ويؤمنون ؟ وهل هناك محاسبة وجنة ونار ؟ أم أن الموت فناء مطلق لا حياة بعده كما يدعى الماديون ؟ .

وبا كثير قد عرض للبعث واليوم الآخر بتيقن المؤمن الصادق وردد الخلد فى شعره اكثر من مرة ، وذكر النار اكثر من مرة ايضا .

---

(١) مجلة ابولو عدد ديسمبر المجلد الثالث .

ولقد تصفحت شعره المخطوط والمنشور فلم اعثر على تساؤل يثير شبهة حول يمانه باليوم الآخر بل كان مؤمنا كامل الأيمان صادقه .

ففى قصيدة يرثى بها زوجته نشرت فى مجلة ابولو ١٩٣٤[1] يقول :

لأمـت بعـدك كى القاك او فلأحـى بالـذكرى لحين
عزائـى فى يقـين اننـى القاك فى دار اليقـــــين

وفى قصيدة يرثى بها الشهيد « صلاح الدين الصباغ » يعـرض للجنـة عيمها محببا الشهادة فى سبيل الله لنيلها .

ـى نزلـت بدار الخلـد فى رغد بـين الخمائـل فيهـا والرياحين
جنـة ما بهـا خوف ولا حزن لولا رثـاء لحـال العـرب يشجينى[2]

واذا كانت الأقدار قد حالت بين الحبيبين فى الحياة الدنيا فان اللقاء فى الدار لآخرة هو اليقين وبروح الفنان المؤمن الصادق كان با كثير فى يقينه يصور فى سرحيته « همام » هذا الأيمان على لسان بطل من ابطالها :

وداعـا الى اللقـاء على الكو ثر فى الخلـد فى جوار السلام
ن تحـل بيننـا الحياة ففـى الخلد سنحظـى بلقية ووئام
ـيرى الحائلـون دون الحبيبين جزاء الالـه ذى الانتقام[3]

واذا كانت الأقدار قد اختطفت حبيبة الشاعر فى هذه الحياة فان ايمانه باليوم الآخر يجعله يقف مبتهلا الى ربه ان يجمعه بهذه الزوجة الحبيبة فى الدار الآخرة :

---

(١) مجلة ابولو عدد ديسمبر المجلد الثالث .

(٢) شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٣٥ .

(٣) مسرحية همام ص ١١٦ .

وأولنــى منــاى فى الدارين و « حسنــا » اجمــع بينهــا وبين
فى دار خلــد بــين جنتين اقــرر بذلك عينهــا وعينى[1]

وفى مطولته « نظام البردة » يشكو الزمان الذى رماه بالخطوب والآلام ، ويقر
انه لا سلو من هذه الآلام والأحزان الا بلقاء الحبيب فى دار الخلد :

بليت فيه بخطــب لا عزاء له الا اللقــاء بدار الخلــد والسلم[2]

واذا كان با كثير قد احتفى بذكر الجنة كثيرا فى شعره الذاتى فانى لم اع
فيما تصفحت من شعره المخطوط والمنشور على ذكر للنار وهذا فى تقديرى يفصح
عن شدة ايمانه بعفو ربه ومغفرته . وهو امر لا يطعن فى ايمانه بالنار ولذا فقد رد
ذكرها فى شعره الموضوعى :

ففى مسرحية « همام او فى عاصمة الأحقاف » يقول على لسـان احـ
ابطالها :

اولــو البــرزخ كيف يغيرو ن عل يحــى وهــم فى الرجا
معشر ماتــوا وصــاروا الى النيرا ن او صاروا لدار المقام[3]

* * *

(١) مسرحية همام ص ١٢٥ .
(٢) « نظام البردة » ص ٤ .
(٣) مسرحية همام ص ٥٧ .

الفصل الثاني :

الرســول والرسَـالة

رسل الله هم الذين حملوا مشاعل الهداية الى البشرية ، وساروا بقبسها روحى فيها ، وكان الأيمان بهم ركنا من اركان العقيدة الاسلامية لذا فقد كان لايمان واجب بهم والاعتقاد بما ابلغوا من الرسالات .

وقد ردد با كثير ايمانه بهؤلاء الرسل فى شعره ، وذكرهم ذكر المؤمن الصادق .

ففى ارجوزة له يقول بشأن اليهود :

طية الشيطـان من قديم من عهـد اسحـاق وابراهيم[1]

ويقول فى نشيد الفتى العربى ذاكرا عيسى ومحمداً عليهما السلام :

ـت للعالـم فى ماضيه قدوة فيجـد حاضره عنـدك اسوة
يرعـك اليوم ارهـاب وسطوة وثقـى بالله ذى الحـول المتين
الذى اوحى لعيسى ومحمد[2]

ويقول فى قصيدة مدح بها الملك فاروق :

من انطـق المسيح وليدا زان فاروق بالحجـى تزيينا
ـذى اكرم النبـى سليما ن بملك حبـاه ملـكا ودينا[3]

---

(١) شعراء اليمن المعاصرون ص ٢٥٤ .

(٢) مهرجان الشعر الأول ص ٨٩ عام ١٩٥٩ دمشق .

(٣) مجلة الفتح العدد « ٥٩٠ » السنة الثانية عشر .

وفى قصيدة « اغنية النيل » يذكر نبى الله موسى ذكرا عارضا فيقول :

يمشـــى[1] على هـــون مشـــى الطـــــــواوي
مـــن عهـــد فرعـــون مـــوســـى ورمســـــــيس

هذه بعض الإشارات لاحتفاء باكثير بالرسل والأنبياء ، ومن الملاحظ
شاعرنا قد ذكر الأنبياء والرسل فى شعره ذكرا عارضا فهو لم يحتف بهم ، ولم يقف
عند رسالاتهم . ذلك انه يؤمن ايمانا جازما ان الدين الاسلامى والرسالة المحمد
قد نسخت الديانات وختمت هذه الرسالات ، وان نبى الاسلام محمد ﷺ ك
خاتم النبيين وسيد المرسلين .

ومن هنا لم يفعل كما فعل شوقى حيث وقف كثيرا عند عيسى وعند المسيح
وردد ذكرها فى شعره كثيرا . وربما كان لشوقى عذره فى ذلك لأن المجتمع الذ
عاش فيه والبيئة التى نشأ فيها قد فرضت عليه هذا الاحتفاء بالمسيحية .

المدائح النبوية

المدح من اسمى الفنون الشعرية عند العرب ، وقد ولعوا به لأنـه يمج
الشمائل الأخلاقية والفضائل الأنسانية . وقد مدح الشعراء العرب للنوال كثي
مثل الأعشى وحسان وغيرهما وقليل من كان يمدح عن مبدأ كزهير بن ابـ
سلمى .

(١) يقصد نهر النيل .
(٢) الرسالة العدد « ٥٧ » السنة الثانية .

واذا كانت هذه المدائح اخذت طابع تمجيد شمائل الممدوح الـذاتية فان
دائح الرسول اخذت طابع الاشادة بالرسالة ، والاشادة بهذا الدين القويم الى
انب شمائل الرسول وفضائله الخاصة .

وقد مدح الرسول ﷺ فى حياته ، وكل ما جاء من هذا المديح كان قليلا
فويا لأنه لم يكن يشجع الشعراء على ذلك .

وأول مدحة قيلت فيه عليه الصلاة والسـلام هى مدحـة الأعشى والتـى
طلعها :

ـم تغتمض عينـاك ليلـة أرمدا وعـادك ما عاد السـليم المسهدا

نها :

ليت لا ارثـى لهـا من كلالة ولا من حفـى حتـى تزور محمدا
ـى يرى ما لا ترون وذكره اغـار لعمـرى فى البـلاد وانجدا
، صدقـات ما تغـب ونائل وليس عطـاء اليوم مانعـه غدا
تى ما تناخـى عند باب ابـن هاشم تراحـى وتلقـى من فواضلـه ندى[1]

ولعل ثانى مدحة للرسول فى حياته واشهر قصيدة قيلت فى مدحه هى لامية
كعب بن زهير والتى اعتذر فيها للرسول عما بدر منـه من مهاجمـة الاسـلام
لمسلمين .

طلعها :

انـت سعـاد فقلبـى اليوم متبول متيم اثرهـا لم يفـد مكبول

ومنها فى الاعتذار اليه :

نبئـت ان رسـول الله اوعدنى والعفـو عنـد رسـول الله مأمول

(١) المدائح النبوية ص ١٦ ـ ١٧ لزكى مبارك .

مهــلا هداك الــذى اعطاك نافلـة القـرآن فيهـا مواعيظ وتفصي
لا تأخذنــى باقــوال الوشــاة ولم اذنــب وان كثــرت فى الأقاو

ومنها فى مدح الرسول والمهاجرين :

ان الرســول لنــور يستضــاء به وصــارم من سيوف الله مسلو
فى عصبــة من قريش قال قائلهم ببطــن مكة لما اسلمــوا زول
زالــوا فما زال انــكاس ولا كشف عنــد اللقــاء ولا ميل معازي
شم العرانــين ابطــال لبوسهم من نســج داود فى الهيجــا سرابي
لا يفرحــون اذا نالــت رماحهم قوم وليســوا مجازيعــا اذا نيلوا[1]

وممن مدحوا الرسول فى حياته النابغة الجعدى حيث يقول :

اتيت رســول الله اذ جاء بالهدى ويتلــو كتابـا كالمجــرة نير
اقيم على التقــوى وارض بفعلها وكنــت من النــار المخوفــة احذر

ولعل من اشهر من مدحوا الرسول ﷺ حيا وميتا هو شاعره الأول حسان بن ثابت ، وكانت لمراثيه لونا خاصا من حرارة العاطفة وصدق التعبير وعبيرا دينيا خاصا وداليته الأولى خير شاهد على ذلك حيث يقول :

بطيبــة رســم للرســول ومعهد منــير وقــد تعفــو الرســوم وتهمد
ولا تنمحــى الآيات من دار حرمة بهــا منبـر الهــادى الــذى كان يصعد
وواضــح آيات وباقــى معالم وربــع له فيه مصلى ومسجد
به حجــرات كان ينــزل وسطها من الله نور يستضــاء ويوقد
معالــم لم تطمس على العهــد أيها اتاهــا البلى فالآى منهــا تجدد
عرفــت بهــا رســم الرســول وعهده وقبــرا له واراه فى التــرب ملحد

---

(١) نفس المصدر ص ٢٣ ـ ٢٤ .

المدائح النبوية بعد وفاة الرسول

من المفروض والمتبع ان ذكر شمائل الميت وتعديد مناقبه يسمى رثاء ولكن ما قيل بعد وفاة الرسول ﷺ من رثاء سمى مدحا وكأنهم لحظوا أن حياة الرسول ﷺ موصولة .

ولهذا فان كل ما قيل بعد وفاته ﷺ من رثاء فيه من هذا القبيل ولم يفرقوا الا فى الحديث عند مراثى حسان لأنه عاصر الرسول وصاحبه [1] .

واذا كان الرسول فى حياته قد مدح قليلا لأنه لم يكن يشجع الشعراء على ذلك ، فانه بعد وفاته قد مدح كثيرا ، وكأن العاطفة الدينية عند الشعراء كانت تتلهف شوقا الى روحه الطاهرة والى استحضار مناقبه وشمائله الزكية ، وكأنهم احسوا بعطش روحى نتيجة لتفشى الفساد فى المجتمع .

وفى العصور التى تلت عصره ﷺ تشيعت مجموعة من الشعراء لأهل البيت من مثل الكميت والشريف الرضى ومهيار الديلمى . وكانت تصدر فى شعرها عن عاطفة دينية قوية ، وعن حب واخلاص لآل بيته الشريف .

وفى القرن السابع الهجرى انشأ شرف الدين البوصيرى [2] مدحته الميمية المشهورة كما نظم بعض قصائد اخرى [3] وقد لاقت هذه القصيدة فى مدح الرسول ﷺ من الذيوع والشهرة ما لا حد له . لهذا فقد تتبعها الشعراء الذين جاءوا من بعده واقتفوا فيها آثاره وتولوها بالتشطير والتخميس والمعارضة .

---

(١) المدائح النبوية ص ٦٤ لزكى مبارك .

(٢) توفى سنة ٦٩٥ بالاسكندرية .

(٣) من مثل الهمزية .

فمن الذين عارضوها فى القرن الثامن والتاسع الهجرى صفى الدين الحلى (٧٥٠ هـ . ») ومطلع قصيدته :

ان جئت سلعا فسل عن جيرة العلم وأقرأ السلام على عرب بذى سلم

ومنهم ابن جابر الأندلسى الضرير (٧٨٠ هـ) ومطلع قصيدته :

بطيبة انزل ويمم سيد الأمم وانشر له المدح وانثر اطيب الكلم

ومنهم عز الدين الموصلى « ٧٨٩ هـ » ومطلع قصيدته :

براعة تستهل الدمع فى العلم عبارة عن نداء المفرد العلم

ومنهم تقى الدين بن حجة (٨٣٧ هـ) ومطلع قصيدته :

لى فى ابتدا مدحكم يا عرب ذى سلم براعة تستهل الدمع فى العلم

وقد شرح هذه القصيدة البديعية فى كتاب سماه (خزانة الأدب) ثم جاءت بعدهم عائشة الباعونية « ٩٣٠ هـ » وصفوت الساعاتى « ١٢٩٨ » وغيرهم .

وفى العصر الحديث اغرم بها الشعراء ايضا وحاكوها وعارضوها ولعل من ابرزهم فى هذا العصر رائد الشعر الحديث محمود سامى البارودى حيث نظم قصيدة تبلغ « ٤٤٧ » بيتا سماها « كشف الغمة فى مدح سيد الأمة » وقد ألم فيها بالسيرة العطرة الماما عاما ومطلعها :

يا رائد البرق يمم دارة العلم واحد الغمام الى حى بذى سلم

ومنهم الشيخ محمد عبد المطلب ومطلع قصيدته :

اغرى بك الشوق بعد الشيب والهرم سارطوى البيد من نجد الى الهرم

ولعل اشهر قصيدة واعلاها صيتا هى معارضة أمير الشعراء احمد شوقى والمسماة بـ (نهج البردة) وعدد ابياتها مائة وتسعون بيتا ومطلعها :

ريم على القاع بين البان والعلم احل سفك دمى فى الأشهر الحرم

وقد بدأها بغزل تمهيدى اعقبه نصح لنفسه بالورع ، وتحذير من الدنيا الخادعة ، وتخلص الى مدح الرسول ﷺ بصفة عامة ، ثم الم بمعالم تاريخه وبعض معجزاته ، ثم عاد الى التاريخ فتحدث عن نزول الوحى عليه وتحدث عن القرآن والحديث ، ثم عاد الى مولده وما صاحبه من خوارق ، وتحدث بعد ذلك عن فساد المجتمع قبل البعثة ، وعن الوثنية وعن جور الحكام من فرس وروم وعن تعسف الأقوياء بالضعفاء . ثم تناول الأسراء والمعراج ، وتكلم عن الهجرة والاختفاء فى الغار ونسج العنكبوت والحمام على بابه . ثم اعتذر عن تخلفه عن البوصيرى ثم عاود الكلام فى أخلاق الرسول ، وفى اثر دعوته ، ورد على دعوى انتشار الاسلام بالسيف ورجع الى الاشادة بشجاعة الرسول ﷺ وجهاده وجهاد صحبه واشاد بالشريعة الاسلامية وآثارها ونوه بمجد المسلمين ولما عملوا بها ، وألم ببعض عظماء المسلمين من خلفاء وملوك ثم ختمها بالشفاعة والتوسل .

* * *

نظام البردة

ونظام البردة لعلى أحمد باكثير فى تقديرى هى آخر قصيدة متينة ومطولة قيلت فى معارضة البردة وقد نظمها الشاعر فى الحجاز قبيل ذهابه الى المدينة المنو لزيارة الرسول (ص) عام ١٩٣٢ وقد طبعها فى القاهرة عام ١٩٣٤ . وأهدا الى روح والده قائلاً فى الأهداء :

« الى روح والدى الكريم ، الذى لحق بربه فى جوار نبيه إن شاء الله م الفردوس الأعلى أهدى هذه الذكرى ، راجياً أن يقدمها بين يدى محمد صلى ال عليه وسلم . فهو فى إحسانه وتقواه ، ورطابة لسانه بذكر الله أحق بتقديمه منى » .

وتبلغ عدد أبياتها (٢٦٢) بيتاً .

وقد بدأها بمطلع شاكى تأملى قائلاً :

يا نجمة الأمل المغشى بالألم ... كونى دليلى فى محلولك الظل
فى ليلة من ليالى القر حالكة ... صخابة بصدى الأرواح والدي
دجى تتالى كأمواج المحيط بها ... عقلى وقلبى وطرفى كل ذاك عم
أكاد أرتاب فى نفسى فأنكرها ... لولا مسيسى جسمى غير متهم

وبهذا يكون باكثير قد خرج على القاعدة المتبعة وهو أن يبدأ المطلع بتمهي غزلى ، وربما فطن الى ما فى ذلك من اخلال بحرمة الموضوع الذى سيتحدث فيه ، وربما استفاد من حركة النقد فى ذلك العصر .

وقد تحدث بعد ذلك عن خلجات نفسه وأحاسيسه ومشاعره نحو الاسلا والعروبة ، ونحو وطنه الصغير (حضرموت) ثم تحدث عن آماله وأماني

تطلعاته ، ويصف السيارة التى ستقله الى الحرم النبوى . ثم يذكر مقصده فى هذه الزحلة ، ويتحدث عن كيفية تصريف النبى لشئون المسلمين فى المدينة . وبعد ذلك يتحدث عن نسب الرسول وابتهاج الكون بمقدمه ،ويتحدث بعد ذلك عن حفظ الله له قبل البعثة . ويتحدث عن شمائله . ثم يتحدث عن الفساد الذى كان متفشياً فى المجتمع العالمى كله وكيف أنه كان محتاجاً الى رسالة تنقذه . ثم يصف القرآن ومعجزته وبعض معجزات الرسول . ثم يتحدث عن دين الاسلام وخصائصه .

وعن حفظ الاسلام لحقوق المرأة ومراعاة تكوينها وخصائصها . وتحدث عن الرقيق والأسر وحكمة الاسلام فى ذلك . ويتحدث بعد ذلك عن يتم الرسول وعن حديث الأفك وكيف أنه كان امتحاناً للرسول والصحابة ويرى أن فيه دليلاً على صدق الرسول لأنه لو كان القرآن من عنده كما يزعم الكفار لما تأخر هذه المدة كى يستنزل هذه الآيات التى تبرىء السيدة عائشة رضى الله عنها . ثم يعود فيتحدث عن القرآن وعن مميزاته اللغوية . وفى الأخير يتحسر على ماضى المسلمين وعلى ما صار إليه الاسلام والمسلمون ويدعو الله أن ينقذ الاسلام وأن يرفعه ويعيده كما كان قوياً ثم يستشفع لنفسه ولآل بيته وللخلفاء الراشدين ولآل بيت رسول الله صلى الله عليه وسلم .

وفى الختام يلمح الى قصيدة البردة للبوصيرى ونهج البردة لأحمد شوقى قائلاً :

ختم بمسك تحيات يفوح على (محمد) خير مبدوء ومختتم
ما أومض البرق فى الظلماء من أضم وما عطا الريم بين البان والعلم

* * *

بين باكثير وشوقي

بعد أن عرضت عرضاً عاماً لأفكار قصيدتي (نهج البردة) و (نظام البردة) في مدح رسول الله عليه الصلاة والسلام لأحمد شوقي وعلى باكثير ارتأيت أن أقف وقفة قصيرة لأوضح وجهة الشاعرين في المدح ، وأبين بعض الفروق العامة . ونتعرف من خلالها على مدى تأثر الشاعر (باكثير) بأمير الشعراء أحمد شوقي . ذلك أن باكثير يذكر في أحاديثه وكتاباته أنه كان متأثراً بشوقي في أشياء كثيرة ، وكان مثله الأعلى في المحدثين وقد ذكر أيضاً أنه حاول أن يقلده في قصيدته هذه :

(.... وكان شوقي في المحدثين هو مثلي الأعلى ، حتى أني حاولت أقلده في أشياء كثيرة منها مثلاً : أني نظمت (نهج البردة) أو مايشبه (نهج البردة) وسميتها (نظام البردة) في مدح الرسول عليه الصلاة والسلام[(١)] .

ظروف إنشاء القصـــــيدتين

أنشأ شوقي قصيدته « نهج البردة » في مدح الرسول تذكاراً لحج الخديوي عباس ومعتذراً بها عن تخلفه من مصاحبته للحج وهروبه من (بنها) وعودته الى القاهرة وقد انشأها في عام ١٩١٠ م .

وقد كانت أحاسيس شوقي ومشاعره عند انشائه قصيدته هاتـه متجمعة صوب مكة ومنى ، لهذا فقد حفلت القصيدة في أفكارها كثيراً بالبعثة وحوادث

(١) حديث إذاعي من البرنامج الثاني من القاهرة عام ١٩٦٩ م .

اة الرسول فى مكة المكرمة .

ومن ثم فانا نلاحظ أن شوقى عندما أراد أن يتخلص من نصح نفسه الى
ح الرسول بدأ بعلامات بشائر بعثته عليه السلام . فهو يقول :

ـد صفـوة البـارى ورحمته وبغيـة الله من خلـق ومـن نسم
راه بحـيرا قال نعرفه بمـا حفظنـا من الأسماء والسيم
ـل حراء وروح القـدس هل علما مصـون سرعـن الادراك منكتم
جيئـة وذهـاب شرفـت بهما بطحـاء مكة فى الأصبـاح والغسم[1]

وأنشأ (باكثير) قصيدته (نظام البردة) فى مكة فى عام ١٣٥٢ هـ قبيل
ابه الى المدينة المنورة لزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وهو محمل بالهموم
لأحزان لهذا فقد بدأها بمطلع يعبر عن أحاسيسه وأحزانه . وذيلها بفقرة قال
ا :

« يقول ناظم هذه الذكرى كان نظمى لها بمكة المكرمة قبيل ذهابى لزيارة
دينة المنورة فى أوائل شهر رجب الحرام سنة ١٣٥٢ هـ والحمد لله أولاً وآخراً » .

والذى نلاحظه على القصيدة أنها قد حفلت فى أكثر أفكارها بحوادث حياة
رسول فى المدينة كما أهتمت بعض أفكارها بموضوعات حديثه مستخلصة من
ح العصر . والذى يفسر لنا هذه النظرة أمرين :
حدهما : ان أحاسيس ومشاعر باكثير كانت متجمعة الى المدينة بعكس شوقى
انيهما : أن باكثير كان شاباً ثائراً على أوضاع المسلمين ، ويرى فى حياة الرسول
جاهدة فى المدينة أعظم مثال للاقتداء بها . ويرى فى الاسلام أعظم مثـال
أفكار الحديثة فى هذا العصر .

) الشوقيات ١/١٩٥

لهذا فانه عندما أراد أن يتخلص من أحاسيس نفسه وشكايتها الى مدي الرسول وجه كل مشاعره وفكره نحو المدينة قائلاً :

حتى إذا وجدت عيناك نفسك فى	ربوع (طيبة) ذات المنهل الش
فيمم (المسجد الميمون) فى أدب	بقلب مذكر فى ثغر مبتس
وأعمد الى (الروضة) الغنا فحيى بها	خير الخلائق من عرب ومن عج
قل السلام على فخر الوجود ، على	خير النبيين طه المفرد الع

ثم يقول عن تصريف الرسول لشئون المسلمين فى المدينة :

كان الرسول هنا يملى هدايته	على الأنام بلا عى ولا لس
كان الرسول هنا يلقى نصائحه	فيطربون لها أشجى من الن
وكان يقضى هنا بين الورى حكماً	أكرم بأحمد من قاضى ومن حك
وكان من ههنا يزجى كتائبه	لنصرة الدين من أصحابه الب
ويستشيرهم فى المشكلات به	وفيه يستقبل العافين بالن
وفيه يلقى وفود الناس آتيه	من كل صوب بثغر منه مبتس
ومنه يبعث بالذكرى رسائله	ورسله للملوك العرب والع
هنا ثوى رجل الدنيا وواحدها	هنا سعى خير من يسعى على قدم(١)

هذه ملاحظات عامة عن ظروف إنشاء القصيدتين ، ومنها يتضح لنا أن ك من الشاعرين قد استحضر سيرة الرسول ومناقبه من الوجهة النفسي والشعورية . التى كانت مسيطرة عليه أثناء إنشاء القصيدة .

ومن الملاحظ أن باكثير لم يتبع شوقى ولم يتأثر به فى نهج البردة إلا فى أم طفيفة مع أنه دائماً يذكر أنه تأثر به ونظم هذه القصيدة مقلداً ومحاكيا له

(١) نظام البردة ص ٤ ـ ٥

لشاعر باكثير ذكر نواحى من حياة الرسول فى المدينة لم يذكرها شوقى كما أنه يتعرض لحياة الرسول ولا للدعوة فى مكة . كما أن هنـاك أفـكاراً وآراء فى اسلام ذكرها باكثير ولم يعرض لها شوقى .

والذى لاحظته أيضاً أن باكثير كان يشيد بأعمال الرسول بعد الهجرة وكان سيد بالدين كنظام للحياة وكانقلاب فكرى وهذا ربما فسر لنا وجهة نظر باكثير الاسلام وهو أنه دين جهاد وعمل وليس دين خمول وتنظير ، ذلك أنه ينظر الى انب العملى من الاسلام .

والذى لاحظته أيضاً أن أفكار القصيدة مشتتة وهى غير مرتبة ، وبعض كار عرض لها الشاعر ولكنها جاءت مبتورة فهو لم يستطع الخروج بها الى اط التفسير والشرح بل وقف عند المنبع .

وقد لاحظت أيضاً أن بعض الأفكار غائمة فهى تحتاج الى توضيح والى أدلة سندها كما كان يغلب على موضوعاتها السرد التسجيلى وليس التصوير والايحاء .

هذه بعض ملاحظات عابرة على القصيدة وسوف نوضح كل مانعرض من صوص عند حديثنا عن الرسول والرسالة فى هذه القصيدة .

الرســول

عرض باكثير فى قصيدته (نظام البردة) للرسول وشمائله العامـة ، وردد ناقبه الحميدة ، وأخلاقه الفاضلة ، وتحدث عن خصائصه ومميزاته وأعماله . وعن سائر مولده وعن بعض نواحى حياته ، وأحداثها .

وقد بدا لى عند دراستى لشعره أن أعرض لهذه النواحى التى جاءت فى شعره درسها دراسة تجعلها قريبة من الفهم .

١ ـ بشـــــــائر مولده :

وقف باكثير وقفة قصيرة عند بشائر مولده وتهليل الكون بمقدم الرسول
وصور هذا الحدث بأنه اشراق وضياء لهذا الكون ، وأنوار ساطعة عمته ، وأنه
وبركة قد هبطت على هذا العالم ، وأن السموات تهللت واهتزت طرباً لمقدم من
البشرية مما هى فيه من فساد وآثام . والحور يسجعن بأصواتهن الناع
ويتراقصن ابتهاجاً وحبوراً ، وأن الملائكة قد سبحت لربها كثيراً فرحاً وش
بمقدم هذا النور جالى الظلام وماحى الظلم .

وقد فتحت أبواب الجنة ، وأشرقت رحاب السموات وكأن الله سبحانه وتع
قد أصدر عفواً عاماً عن البشرية وعمهم برحمته ورضوانه إكراماً لمولد نبيه ورس
صلى الله عليه وسلم .

جاءت به الدرة العصماء (آمنة) فأشرق الكون من أنواره الع
واهتز أهل السموات العلى طرباً بمنقذ الكون مما فيه من ا
وغنت الحور أصوات السرور على مقاعد النور فى قدسية الن
وسبحت ربها الأعلى الملائك عن شكر وبشر بما حى الظلم والظ
وأشرقت رحب الجنات وانفتحت أبوابها ، وتجلى الله بالرحم(١)

* * *

٢ ـ نســــــبه :

تهلل الكون لمولد الرسول ، وعمت بشائره الكائنات ، ولكن الى أين ينتس

---

(١) نظام البردة ص ٦ مطابع الشباب بمصر

ماهى الاصلاب الطاهرة التى حملته ؟

عرض شاعرنا لهذا وقرر أن الرسول عليه الصلاة والسلام قد حملته أطهر الاصلاب وأشرف الانساب . فهو من قمة الانساب ، وأعرق الاحساب ، فهو سليل الأنبياء ، وفى ترائب الاشراف والفضلاء :

ختاره الله من نسل (الخليل) فمن ... فرع (الذبيح) فمن (عدنان) ذى الكرم
من (كنانة) فى العلياء فى (مضر) ... فمن قريش فمن (عمرو) الندى الهشم
الأبيض الغر الميمون طالعه ... فجامع الفضل (عبدالله) والشيم
عقد من النسب العالى يفوق على ... عقد من الدر والالماس منتظم
كأنما الخلق (روض) والرسول به ... (خلاصة العطر) فى أزهاره الفضم[1]

* * *

٣ ـ كلاءة الله له :

سارت حياة الرسول قبل البعثة حياة عادية فى مظهرها ، ولكنها مميزة فى جوهرها ، فقد حفظه الله مما عليه قومه فلم يعكف على صنم ولم يشرب خمرا ولم يدنس نفسه بعادات وتقاليد قومه الرديئة وقد حلاه سبحانه وتعالى باخلاق فاضلة وخلال نبيلة ، فلم يكذب قط ولم يشاتم ولم يساب أحداً .

عرض لكل ذلك الشاعر باكثير ثم عرج على زواجه صلى الله عليه وسلم من السيدة خديجة وأنها لما رأت من أخلاقه وصفاته أختارته زوجاً لها ، وهذا بدون شك أمر معروف لكل دارس لسيرته عليه السلام .

---

(١) نظام البردة ص ٥

ولكنى اشتم وقد أكون واهماً ـ أن باكثير يرى فى زواج الرسول بالسيد
خديجة توجيها من الله سبحانه حتى تؤازره وتشد من عزمه فى تبليغ الرسالة بما ه
من جاه ومال :

ماكان يعلم أن الله مرسله   يوماً لأمته دع سائر الأم
لكن مولاه قد حلاه من صغر   بكل عال من الاخلاق والشي
فكان فى قومه بدعا يباينهم   فيا يجيئون من نكر ومن كش
وصانه الله عما هم عليه فلم   يشرب ويله ولم يعكف على صن
لم يعرف الكذب يوماً ما على أحد   فكيف يعرفه عن بارى النس
رأت خديجة فى أخلاقه عجباً   وهى الغنية ذات الرأى والفه
فكاشفته هواها فى تزوجه   فكان عرسهما من أبرك القس
إذْ أصبحت خير عون عند بعثته   لبت لدعوته بالمال والخد
وهدأت روعه إذ جاءها فزعاً   من بدأة الوحى أن لاتخش فى لم
فأنت أحملهم للكَل أعونهم   على النوائب أحناهم على الرح
أعظم بها امرأة حيت أناملها   (محمداً) منقذ الدنيا من الغم(1

* * *

٤ ـ بعض شمائله :

تحدث باكثير عن طباع الرسول وأخلاقه ، وعرض لشمائله وخلاله وصور كل
تلك الأمور تصويراً صادقاً .

فهو يهش لمحدثيه ويحدثهم باسم الثغر مشرق الوجه وضيء القسمات وهو لين

---

(١) نظام البردة ص ٦

الطباع يعفو وهو القادر ، ويصفح وهو القوى ، ولا يغضب إلا إذا مست حدود الله وانتهكت حرماته .

يلقى الأنام ببشر غير مصطنع ... ولا يكلم شخصاً غير مبتسم
يعفو ذنوب الورى فى حقه كرماً ... ويقبل العذر من جان ومجترم
حتى إذا انتهكت لله حرمته ... رأيت غضبة ليث هيج فى الأجم[1]

وهو شجاع مقدام ، لا يتزعزع ولا يرهب إذا ما وجل الآخرون وتملك قلوبهم الهلع ، واضطربوا :

سفر الشجاعة فصل من شجاعته ... إذا الجموع تلاقت والوطيس حمى
يبدو إذا وهت الأركان فى جزع ... أقوى وأثبت أركاناً من الهرم
وربما انفضّ عنه جيشه فيرى ... كأنه وحده جيش من البهم[2]

وهو كريم معطاء يجود بكل ماتملك يده بدون مَنّ أو ضيق بل بسماحة وتهليل ـ وبذله للمال على وجهين : وجه يبذله للمحتاجين والفقراء فى سبيل القضاء على البؤس والعوز ـ ووجه يبذله فى سبيل تثبيت الدعوة الاسلامية فهو ذو طابع سياسى :

يعطى العفاة عطاء غير منقطع ... بلا حساب ولا منّ ولا برم
ويستميل وفود العرب تقدم من ... شتى النواحى ببذل المال والنعم
يحنو على كل ذى بؤس ومتربة ... لاسيما بؤساء الأيم واليتم[3]

وهو قنوع راض بحياة التقشف . فلم يغير حياته ، ولم يبدلها بعد ما سبقت إليه الغنائم من أنحاء الجزيرة العربية .

---

(١) (٢) ، (٣) ، نظام البردة ص ٦

يطـوى الليـالى جوعـاً بعدمـا جبيت   له الغنائـم من نجـد ومـن تهم
ماعـاب قط طعامـاً قدمـوه له   ومانعـى قط تقصـيراً على الخدم
إن شاء يأكلـه أو شاء يتركه   أكان مؤتدمـا أو غـير مؤتدم[1]

والرسول ليس رجلَ ملذات ولا زيرَ نساء كما صوره المستشرقون وطباعه طباع رحمة وإنسانية وتأليف وليست طباعاً غريزية شهوانية ، فلو كان كذلك كما يدعى الحاقدون على الاسلام ـ لما اختار العجائز حانيات الأظهر ، بل أختار الكواعب الأبكار ـ لذا فقد كان زواجه من النسوة اللاتى تزوجهن اما زواج شفقة وعطف وإيواء وتكريم واما زواج لغرض تأييد الدعوة بربط الصلات والقرابات بالرحم :

ومـا تزوج تسعـاكى يلـذ بها   إذن لما أختـار من يمشـين للهرم
لكنـه كان يرجـو أن يتـم به   نشر الهدايـة فى الأقـوام باللدم
كما تزوج من بعض ليكفلها   ومـن تفـز برسـول الله لم تنم[2]

والرسول (ص) متواضع فى معاملته وحياته ، فهو لم يتخذ حشماً ولا خدماً ولا حراساً يكون بهم مميزاً على أصحابه ، وهو فرد عادى فى مظهره ، لكنه غير عادى فى مخبره . وفى حياته العائلية لم يكن مميزاً أيضاً بل كان كأحد أفراد الأسرة .. أب وزوج وهو يعمل مايعملون ويأكل مايأكلون وليس فى ذلك من عجب فمحمد عليه الصلاة والسلام لم يكن كقياصرة الروم أو أكاسرة الفرس بل كان نبياً مرسلاً صاحب رسالة سامية جاءت لانقاذ المجتمع من المظالم والفساد ولتعليم البشرية التواضع فى عزة وأبـاء ولتقضى على الـذل ، وترتفـع

---

(١) نظام البردة ص ٦
(٢) المصدر السابق

لإنسانية الى مكانتها ، وتعلمها العمل والاعتماد على النفس ، واحترام الإنسان
ترام كرامته .

ون فى صحبه فرد كأصغرهم شأناً ويمشى بلاصحب ولاحشم
صف النعل ، يرفو الثوب يأخذ فى إعانة الأهل يسعى فى سرورهم
عجبوا .. إن (طه) لم يكن ملكاً بل مرسلاً جاء بالآيات والحكم[1]

* * *

البعثـــــة

كان العالم قبل البعثة المحمدية يعيش فى فوضى وفساد ومحسوبية وكان قوى يطغى على الضعيف ويسلبه ماله وعرضه ، وأثرى رجال الدين وعم فساد والطمع والظلم . وكان من الطبيعى أن يرسل الله سبحانه وتعالى منقذاً قذ هذا العالم من هذه المظالم والمفاسد ، ويضىء الطريق للعالم بمصابيح هداية والنور ، ويتم رسالات الرسل ، ويقضى على الانحراف والكذب على الله على الديانات السماوية . وكان أصلح شخص لتبليغ هذه الرسالة هو (محمد بن بدالله عليه الصلاة والسلام) فهو من أمة أمية لاتعرف القراءة ولا الكتابة ، ن أرض طاهرة لم تدنسها الفلسفات ، ولم يطئها القساوسة بأكاذيبهم قاويلهم . وهى لاتملك من العلوم غير هذه اللغة البليغة الفصيحة . لهذا فقد ختار الله نبيه من هذه الأمة وأختار معجزته بلسانها المبين .

وقد تولى الله سبحانه هذا النبى الذى اختاره لتبليغ رسالته الى العالم

1) المصدر السابق

بالحفظ والرعاية والعلم وخصه بمميزات وخصائص منذ أن كان رضيعاً فشاباً و
يزوده باستعدادات فطرية وقوى عقلية جعلته يهتدى الى وجوده والى فهم هـ
الكون ومكونه .

وعذب النـاس باسـم الديـن واستلبت … أموالهـم للقسـوس الفسـق والغش
فكان من حكمـة المولى ابتعـاث فتى … يهـدى شعـوب الـورى للمنهـج اللـ
يتـم مابـدأ الرسـل الـكرام به … من دين موجد هذا الكون من عد
من منذ أن كان يحبو (العقل) ثم مشى … على الجـدار الى أن سار بالقـ
والديـن يوحـى إليـه ماينـاسبه … فى كل طور ويزجيـه الى الأ
الى أن أشتـد زنـداه مراهقة … ثم استـوى رشـده فى آخـر الأ
حيـث استعـد لفهـم الحـق معتمداً … على الأدلـة لا بالخـرق للنـ
فالخارقـات إذا قام الدليـل بها … من قبـل فهـو بهـذا العصر لم يـ
فكان أصلـح شخص للقيـام به … (محمـد) العربـى الطاهـر الشـ
من أمـة ما قضى قس ولا ملك … لهـا على خلـق حر ولا شـ
أميـة ما حوت علماً سوى لغة … شماء ما خضعـت للطـرس والقـ
فلـم تزل تترقـى فى العصـور الى … أن أخـرج الدهـر منهـا أبـدع النـ
ذاك الكتـاب الـذى أحيـى النبـى به … بقـدرة الله أجيـالاً من الر
أقـام من (يعـرب) من بعـد شقوتها … شعبـاً عزيـزاً قويـاً جد ملتـ
قامـت به دولـة عظمـى على أسس … من الهدى والتقـى والعـدل والكـ
رعـت ولـم يمض من تكوينهـا زمن … كبـرى الممالك بعـد الشـاء والنعم[1]

* * *

(١) المصدر السابق .

معجزاته ودلائل صدقه

أرسل الله سبحانه وتعالى الرسل الى عباده فى شتى العصور ، وبعثهم رسالاته ليبلغوها بصدق وأمانة ولما كانت كل دعوة تحتاج الى دليل والى معجزة ؤيد صدقها وتوضح حقيقتها فقد نزل عليهم الآيات واوحى اليهم بالتنزيل الكتب توضح الرسالة ، وتبين الدعوة ولم يتركهم لوحدهم فى ميدان المحاجة لعقلية والمجابهة الكلامية بل أيدهم بالخوارق كدليل على صدقهم وبرهان على سالتهم . فكانت عصى موسى تلقف ما يأفكون ، وكان إحياء عيسى للموتى اذن ربه وابراء الأكمه والأبرص . الى غير ذلك من الخوارق المعجزة التى زود الله بحانه وتعالى رسله بها .

وقد أعطى الله سبحانه وتعالى نبينا ورسولنا الكثير من هذه الخوارق المعجزة كدليل على صدق نبوته وبرهان على رسالته بالأضافة الى المعجزة الكبرى القرآن الكريم) الباقى على طول الزمن ومدى الدهر ، والذى عجز فصحاء لعرب وبلغاؤها أن يأتوا بسورة من مثله بل آية . وكان من هذه الخوارق المعجزات عروجه الى السماء السابعة ووقوفه عند سدرة المنتهى ومنها نبع الماء ن بين أصابعه ، وحنين الجذع إليه ، والأخبار عن موت حاكم اليمن الى غير ك .

وقد تحدث باكثير عن هذه الخوارق المعجزة قائلاً :

ا على أن (طـه) قد أتيـح له منهـن شيء كثـير ليس بالأمم[1]
ـل العـروج ونبـع الماء من يده وهـزم جيش برمـل من يديـه رمى

---

[1]) الأمم : اليسير

والجــذع إذ حن والأخبــار عن غيب بموتهــم ثم ، والتكثـير للوشم
وغــير ذلك ممــا جاء عن عرض لا للتحدى فشمس الحق لم تغم

وإذا كانت هذه الخوارق قد جاءت بقدرة الله كدليل على صدقه وعلى صح نبوته وكانت فوق إدراك العقل وتصور المنطق ، فان هناك دلائل عقلية منطقية حدثت تثبت صحة رسالته وصدق نبوته ، ومن هذه الدلائل المنطقية أنه نش فقيراً ويتيماً وأمياً ولم يكن فى يوم مايطمع الى أن يكون رئيساً أو ملكاً ، ولم يتط يوماً الى شيء من الأمور الدنيوية التى تسمو بصاحبها الى أن يكون ذو مكانة المجتمع .

وهذا الكتاب المعجز الذى هو دليل الرسول والرسالة الذى وضح كل شي يتعلق بحياة البشر من نظام للحياة وتشريع للمجتمع ومافرض من واجبات وم حقوق لسكان هذا الكون . دليل على صدق الرسول حيث إن ماجاء فيه م التفصيل ومن الأصول لم يكن يخطر ببال فيلسوف أو حكيم فى يوم ما .

الله أكبــر هل فى الشـــمس طالعة شك وهل بعـد رأى العـين من وهم
فتــى يتيــم فقــير فى البــداوة ما جالــت يداه على سفــر ولا ق
قضى شبيبتــه فى الصالحــات ولم يبـغ الرئاســة يومــاً ما ولــم ي
حتــى إذا جاء سن الأربعــين أتى بمعجــز زاخــر بالعلــم والحك
أتــى بمــا لم يدر يومــاً على خلد من فيلســوف ولا حبــر ولا حك
وكيف يسبــق مالــم يأت بعــد سوى رب الزمان إليــه الـكون ذى القدم

* * *

(١) الوشم : القلة
(٢) نفس المصدر
(٣) نفس المصدر

وباكثير بهذا يرد على الدعوات المضللة التى يرددها أعداء الاسلام من أن القرآن يشبه كلام حكماء العرب وأحبار اليهود .

وثم دليل آخر عقلى منطقى على صدق الرسول ألا وهو (حديث الافك) فقد ابتلى ﷺ بمحنة عذبته وجعلته يتلظى على نار بين الشك واليقين . فقد اتهم أهل بيته وطعن فى عرضه وشرفه ، بذلك الحديث المفترى الذى ردده المنافقون للنيل من رسول الله ﷺ .

وزلزلت هذه المحنة الرسول كما زلزلت الصحابة ، وأصيب القوم بغم وهم ، واضطراب بين مصدق ومكذب ، واستمر ذلك أياما حتى أنزل الله تبرئة للسيدة عائشة رضى الله عنها .

تحدث باكثير عن ذلك وقال إنه دليل على صدق الرسول وبرهان على أن هذا القرآن منزل من عند الله . فلو أنه من عند محمد لما تأخر كل هذه المدة والشك يعذبه ، ولأصدر آيات من عنده تكذب هذا الحديث بأسرع وقت :

محنـة الافـك برهـان يدل على ... صدق النبى ، وينفـى سائـر التهم
... فيهـا ـ وطـه فى تبلبله ... من هولها ـ حكمـة تسمـو على الفهم
... كان من قلبـه هذا الكتـاب لما ... قضى زمانـا طويلا وهـو فى غمم
... ـذب الشـك قلبـا منـه ممتلئا ... بالحـب والطهـر مغيارا على الحرم
... لا يبـت بأمـر فيه وهـو على ... مثـل الأسنـة لم يبـرىء ولـم يصم
... المسلمـون بحـال لا شبيه لها ... من التحـير والاشفـاق والألم
... حتـى أتـى الوحـى بالآيات معلنة ... براءة الطهـر ذات القـدس والعصم
... زوج النبـى ابنـة الصـديق صاحبه ... خير الـورى بعـد خير الخلـق كلهم
... أشرقـت أوجـه الأصحـاب من فرح ... وجللـت أوجـه الأعـداء بالسخم[1]

---

(1) السخم : السواد

(منافقــون) يراؤن النبــى ولا ... يألــون يمنونــه بالســم فى الدس
يدرى النبــى بهــم والمسلمــون ولا ... يقضى عليهــم وهــم أعــدى عدوه
أن لا يقال : ابـن عبـد الله يقتـل فى ... أصحابـه (وهـو أوفى الخلـق بالذمم
ولــو أراد لأفناهــم بمــا اجترحوا ... فهم أذل (مـن الجعـلان والحلم) (
أبعــد هذا يمــارى فى نبوته ... الا أصـم عن الحـق المنـير عمى ؟(

* * *

(٧) تشفعــــه

عرض الشعراء الذين عارضوا البردة والذين مدحوا الرسول لشفاعة الرسو
عليه السلام وتشفعوا عند الله سبحانه وتعالى أن يغفر ذنوبهم ويمحو سيئاتهم .

وباكثير ردد ما قالوا واستشفع برسول الله فى صدق وإيمان . متيقنــا مر
شفاعة رسوله ، ومتيقنا من مغفرة ربه . والشفاعة لرسول الله يوم القيامة كما تذك
الأحاديث النبوية حق لا جدال فيه .

وقد تشفع باكثير للمسلمين جميعا برسول الله ، كما تشفع لنفسه ولأهل بين
وأقربائه ، كما تشفع للخلفاء الراشدين ولآل بيت رسول الله ﷺ .

(أ) شفاعته للمسلمين :

إذا كان شوقى قد انفرد من بين مادحى الرسول بتشفعه للمسلمـين فإ

(١) الحلم : جمع حلمة دويبه تقرض الجلد .
(٢) المصدر السابق

اكثير قد تابعه فى ذلك ، وتشفع هو الآخر لهذه الأمة ، ودعا الله مخلصا بجاه نبيه لمختار أن يأخذ بيد الأمة الاسلامية إلى مسالك النهضة والرقى ، وأن يمنحها لقوة والعزة ويعيدها كما كانت فى عصورها الأولى ، حتى تطهر هذا الكون من رجس والفسق والظلم وحتى تقيله من عثراته وأزماته :

رب ياصاحب العرش العظيم ومن ... تحيى الارادة منه دارس الرمم
ـا بعثت به خير الأنام أجر ... يارب أمته من وصمة الصمم
قها منك روحا لا يغادرها ... الا وقد نهضت منشورة العلم ؟
هر الكون مما فيه من رجس ... ومن فسوق ومن ظلم ومن أزم
ﻻ دواء له مما يكابده ... الا هداية خير الرسل كلهم[1]

(ب) كما تشفع بالرسول للمسلمين تشفع لنفسه ولأهله وأقربائه وتوسل إلى ـه أن يغفر ذنوبهم ، ويمحو زلاتهم :

ـلأ فؤادى نورا من هدايته ... واجعل عزائمه ممزوجة بدمى
ـقدر لى الخير وارزقنى شفاعته ... فى يوم يؤخذ بالأنفاس والكظم
ـل من حوضه حلقى اذا اتقدت ... نار الأوام وكل العالمين ظمى
غفر ذنوب أبى فضلا ووالدتى ... وزوجتى وذوى قرباى والرحم[2]

جـ) تشفعه للخلفاء الراشدين وعترة الرسول (ﷺ) :

وباكثير زاد فى تشفعه على شوقى بأن تشفع للخلفاء الراشدين (أبى بكر صديق) و (عمر) و (عثمان) و (على) رضى الله عنهم . كما تشفع لآل

---

١) نفس المصدر
٢) نفس المصدر

بيت رسول الله .

وقد ذكر من أعمال الخلفاء أموراً قدمها بين يدى توسلاته قائلا :

وصــل أزكى صلاة منــك دائمة ... على الرســول رســول الرحمــة القثم
وانشر رضاك على (الصديق) صاحبه ... فى الغــار ذى البــر والاشفــاق والر
رب المواقف فى عصر النبــى وفى ... وفاتــه وحيال (الــردة) الع
ثم ارض عن (عمر) الفاروق أول من ... صلى برغــم أنــوف القــوم فى الـ
مقــوض الفــرس والرومــان شائده ... ملــكا يطــول على الأقمار والنـ
وارض (عثمان) ذا النورين أخشع من ... تلا الكتــاب بدمــع منــه منسـ
مجهــز الجيش ارضــاء لخالقه ... فى عسرة الجيش بالابــريز والقضم[2]
وعن (على) أبــى الريحانتــين ، أخى ... خــير الــورى ، بطــل الأبطــال قطب
سيف النبــى وفــاديه بمهجته ... امــام كل صدوق فى اللقــاء كمـ
ثم الســلام على (طــه) وعترته .. ... وآلــه قرنــاء (الــذكر) فى الحـ
على (البتول) على الكبرى على حسن ... على (حسين) على (أزواجه العصم)[3]

* * *

الرسالة

ومحمد بن عبد الله الرسول الذى ذكر (باكثير) من صفاته وطباعه وأعما
أموراً كثيرة ـ فيما قدمنا ـ قد أتى برسالة عظيمة ، ودين قويم وكلف بإنقاذ هـ

(١) القثم : الكريم المعطاء

(٢) القضم : قطع الفضة جمع قضيمة

(٣) نفس المصدر

العالم مما يعانيه من ضلال وفساد وطغيان واضطراب .

فقد كانت الفوضى ضاربة أطنابها فيه ، وكان يرتكس فى مهاوى الفساد ويتعثر فى طرقات الفجور ، ويسير فى مسالك الضلال والطغيان ، وكانت تسود ما قبل الرسالة فترة من الفوضى والاضطراب فى العالم كله ، فالبشرية حائرة بدون شرع أو نظام تركت الديانات السماوية بعد أن حرفت ، وعكفت على عبادة الأصنام ، واطاعت القساوسة والرهبان ، وتفشت فيها المظالم والفساد والانحلال الخلقى . وسخر الناس واستعبدوا للأقوياء والأغنياء ورجالات الدين .

لهذا كله فقد كانت البشرية فى حاجة إلى رسالة تنقذها مما هى فيه وكانت فى حاجة إلى منقذ ينقذها من هذا الاضطراب وهذا الضلال .

وكان من لطف الله بهذا العالم أن بعث محمد بن عبد الله بهذه الرسالة العظيمة تنقذه من هذا الضلال ومن هذه الفوضى ، ليسوده العدل والأمن والاستقرار وليقيم مجتمعا عالميا أسه الأخلاق والمثل ، وقمته التآخى والمساواة .

عرض الشاعر باكثير لحالة العالم قبل الرسالة المحمدية وصور الأرض بأنها كانت خائفة مضطربة قبل الرسالة تجأر بما عليها من المظالم وتصرخ بما فيها من فساد فلا يسيرها نظام ولا يهديها شرع إلى أن تداركها الله بلطفه وحكمته وبعث فيها هذا الرسول بهذه الرسالة :

وافى على فتـرة والأرض واجفة ... مما بهـا من صنـوف الكفـر والجرم
ضـج بالظلـم لا شرع يقـوم بها ... من السماء ولا من واضـع نقم
أمـا (أوربـا) فأهلوهـا برابرة ... مثـل الوحـوش على بعض وسفـك دم
و (الهند) و (الفرس) غرقـى فى اباحتها ... و(الروم) من أحسن الأحزاب فى ضرم
ى كل ركن من الـدنيا جبابرة ... يستعبـدون رقـاب النـاس كالغنم
فى أمة القبـط ، فى شعـب اليهـود كما ... فى الهند فى الصين فى الرومان فى العجم

ساد الفساد وعم الشر وانفجرت … براكن الوغى والشحناء والوغم[1]

وحرفت كتب الرحمن وامتهنت … كرامة العدل والآداب والنظ

وأصبح الناس فوضى لا يسودهم … إلا الزعانف أهل البغى والعشم[1]

وعذب الناس باسم الدين واستلبت … أموالهم للقسوس الفسق والغش

فكان من حكمة المولى ابتعاث فتى … يهدى شعوب الورى للمنهج اللقم[2]

يتم ما بدأ الرسل الكرام به … من دين موجد هذا الكون من عدم[3]

* * *

خصائص الرسالة

إذا كانت الرسالات السماوية السابقة للرسالة المحمدية قد جاءت مجملة وخاصة لأقوام ، فإن الرسالة المحمدية قد جاءت مفصلة وعامة إلى سائر البشرية قال تعالى : « وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا ولكن أكثر الناس لا يعلمون »[4] وقال أيضا :

« وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين »[5]

وقد اختصت بخصائص ومميزات ربما لم تتوافر لأى رسالة سبقتها .

---

(١) الوغم : الحقد
(١) العشم : الطمع
(٢) اللقم : الطريق الواضح
(٣) المصدر السابق
(٤) سورة سبأ ٢٨
(٥) سورة الأنبياء ١٠٧

فهى أولا شاملة كاملة فقد اهتمت بالألوهية ووحدانية الرب ، كما نظمت العلاقات البشرية وشرعت الشرائع والنظم ونظمت حياة الفرد والمجتمع فأعطت الفرد حقوقه ، وأعادت له عزته وكرامته وفرضت عليه واجبات نحو ربه ومجتمعه ، واهتمت بالمجتمع فنظمت علاقاته ، وهذبت من سلوكه وربطته برباط الأخلاق والمثل والانسانية والحب والاخاء .

وهى ثانية رسالة سلام وعدل ، ومساواة وكرامة ، فقد قضت على الظلم والطغيان والفساد ولم تشرع الحرب الا للدفاع عن النفس . لهذا فقد انتصرت للضعيف من القوى وسوت بين الناس فى الحقوق والواجبات .

وقد ردد الشاعر باكثير كل هذه الخصائص فى شعره فقال إن الرسالة المحمدية قد وحدت الله المعبود الفرد وجعلت العبد يدعوه بدون وساطة :

ويجعل العبد يدعو الله خالقه بلا حجاب من الاحبار والنهم[1]

وقال : إن الدين لم يشرع الحرب إلا للدفاع عن الدعوة أو فى ردع غاصب و ظالم :

لم يشرع الحرب إلا فى مدافعة عن دعوة الحق أو فى كف مهتضم[2]

وقال : إنه دين أخلاق وقيم وعشرة ، ودين مساواة وعمل :

يدعو إلى العلم والأخلاق يرفعها ويبذر العز فى اتباعه الكرم
لا يلتقى الذل والاسلام فى خلد أو يمكن الجمع بين الماء والضرم
الناس كلهم فى حكمه شرع لا فضل فيه لمخدوم على خدم

(١ ، ٢) المصدر السابق

ولا تفاضل فى مال ولا نسب وإنما الفضل للأعمال والهمم[(]

وجميل من باكثير هذا التصوير لعزة الاسلام وإبائه ومساواته وعدله وربما كا[ن]
صدق هذه الكلمات قويا لأن باكثير كان يحس بما يعانيه المسلمون من هض[م]
لحقوقهم ومن ضعف فى ذلك الوقت وربما كانت أحاسيسه نحو وطنه حضر مو[ت]
هى التى خلقت هذه الصورة الصادقة .

وقال إن الرسالة المحمدية قد فرضت الفرائض وحددت الواجبات لتطهي[ر]
العبد من الرجس الظاهرى والباطنى ، فالتطهير من الرجس الظاهرى يبدو [فى]
اهتمامها بتنظيف جسم الانسان من الأوساخ والقاذورات ، والتطهير الباطنى ه[و]
صفاء النفوس والضمائر وتنقيتها من الأحن والضغائن والقضاء على هذه الآفات
الداخلية الكامنة فى أعماق الانسان وهى إنما فرضت ذلك ليكون دليلا على طاع[ة]
المخلوق للخالق وبرهانا على انقياده وربطه بربه ربطا روحيا :

يرى الطهارة من أسمى شعائره	لا يقبل الله نسك الأغبر الدسم
وفى الصلاة مناجاة تطهر من	نفس المصلى وتؤويها لدى البهم
وفى الزكاة دواء لا مثيل له	لكشف ما حاق بالدنيا من الأزم
(الاشتراكية) (المثلى) تتم به	بلا كنود ولا حيف ولا وغم
أما الصيام فترويض النفوس على	حمل الشدائد فى صبر بلا برم
وكم جلا الطب من أسراره عجبا	يزيل ما عى عنه الطب من سقم
والحج مؤتمر للمسلمين به	تنمو قواهم ليضحوا قادة الأمم
وكم به من دروس جد نافعة	لو أن آذانهم خلو من الصمم[(٢)]

* * *

---

(١)(٢) المصدر السابق

وقال ان مميزات الرسالة المحمدية أنها واضحة لا غموض فيها ولا التواء وانها تهتم بحياة الانسانية فى الحياة الدنيا كما تهتم بها فى الحياة الآخرة واهتمام الرسالة بالانسانية فى الحياة الدنيا هو تربية النفوس على الأخلاق ، والفضائل ، وابعادها عن مهاوى الشر والفساد والفحش ، لأن فى ذلك لاشك سعادة لها واستقرارا وهدوءا نفسيا ثم ان سعادة الآخرة تترتب على هذه السعادة فى الدنيا :

أتـــى بدين قويم غـــير ذى عوج ... متـــى يلـــج بابـــه المعـــوج يستقم
يولى سعادتـــى الـــدارين تابعه ... يعنـــى بتـــربية الأجســـاد والنسم
يدعـــو إلى الخـــير مهما كان مصدره ... كما يصـــد عن الفحشـــاء واللمم

وقال إنها رسالة رحمة ومعاملة ونظام :

وســن (للـــرق) ما يقضى عليه على ... مدى الزمـــان مع التـــدريج والسلم
حاط (الموالى) بالحسنـــى وعاملهم ... كالمالـــكين مع التخفيف فى الجرم
سن (الكتاب) لاطـلاق الأسـار كما ... دعـــا ورغـــب فى الأعتـــاق للنسم
وســن فى فك أسرى الحـــرب فديتهم ... بالمال أو عتقهـــم بالمن والكرم

* * *

(٣) معجـــزة الرســـالة

كنا قد تحدثنا فيما سبق عن معجزات الرسول فى شعر باكثير وهـى تلك الخوارق التى أتى بها وسخرها الله له كدليل على صدق نبوته . أما هنا فسوف نتحدث عن معجزة الرسالة الخالدة ، القرآن الكريم ..

وإذا كانت تلك الخوارق كانت معجزات (وقتية) أتت فى فترة محددة ثـ
مضت كغيرها من معجزات الرسل الخارقة ، فإن هذه المعجزة التى نحن بصدده
لازالت خالدة دائمة وستظل مادامت الحياة ومادام الانسان على وجه البسيطة .

عرض باكثير للقرآن الكريم معجزة الرسالة المحمدية ، وردده فى شعره ونو
به فقال إنه أحيى النفوس من مواتها ، وهو متجدد وصالح لكل زمان بتعاليمـ
وبيناته ، وانه أذهل فحول الفصاحة ببلاغته ، وقيد أفكارهم ، وعقد السنتهـ
فعجزوا من أن يجاروه أو يأتوا بكلام يشابهه لأنه كلام الله منزل من عنده .

وهو قد تحدث عن امور كثيرة كانت دليلاً على صدقه ، فقد قص علينا أنبا
الرسالات القديمة وحدثنا عن الأمم الغابرة .

ومن دلائل صدقه أن العلم الحديث قد اثبت اشياء كثيرة مما عرض لهـ
القرآن ، وهو آية الحضارات ، ومنار هداية لرقى الأمم ونهضتها فهو يواكب الزمـ
ويساير العصر بتعاليمه :

ذاك الكتاب الذى أحيى النبى به ... بقدرة الله أجيالا من الرمـ
(المعجز الخالد) الباقى بجدته ... اذ معجزات سوى (المختار) لم تد
العلم آيته ، والعقل حجته ... والعدل شرعته فى كل محتكـ
جاءت بلاغته لا كالبلاغة فى ... نظامها الجذل أو اسلوبها القصـ
كالرعد يقصف ، أو كالريح تعصف أو ... كالبحر يرجف فى أمواجه البهـ
من ذا يعارضه جهلا وقد رجعت ... عن آية منه غلب القول بالبكـ
يقص بالحق أخبار الذين مضوا ... من قوم نوح ومن عاد ومن أر
وقص أيام (اسرائيل) يفضح ما ... قد دسه القوم فيها من فرى جسـ
وآية الروم اذ جاءت بنصرهم ... على العدو فلم تخطىء ولم تهـ
وكم به من علوم الغيب ما وقفت ... لها العقول على عين ولا ندم

كم جلا (العلـم) فى العصر الحـديث له عجائـب لم تبـن يومـا لذى فهم
ى الدين ، فى الخلق ، فى علـم الطبيعـة فى طبائـع النفس فى التـاريخ فى الحكم
لـو الأمـاكن والأزمـان متفقا   مع الحضـارات فيهـا غـير مصطدم
ـن أرقـى قوانـين الحياة على   أتـم ما يعـرف الأمـكان من نظم
حـت كما صح مبنـاه ـ روايته   عن الملايين من حفاظـه النجم
ع أقـاصيص عن (عيسى) ملفقة   كتبـن فى أعصر شتـى على وهم
كذبـا بعضهـا بعضـا بلا أسس   من استقامـة اسنـاد ولا دعم
(أنـاجيل) روح الحـق عطلها   لدى النصـارى فلم تقبـل ولـم ترم
ـاء ربـك أن يبقـى لحجته   منهـن (انجيل برنابـا) على القدم
شرا برسـول الله يخبرنا   ان (ابن مريم) لم يصلب ولم يضم
ه أكبـر هذى بعـد معجزة   لدين (أحمـد) جاءت من ديارهم
هـذه فليكن المعجـزات فما   غنـاء كشف العمـى والبـرء للسقم[1]

* * *

(١) المصدر السابق

الفصل الثالث:

الإسلام والمسلمون

تحدث الشاعر علي أحمد باكثير عن الاسلام والمسلمين فى شعره ، فوض مفهومه للاسلام وبين نظرته له ، وأشاد به ، ووقف عند بعض خصائصه ومميزاته وبين تعاليمه وشرائعه .

وعرض للمسلمين ورثى لحالهم وتحسر على ماضيهم ، ثم ثار عليهم ، وصا فيهم موقظا لهم ومنبها . شارحا أسباب ضعفهم وعلل تأخرهم . وسوف نعرض لآرائه عرضا عاما نوضح من خلالها مفاهيمه ونظراته .

مفهومه للاسلام

عرض باكثير للاسلام فى شعره واحتفى به كثيرا ، وقد نظر اليه نظرتين:نظر إلى العقيدة الاسلامية الصافية ، وهو لم يطل الوقوف عندها كثيرا ، وليس معنى ذلك انه لا يهتم بها ، أو انه كان ضعيف الايمان بها ، بل لأن هذا امر بديهى وأم مسلم به ، وهو لا يقبل المناقشة فيه أو الحديث . وقد أسلفنا الحديث عنها ونظرة إلى الاسلام كقوة وكعمل وجهاد ونظام وتشريع للحياة ، وهو فى نظر جانب الاسلام العملى ويجب أن يسند العقيدة ، ويجب أن يكون قوة تدعمها فالعقيدة بدون قوة كروح بلا جسد ، والدين الاسلامى فى نظر باكثير قوة لا ليفرض تعاليمه على العالم ، ولا ليظلم أو يستبد بل ليمحو الظلم والفساد ويدافع عن كيانه وعن أرضه .

ومن هنا فقد كان مفهومه للاسلام أنه الدين الكامل الشامل . فهو دين المساواة ، ودين العلم ، دين الأخلاق والفضائل ، دين العزة والمنعة لا دين الضعف والخرافات والبدع . وعمود هذا الدين هو القرآن الكريم بكل ما أتى به من نظم وشرائع لا كتب ملفقة محشوة بالخرافات والأوهام :

ما أعرف (اسلامية) تجمع الناس على عهد الصفا
تجعل الناس سواء لا ترى فيهم ربا ولا مستضعفا
أنا لا أعرف إلا أننا قد غوينا مذ هجرنا المصحفا
أنا لا أعرف إلا أننا نشر الجهل علينا السدفا
فغدا العرف لدينا منكرا وغدا المنكر فينا عرفا
أنا لا أعرف إلا دعوة (لجهال الدين) شقت غلفا
تندب الناس إلى دين الهدى مثلما كان بعهد المصطفى
لا خرافات وأوهام ولا بدع تحسب فيها زلفا
تفتح العلم على أبوابه فى وجوه المسلمين الحنفا
ليكونوا سادة الدنيا ـ كما وعد الله ـ عليها خلفا
ولقد أيدها تلميذه « عبده » فيما دعا أو ألفا
بث روح الحق فى أتباعه فغدوا فينا غيوثا وكفا
لنحوز الفوز فى الأخرى وفى هذه الدنيا المقام الأشرفا[1]

وباكثير يردد مفهومه للدين الاسلامى ويؤكد بأنه دين العزائم والهمم ودين الأخلاق والمثل لا دين جمود وخمول . وهو ينعى على أولئك العلماء الذين يفهمون الدين على أنه صلاة وصوم فقط . وينشرون تعاليم الاسلام بطرق مشوهة

---

(١) مسرحية همام ص ٢٤ المطبعة السلفية

ويدرسون كتباً مليئة بالخرافات والبدع والفلسفات المنطقية ويرى أن هذه المفاهيم تقتل العزائم وتثبط الهمم . وتسوق إلى الدعة والاستسلام والخمول والدين لا يأمر بذلك .

وإصلاح الأمر كما يراه الشاعر ، والخروج من هذه المآزق الفلسفية هو في الرجوع إلى منبع الاسلام الصافى ومعجزته الكبرى (القرآن الكريم) والرجوع إلى حديث الرسول عليه الصلاة والسلام :

اسمعونى يا شباب الحى ، لا ... يفصلكم عنى مقال الجامدين
اقرأوا فقه ، حديث المصطفى ... تعبروا الشك إلى بر اليقين
لا تهابوا اليوم أن تجتهدوا ... ان سر العلم للمجتهدين
وكتاب الله باق خالد ... تنجلى آياته فى كل حين
ادرسوه درس أحياء ولا ... تدرسوه درس قوم ميتين
ادرسوه وفق نهج خطه ... (مصلح الاسلام)[1] ذو الفضل المبين
انه يشعل فى أنفسكم ... جذوة الدين وعز المؤمنين
انه يبعث فى أرواحكم ... قوة هائلة لا تستكين
فتح الدنيا بها أسلافنا ... من ربى الغرب إلى السور المكين
وأضعناها فهنا بعدها ... وغدونا مضغة للآكلين
ليست الأخلاق لينا فى الخطى ... وخضوعا هو للنفس مهين
إنما الأخلاق أن لا تبطنوا ... غير ما للناس انتم مظهرون
إنما الأخلاق أن لا تتركوا ... نصرة الحق للوم اللائمين
رفع الاسلام من أنفسكم ... فارفعوها عن دعاء المقبرين
لا تذلوا لسوى الله ولا ... تخضعوا إلا لرب العالمين[2]

---

(١) مصلح الاسلام هو الامام الشيخ محمد عبده

(٢) مسرحية هيام ص ١١ المطبعة السلفية

ومن هذا يتضح لنا أن مفهوم باكثير للاسلام مفهوم نفس ثائرة مزمجرة على الجمود وعلى البدع والخرافات ، ومفهوم رجل ينظر إلى الاسلام بعين العظمة والاكبار لمآثره ولأمجاده الخالدة .

لهذا فإن الشاعر عندما عرض لبعض مميزات الاسلام وخصائصه لم يذكر إلا أنه كان دين حضارة وانسانية ، وأنه كان دين قوة ومجد وعمل وجهاد . وسوف نعرض لبعض آرائه فى هذا الشأن حتى نتبين وجهة نظره .

فقد كان باكثير يرى أن الاسلام دين عمل وجهاد ودين حكم ونظام وتشريع وقد أورد على آرائه هذه شواهد ودلائل من خياة الرسول عليه الصلاة والسلام .

يقول فى قصيدة بعنوان (استنهاض فى تقريظ) [1] :

الدين يأمر بالتحرر من خيالات الأمور
الدين يأمر بالحياة وليس يأمر بالدثور
طالع حياة المصطفى أترى الخمول أو الظهور
تلك الحياة حياة مقدام نشيط أو دثور

* * *

وفى قصيدة (نظام البردة) [2] يورد لمحات من أعمال الرسول وجهاده فى المدينة وكأنه بذلك يشير إلى ما سبق تقريره من أن الاسلام نظام حكم وجهاد وشورى ، وبالتالى دين عمل وحياة وليس دين جمود :

---

(١) مخطوط
(٢) صـ ٥

كان الرسول هنا يملى هدايته ... على الأنام بلا عى ولا لسم[1]
كان الرسول هنا يلقى نصائحه ... فيطربون لها أشجى من النغم
وكان يقضي هنا بين الورى حكما ... أكرم بأحمد من قاض ومن حكم
وكان من هاهنا يزجى كتائبه ... لنصرة الدين من أصحابه البهم
ويستشيرهم فى المشكلات به ... وفيه يستقبل العافين بالنعم
وفيه يلقى وفود الناس آتية ... من كل صوب بثغر منه مبتسم
ومنه يبعث بالذكرى رسائله ... ورسله للملوك العرب والعجم

* * *

ومفهوم باكثير للاسلام أنه دين قوة ومجد وعزة ورفعة ، وبالقوة تكونت به دولة عظيمة ساست العالم ، ودكت كبرى الممالك وحكمتها .

استمع إليه يقول :

أقام من (يعرب) من بعد شقوتها ... شعبا عزيزا قويا جد ملتئم
قامت به دولة عظمى على أسس ... من الهدى والتقى والعدل والكرم
رعت ـ ولم يمض من تكوينها زمن ـ ... كبرى الممالك بعد الشاء والنعم

والدين الاسلامى من أسمى الأديان فهو يحفظ لمعتنقه عزته وكرامته وانسانيته وطبيعة الاسلام لا ترضى بالهوان أو الذل ، بل تأمر بالرفعة والعلو وبالقوة والبأس والعظمة :

الله يأمر أن نكو ... ن أجل أهل الأرض شأنا
وأشدهم بأسا وأر ... فعهم وأعلاهم مكانا

---

(١) اللسم : السكوت عيا أو حياء

كيما نقيم العدل فى الدنيا ونملأها أمانا
فاذا اتبعنا ما يقول فسوف يدخلنا الجنانا
فنرى بها الدنيا كسجن لا نرى فيها رضانا
والدين بالدنيا فليس يقوم ما ضعفت قوانا
وطبيعة الاسلام لا ترضى المذلة والهوانا
هذا المراد وحسبنا قرآن مولانا بيانا[1]

وباكثير يشدد ويردد بأن الاسلام دين القوة والاباء ، لا دين الذلة والمسكنة . ومن هنا لا تجتمع المذلة والاسلام فى قلب المسلم إلا إذا اجتمعت النار والماء :

لا يلتقى الذل والاسلام فى خلد أو يمكن الجمع بين الماء والضرم

لهذا فقد كان يتأوه ويتحسر على ما أصاب الاسلام من ضعف بعد عزة ورفعة وبعد قوة ومجد :

واها على الاسلام قد درست منه المعالم فهو ذا طلل
يشجى فؤادك اذ تمر به ماض أعز وحاضر وكل
ذلت ممالكه لغاصبها وتفرقت بشعوبه السبل[2]

والاسلام دين العلم والحضارة والانسانية ، ودين العدل والحق والقيم ، فلم يهن ضعيفا ويستبد به ويحتقره لضعفه ، ولم يحترم قويا لقوته وهو دين مثل

---

(١) مسرحية همام ص ١٨ ط المطبعة السلفية
(٢) مجلة الفتح العدد (٦١١) السنة (١٣)

وفضائل ، لا دين مطامع وشره ، وهذا التاريخ يحدث عن ماضيه المجيد .

عرض الشاعر باكثير لماضى الاسلام متفائلا ببزوغ شمسه من جديد مذكرا برابرة الغرب ووحوشها ، مبينا لهم عدالته وقيمه قائلا :

الله أكبر بأن الحق وانكشفت غشاوة الجهل وانجابت دياجيها
لم يرحم القوم انسانية برزت شعثاء غبراء قد سالت مآقيها
بشر جميع وحوش الأرض قاطبة بأن دولتها قد قام كرسيها
هل تحسب الله رب الناس تاركها تعيث فى الناس ظلما لا يجازيها
أم أنسيت دولة الاسلام اذ خفقت أعلامها فوق قاصيها ودانيها
العدل يدعمها والعلم يكنفها والدين يحرسها والذكر يحميها
لا ملكها عن سبيل العدل مال بها ولم يكن أيدها بالبغى يغريها
لما ملكنا عدلنا فى ممالكنا فكان مسلمها شروى مجوسيها
ولم تملنا عن الانصاف قوتنا وضعف جيراننا أو خصب أراضيها
تلك المفاخر تتلو - وهى صامتة - على العصور لنا مدحا وتنويها[1]

* * *

ومن عدالة الاسلام وسموه وتكريمه للبشرية ومن نظراته الحضارية أنه قد كرّ المرأة وحفظ لها حقوقها وأعلاها مكانا ، حسب ما تقتضيه طبيعتها وهو لم يهضـ لها حقا ولم يهن كرامتها وانسانيتها فى وقت كانت فيه (أوروبا) تعتبرها متاع من أمتعة المنزل :

ساوى النساء حقوقا بالرجال سوى ما يقتضيه اختلاف الخلق والشيـ
فكلف الرجل الانثى القيام بها ولو غدا مالها كالوابل الرذ

(١) مجلة الفتح العدد (٢٩٦) السنة (السادسة)

يرى أنوثتها أرقى فضائلها ... فلا تذلها بأهوان ولا تسم
تكون آمرة فى البيت ناهية ... تعنى بتربية الأولاد بالرحم
هذى وظيفتها الفطرية ارتسمت ... فى سنة الله قبل اللوح والقلم
تكون فى مالها طلقا مخولة ... حق التصرف فى بيع وفى سلم
فسل نساء فرنسا هل حصلنا على ... حق التصرف بعد (الثورة) العمم
وهل تذكر (أوروبا) زمان ترى ... نساءها كمتاع البيت والعجم[1]
ليالى ارتيب فى الأنثى بها الها ... روح ؟ وهل هى انسان كقومهم ؟[2]

* * *

وباكثير لا يفتأ يذكر الغرب بأن الاسلام دين حضارة وتسامح ودين علم وفكر . وقد أثار العالم بعلمه وحضارته فى وقت كانت فيه اوروبا تغط فى نومها العميق وكانت تحارب العلم والعلماء ، وترفض الحضارة والرقى ، ويلفت نظرها إلى أنه كان للاسلام فضل كبير فى نهضتها الحالية :

ان ما يرفع الغربى هامته ... بما يعود إلى آبائنا الأول
ولا محمد المختار فى مضر ... لما تحررت الأفكار من عقل
وما تنورت الآفاق من ظلم ... كالليل فى سدف والبحر فى زجل
فالعقل مضطهد والعلم محتضر ... والعدل مطرح والناس فى وهل
وللصليب ولوع لا شفاء له ... بصلب كل فتى بالعلم مشتغل
حتى تألق فى اسبانيا قبس ... من نور (طه) أنار الغرب بالشعل
فاستيقظ (الغرب) من أحلام نومته ... وشاد دولته العظمى على مهل[3]

---

(١) العجم : البهائم
(٢) نظام البردة ص ١١
(٣) مجلة الفتح العدد (٣٤٠) السنة (السابعة)

ولعل أعظم ميزة للاسلام بل أسمى مقوماته هو المساواة والعدل . والشاعر باكثير يضغط على هذه النقطة بشدة بالاضافة إلى نظرته الثائـرة إلى ميزات الاسلام الأخرى :

استمع إليه يقول :

حكمـــوا الانصـــاف فيما بينكم　　لا يكن قوم لقـــوم حاقرين
فالمســـاواة على أعدلها　　ميزة الاســـلام عنـــد الباحثين
وأخـــو الحـــق اذا لم يعطه　　أخـــذ الحـــق انتهابـــاً باليمين

＊ ＊ ＊

المسـلمون

وقف باكثير عند الدين الاسلامـى كعقيدة الهية ، ووقف عنـده كرسالـة
ماوية أتى بها محمد بن عبد الله (ﷺ) لها خصائصها ومميزاتها ، ووقف عند
رسول كمنقذ للبشرية وبين مناقبه ووضح شمائله ووقف عند الاسلام كدين
ى صالحة تعاليمه لكل زمان ومكان . وأخيرا وقف عند المسلمين اتباع هذا
ين القويم .

والمسلمون فى نظر باكثير هم قوة هذا الدين ، وهو قوتهـم . فيه عزتهـم
جدهم ، وبهم بقاؤه وعظمته . فإن تخلوا عنه ضعفوا وذلوا وتفرقت بهم السبل ،
هت بهم المسالك . ففى روحانيته بقاؤهم وعزهم .

ومن هنا فقد كان يعتز باتباع الدين الاسلامى ويفخر بهم وينظر اليهم كقوة
صرة لكل مسلم فى كل مكان :

سلمـون جميعـا من ورائكم بأنـدونيسيا وباكستـان والصين

وكان كثير الحدب على الاسلام والمسلمين يألم لآلامهم ويفرح لأفراحهم
جد فيهم روح الفدا والتضحية ، ويمدح فيهم الأخلاق والفضائل ، ويكره
هم روح الخمول والجمود والاتكالية ، ويذم منهم الرذائل وسفاسف الأمور .

لهذا فقد وقف من الأمة الاسلامية موقف الثائر الموقظ لها والساخط على
ناعها . المتألم لحالها والمنبه لما يتهددها من أخطار . ومن هنا كان يشتد أحيانا
خاطبة المسلمين :

أيهـا المسلمـون كونـوا يهودا   قد أتـاكم من هاشـم حاخ
جاء فى الآخـرين يزعـم أن الدين   دين اليهـود لا الاسلا
فاتبعـوه ان كان ما قال حقا   أو فابقـاؤكم عليه حر

وهو فى نظرته هذه اتخذ وجهتين :

١ ـ وجهة كان فيها متحسرا على ماضى المسلمين المجيد وناقما عل
أوضاعهم وعلى طريقتهم فى فهم الاسلام ، وعلى خمولهم وتكاسلهم وتفرقهم .

٢ ـ ووجهة كان فيها موقظا ومنبها .

وسوف نعرض لكلتا الوجهتين حتى نقف على جلية آرائه :

عرض باكثير لما حل بالأمة الاسلامية من ضعف وتحسر على ماضى الاسا
وعلى أمجاده . ووضح أن سبب هذا الضعف الذى حل بالأمة الاسلامية ا
تمسكت بالقشور من الاسلام وتركت اللباب فتعلقت بالشكل والمظهر للدين
وتركت المضمون والمخبر .

وهم قد انقسموا الى فريقين : فريق يقدس المشائخ وأحاديثهم ، وفريق
من هذه الطريقة وتبع (أوروبا) وجرى وراء الغرب .
والفريقان قد تنكبا طريق الاسلام السوى :

أقسمت باسمك يا أعلى الـورى شرفا   لو جاز تقـديس غـير الله بالقس
لقـد غدت امـة الاسـلام واهلة   منها القلوب فأضحت (قصعة الأمم
لم يبـق فيهـا من الاسـلام وا أسفا   الا اسمـه وبهـا معنـاه لم ي
قامـت حجابـا كثيفـا دون دعوته   بمـا اليه سقـوط المسلمـين

اكتك فى صور الأعمال تتبعها ... وما أقتدت بك فى عزم ولا همم
لا كمال ولا صدق ولا خلق ... ولا اجتهاد ولا غرو ولا شمم
لا تقوم الى القرآن تقرأه ... الا أمالى بالألحان والرنم(١)
أنما أنزلت آى الكتاب لكى ... تتلى على شرب راح أو على رجم(٢)
دلو منه كتبا لا حياة بها ... كأنما عكفوا منها على صنم
كى نواويس موتى صبرت زمنا ... فلا ترى بين أجسام بغير دم(٣)
دوا المشائخ أربابا بعدهم ... أقوالهم كنصوص الواحد الحكم
آخرون أصاروا الغرب قبلتهم ... فهم بها غير طواف ومستلم
أوا (أوروبا) فراحوا يكفرون على ... جهل بدينهم الموروث والشيم
أنكروا مجد آباء لهم شهدت ... لها فحول رجال الغرب بالقدم(٤)

* * *

ونظرة باكثير الثائرة على أوضاع المسلمين قد اتخذت طابع السخط على فئتين اللتين كانتا السبب فى ضعف المسلمين ، فئة الجمود والتخلف ، وفئة عانف الغرب وسماسرتهم . وفئة الجمود قد أحدثت بدعا فى الدين ونشرتها ، ى تحافظ عليها لان فى بقاء هذه البدع بقاءها وهى قد اتخذت هذه البدع سلما جسرا تعبر به الى الجاه والمال تحت ستار الدين ، ومن ثم فهى تحارب المصلحين نشر عنهم الاشاعات وتوجه اليهم الاتهامات .

---

(١) الرنم : الترنم
(٢) الشرب : جماعة الشاربين والرجم : القبر
(٣) النواويس : جمع ناووس وهو حجر منقور توضع فيه جثة الميت
(٤) القدم : السبق

استمع اليه يقول فى قصيدة يمدح بها الشيخ عبد الحليم بدير المصرى بعنو
(الى بطل التذكر) [١] :

ذكر (بدير) قلوبا جد غافلة   عما يهددها من حادث جل
نأت بها عادها عن دينها فغدت   حيرى تعثر فى أذيال مختب
لا ثت بها بدع غطت بصائرها   ويلمها علة من أخبث العل
تغرب العرف حتى عد عندهم   عرفا يشبع بالتفنيد والعذ
والمصلحون اذا ما ذكروا اتهموا   من ماجن غزل أو شارب ثم
وبينهم علماء السوء فى دعة   بالدجل عن واجب التذكير فى شغ
قد صيروا الدين جسرا يعبرون به   الى المطامع من مال ومن خو

* * *

أما الفئة الاخرى التى اتخذت الغرب قبلتها فيرى الشاعر أنها زعانف وأذناب لاعداء الاسلام قد سلبت ارادتهم وأنهم بذلك يخونون دينهم ووطنه وينعى على هذه الفئة مسلكها ويصفها بأنها كالدمى تتراقص بفعل غيره فيقول :

ومن الخيانة أن يُغرَّ فتى   منا بشعب مسه خ
فمضى وراء الغرب يتبعه   كالظل خلف الشخص ينت
سلبت ارادته يد نحتت   منه دمى تعلو وتست
حرية زعموا وقد جهلوا   ياليتهم علموا بما جه
يطوون للاسلام موجدة   حمقاء أعيت دونها الح

(١) مجلة الفتح العدد (٣٤٠) السنة (السابعة)

ليت شعر أبى ودون غد ستر من الأغياب منسدل
عيش حتى تشتفى مقلى بضحى نعز به ونقتبل ؟
رفى العدا فيه النذور فلا تبقى لناترة ولا ذحل
ريهمو أن الحنيفة ما لهمو بطمس نجومها قبل (١)

وبعد أن عرض شاعرنا لهاتين الفئتين اللتين كانتا سببا لضعف المسلمين وتأخرهم ـ فى نظره ـ يصيح فى المسلمين مهيبا بهم أن يهبوا لانقاذ دينهم ولانقاذ أنفسهم وأن يجاهدوا من أجل اعلاء الاسلام واعلاء أنفسهم ، ولا سبيل الى ذلك الا بالتسلح بسلاح العلم . ويوضح لهم أن الاسلام دين الحقيقة الصافية . فلو وجد من يتولى الدعوة اليه بصدق وبنقاوة لاسلمت أمم كثيرة وكان الدين الاول ى العالم :

يا أمة المصطفى قوموا لدينكم وجاهدوا لتكونوا أشرف الملل
تسلحوا بعلوم الكون ان بها عتقا من الذل أو وثبا الى القلل
ان الحياة جهاد كله تعب من لم يجاهد يمت فى ساحة الفشل
والعمر يقصر ان ضيعته سفها وان تصله بأسباب العلى يطل
ولو دعا كبدير منكم نفر لاسلمت أمم المريخ أو زحل
دين الحقائق لايعتاقه جبل الا ابتغى نفقا فى ذلك الجبل (٢)

* * *

(١) نفس المصدر
(٢) نفس المصدر

رجالات الاصلاح الاسلامى

تحدث باكثير عن زعماء الاصلاح الاسلامى وعن رجالاته ، ورأى فيهم الرجال المخلصين الذين قاموا يدكون خرائب البدع والخرافات ويشيدون مكانها صروح الاسلام الصحيح بكل تعاليمه وبكل قيمة وأخلاقياته .

وأول ما وقف شاعرنا عند زعماء الاصلاح . وقف عند جمال الدين الافغانى وتلميذه الشيخ محمد عبده وكان معجبا بهما ، وبطريقتهم فى الاصلاح أشد الاعجاب وكان يرى أنهما قد أعادا للاسلام روحه الصافية النقية بعد أن خلصوه من شوائب البدع وعلل الخرافات ، كما أعاداه الى منبعه الصافى الكتاب والسنة .

استمع اليه يقـــــول :

وقفــت بــين رســوم الديــن أندبه ... وقــوف باك على آثــار مر تحل
وقلــت لولا جمــال الديــن قام به ... لما وقفــت على رســم ولا طلل
ولــو تخلف عنــه (عبــده) نفسا ... لطــار طائــره من قبضــة الامل
ياروح اللــه أرواحــا سمــت صعدا ... من بعدمـا حلت الاســلام من عطل
واستخرجتــه نقيــا من معادنه ... كالتبر مافيــه من طبـع ولا دجـل [1]

ويخاطب الشيخ عبد الحليم على بديـر المصرى محييـا فيـه روح الفـداء والتضحية من أجل الاسلام ومن أجـل توضيـح مفاهيمـه والتـذكير بأمجـاده وحضارته

---

(١) مجلة الفتح العدد (٣٤٠) السنة (السابعة)

خض البحار وجل فى السهل والجبل ... حييت يابطل التذكير من بطل
وقم على لهوات الدهر مرتجلا ... مذكرا بوصايا سيد الرسل
وواصل السعى من مصر الى عدن ... الى سواحل أفريقيا بلا كلل
لله ماتنفع الاسلام من خدم ... وما تقومّ فى الاخلاق من ميل
وماتحارب من جهل ومن بدع ... ومن جمود ومن عجز ومن كسل
وما تحامى على الدين الحنيف وعن ... شعب النبى بلا خوف ولا وجل (١)

ثم يشيد بطريقته فى الرد على أعداء الاسلام فيقول :

وفى (جيبوتى) أهان العرب ذو سفه ... فى مجلس بوجوه العرب محتفل
رماهم بأكاذيب ملفقه ... والحق يألم والاسلام فى خجل
فقمت تنسف ماشادت مزاعمه ... نسفا ولم تغفل الآداب فى الجدل
أفهمته أن للاساد أشبلها ... وأنها سنة الايام والدول
وأن مايرفع الغربى هامته ... به يعود الى آبائنا الأول
لولا محمد المختار فى مضر ... لما تحررت الافكار من عقل (٢)

ويقول فى مدح (أمير البيان شكيب أرسلان) معددا مناقبه فى دفاعه عن العروبة والاسلام :

شكيب ياكاتب الدهر الكبير ويا ... لسان أمة طه فى دعاويها
تذود عن دينها ذودا وتنصرها ... وتستميت دفاعا عن أراضيها
فيك (العروبية) العليا ممثلة ... فانك المثل الاعلى لاهليها
اذا كتبت كتبت الحق تعضده ... آيات ربك فى أسمى مجاليها

(١) نفس المصدر
(٢) نفس المصدر

ان (الحنيفينة) البيضاء تشكر ما   أوليتها من منى مازلت تسدي
مازلت تدفع عنها كل عادية   حتى قضت نحبها غيظا أعادي
فأضحت اليوم تشنأ كل طائفة   شنأتها وتوالى من تواليه
قضى أمانيك الرحمن من بطل   أقصى أمانيه فى أقصى أمانيه
وجل ماتبتغيه فى حياتك أن   ينشق عن بدرها الوهاج داجيه
والمسلمون جميعا يحمدونك فى   مواقف لك لا ترقى مراقيه
تلك المواقف غراء محجلة   سينقضى الجيل بعد الجيل يرويها (1

وفى جمعية الشبان المسلمين يقف باكثير ليحيى الزعيم المسلم الاندونيسي (سوتومو) :

يازعيم الشرق القصى سلاما   الق أهلا وطب بمصر المقام

ثم يقول :

يازعيم الاسلام فى اندونيسيا   عش زعيما ليجى شعبك شعب
أنت أسمى من أن أزيدك ذكرى   بفلسطين ؟ أنت أرحم قلبا
فاذا ماحوتك دارك فاملا   ها دعاء الى الغياث وندب
لك فيها الصوت البعيد مداه   من وعاه سعى اليك ولبى
ان (جمعية الشبان) رأت فيـ   ـك هماما بكل فضل جدير
كرمت فيك مسلما عرف الاسـ   ـلام فيه شهما عليه غيور
فاعنها على مقاصدها العظمـ   ـى وأوجد لها هناك نصير
وتقبل تحية من محب   زف أبياته اليك الشعورا [2]

(١) الفتح العدد (٢٩٦) السنة (السادسة)

(٢) الفتح العدد (٥١٤) السنة (الحادية عشر)

وفى قصيدة بعنوان (داعية الهدى)[1] نشرت بمجلة الفتح يقف شاعرنا الاسلامى محييا (محب الدين الخطيب) صاحب مجلة الفتح ، ويشيد بجهاده فى محاربة الالحاد والبدع . ويرى فيه مسلما غيورا على الاسلام والمسلمين ، ويرى فى مجلته قبسا للهداية والاصلاح .

استمع اليه يقول :

حى (الخطيب) ومجد (الفتحا)	مرحى لداعية الهدى مرحى
مرحى أقول على الدوام لها	ولقد أقول لغيرها برحى
لصحيفة الحق التى طلعت	فغدا الظلام بنورها صبحا
عنيت بجد الشان طاوية	عن هزله وفضوله كشحا
تخذت سبيل الله مهيقها	ورأت خسار معاشرها ربحا
تحنو على الاسلام تحضنه	لم تأله حبا ولا نصحا
وتحارب الالحاد فى ثقة	ان الصبيحة تعقب الجنحا
تتبع الالحاد تنسفه	نسفا وتكسح جذره كسحا
تفنيه من شعر الصلاح أذى	وتذيبه فى مائها ملحا
تأتى عليه تدك عاليه	أرأيت تحت قذيفة صرحا ؟
اضحت بهاجرة الزمان على	فئة الهدى الينبوع والسرحا
يزهى بها الاسلام مغتبطا	وتتيه مائسة بها الفصحى
قبس يؤججه بغيرته	شهم بمهجته له ضحى
تخذ الجهاد شعاره ومضى	لم يكترث قدحا ولا مدحا

* * *

(١) الفتح العدد (٣٩٦) السنة (الثامنة)

الخاتمة

ما أجمل الحياة اذا تلونت بصنوف ألوان العيش فكان منها الالم وكان فيها الفرح واللذة بالانتصار ، وما أعظم الحياة فى ظل المبادىء السامية والمثل العليا فى ظل الخلق والتدين والاستقامة .

ودراستى هذه عن الاديب على أحمد باكثير تبحث كل هذه الصفات فقد عاش باكثير حياة تلونت مشاربها وتنوعت أوصافها وكانت أجمل حياة وعاش مناضلا فى ميدان الكفاح بقيمه واخلاقياته متمسكا بدينه وعروبته وكانت أعظم حياة .

ولاشك أن القارىء قد وقف على كل هذه الامور اثناء تصفحه لما سجلناه فى رحلتنا مع حياة الشاعر وشعره الوطنى والاسلامى ولمس تلك النواحى المظلمة والمشرقة فى حياته . ولمس العاطفة الوطنية الحقة ، ولمس صدق الايمان والغيرة على الاسلام والمسلمين . غير أنى أزيده تذكره .

(١)

وحياة باكثير حياة حافلة بالجد والعمل والمثابرة ، وحياة مليئة بالاسى والحزن والالم ، تغيمها أشباح الغربة ، وأطياف الشتات والفرقة .

فقد شاءت الاقدار أن يخرج شاعرنا الى الحياة فى جزيرة (سورابايا) بـ (أندونيسيا) بعيدا عن وطنه الاصلى (حضرموت) وأن يرحل عن هذه الحياة فى مدينة القاهرة بمصر بعيدا عن وطنه أيضا . وبين الخروج الى الحياة والارتحال

عنها رحلة شاقة ومضنية ذاق خلالها باكثير مرارة الاسى والالم ، وذاق خلاله حلاوة المجد والنصر وحلاوة الشهرة والعظمة .

ذاق مرارة الالم فى بواكير حياته حيث هبط الى وطنه الاصلى (حضرموت) وهو فى سن الثامنة من عمره وشاهد هذا الفرق الشاسع بين البلد الذى ولد فيه وبين البلد الذى خرج اليه لينشأ فيه ويتربى فى أحضانه .

وتقدمت به السن خطوة خطوة وفى كل خطوة كان يزداد احساسه بهذا الفرق ومن هنا فقد تولدت فى فكره وتربت معه مشاكل وطنه الصغير ، هذا الوطن الذى يجأر بصيحات الفقر والجهل والتخلف ، ويئن تحت وطأة البدع والخرافات والاوهام والصراعات الاجتماعية . كل هذه المشاكل المؤلمة التى كان يعانيها وطنه كانت تؤلمه وهو حدث السن ، وكان يحس بها ويتألم لها . لهذا فما أن شب قليلا حتى رفع صوته عاليا مطالبا بنهضة علمية ومطالبة بالاصلاح وبالقضاء على الخرافات والبدع والاوهام ومطالبا بالقضاء على الفقر والمرض والالم ، وبالتالى تخليص هذا الوطن من مشاكله الاجتماعية ، والثقافية ، والسياسية ، والاقتصادية ، وكان يعلن آراءه فى وضوح وصراحة داعيا الى تخليص هذا الوطن البائس مما هو فيه . ولكن حماس هذا الشاب ووطنيته الثائرة واخلاصه وحبه فى الاصلاح قد اصطدمت بمصالح كثيرة فصادمته صداما عنيفا واتهمته بالالحاد والزندقة ، وثبت لها هذا الفتى الصغير ثبوت الجبال ، ولكنها كانت أكبر منه ، وأكبر من فكره ، وكانت كالطوفان تغمر الجبل كما تغمر السهل . ومع ذلك فلم ييأس بل ظل يناضل ويصادم بالكلمة الشريفة المخلصة ، حتى ابتلى بوفاة كثير من أهله وأقاربه أولهم والده وآخرهم زوجته الشابة الوفية التى أحبها حبا عنيفا والتى كانت وفاتها سببا من أسباب هجرته بالاضافة الى ماعانى من محاربة ومصادمة من أصحاب العمائم الكبيرة .

انهارت نفسية باكثير بعد هذه الخطوب وهذه المشاكل التى ابتلى بها فرحل عن حضرموت او طرد كما يقول وهام على وجههه ضاربا فى أنحاء الارض شاعرا بالغربة عن البلد والاغتراب النفسى . فرحل الى عدن والى الصومال والحبشة وبعض بلدان أطراف اليمن وانتهت به الرحلة الى البيت العتيق بالحجاز . وفى كل تنقلاته هذه كانت الآلام تعتصره والحزن والاسى يعصف به . ولم يتخلص من هذه الآلام والأحزان الا بعد أن استقر به المقام الى جوار (بيت الله) برهة من الزمن . فحس بالاطمئنان وتخلص من بعض همومه وأثقال نفسه .

وذاق باكثير حلاوة المجد والشهرة والطمأنينة والاستقرار فى النصف الثانى من حياته بعد أن استقر به المقام فى مصر وتهيأت له الظروف ، فانتصر على الالم والاسى واليأس وعلى الغربة والشتات .. فقد أحب باكثير مصر وأهلها ورأى العوض عن الوطن ووجد فى أهلها الأهل والعشيرة فتزوج منها وتجنس بجنسيتها وسارت حياته فيها هانئة مستقرة ، حيث وجد فيها الامن ووجد فيها الحرية للتعبير عن آرائه وأفكاره . غير أن الالام عاودته عند ما تنكر له بعض ضعاف النفوس ، وحاربوه بصفته طائر غريب مهاجر ، رأوا فى تمسكه بالعروبة والاسلام وبالاخلاق والمثل كاتبا رجعيا .

اشتدت آلامه وأحزانه لهذا الكنود والنكران وعاودته غصة الأسى ولكنه فى هذه المرة لم ينتصر عليها .

(٢)

ولايحسبن القارىء أن حياة باكثير بعد قدومه الى مصر قد مالت الى الدعة وأن نفسه قد ركنت الى حياة الترف واغترت ببهارج الشهرة وزخارفها وطرحت عنها جانب الكفاح والجهاد . بل على العكس من ذلك فقد ظل باكثير جنديا

مقاتلا فى ميدان الاصلاح والثورة على كل جمود وعلى كل خمول ، وظل شعلة وطنيته تتوقد فى مواقد النضال الوطنى .

واذا كان شاعرنا فى حضرموت قد قصر همه على الاصلاح لوطنه الصغير فانه فى هذه الفترة من حياته قد عمم ثورته على التخلف والجمود فى أنحاء العالم العربى وشغل بهموم العروبة ومشاكلها . وكان يقف عند أحداث العروبة وقضاياها الوطنية موقف الوطنى الغيور حاسابها ومصورا لآلامها وآمالها ، ومدافعا عن أمجاد العرب ومآثرهم الخالدة ، داعيا الى الثورة على الاستعمار ، وداعيا الى الثورة على التخلف وآفاته .

وقد سجل باكثير أهم القضايا المصيرية فى شعره ، فوقف عند قضية الوحدة العربية ودعا اليها فى صدق وايمان بها ، ووقف عند مشكلة فلسطين وتعمقها تاريخيا وفكريا وفند مزاعم اليهود وتخطيطاتهم ونبه العرب الى خطر هذه المشكلة وبالتالى فقد وقف عند نكسة (٦٧) ورأى أن فيها عظات وعبر قد نبهتنا الى مايتهددنا من أخطار والى مايتربص بنا من غدر .

وباكثير فى وقفاته الوطنية كان مذكرا بماضى العرب وأمجادهم ومتحسرا متألما على ما أصابهم من ضعف بعد قوة ومن شتات بعد وحدة ، وكان منبها لما يتهددهم من أخطار وموقظا لهم من نومهم العميق ، وداعيا الى النهوض . وقد كان حبه للعرب كبيرا وغيرته على العروبة عظيمة . لهذا فقد كان يعتصره الالم لآلامهم ، ويهزه الطرب لافراحها . فعاش يتأرجح بين هذه الالام وهذه الافراح ، بين آماله فى نهوضها ووحدتها واعادة أمجادها السابقة ، وبين يأسه من اصلاح حال العرب بعد أن تكالبت عليهم قوى البغى من الشرق والغرب ، وقسمتهم الى فريقين فريق يتبع هذا وفريق يتبع ذاك .

لهذا فقد وقف باكثير بفكرة العربى الاسلامى موقفا وسطا لاشرقى ولا

غربى وسجل آراءه وأفكاره ازاء هذه الامور جميعا فشرح الداء ووصف له الدواء . فهو يرى أن قوة العرب واعادة مجدهم فى وحدتهم وتضامنهم وان جل قضية فلسطين تكمن فى هذه الوحدة وفى محاربة اسرائيل ومقاطعتها ورفض كيانها ـ وأن نكسة (٦٧) لم تكن نقمة على العرب بل كانت نعمة نبهتهم الى الخطر المحدق بهم وجعلتهم يعيشون فى وسط هذا الخطر . ومن عاش فى خطر لم يغفل .

(٣)

وباكثير الوطنى العربى الغيور لم ينسلخ عن الاسلام ولم يهمل أمجاد الاسلام ومآثره بل كان ينظر الى الاسلام من خلال العروبة ، وكان يمزج بينهما مزجا قويا فالعروبة لم تبرز كقوة لها ثقلها فى العالم الا بالاسلام والاسلام لم يخرج الى العالم الا من أرض العروبة وبقوتها .

وكان ايمان باكثير بالله قويا وكان صادق الايمان قوى العقيدة مؤمنا بوجود الله وبكل صفاته ومميزاته ومؤمنا صادق الايمان برسالة رسوله وبكل ما أنزل عليه . وقد ردد ذلك فى شعره . فوقف عند صفات الله وواجباته وفرائضه ونوه بها ، ووضح الحكمة من وراء فرض الفرائض وسن الواجبات . ووقف عند الرسول والرسالة فبين شمائل الرسول وأعماله ، وأبرز جهاده وأخلاقه ووضح الرسالة وأبرز خصائصها ومميزاتها . وتحدث عن معجزتها الخالدة (القرآن الكريم) .

وقد وقف شاعرنا عند الاسلام كدين قويم صالح لكل زمان ومكان ، فعند تعاليمه ووضح مفاهيمه ، وحارب البدع والخرافات والاكاذيب التى كانت تحوم

حوله . ونبه المسلمين الى الاخطار المحدقة بهم وبدينهم ، وأهاب بهم أن ينهضوا الى دينهم ليخلصوه من كل ماهو غريب عن روحانيته الصافية .

* * *

رحم الله باكثير رحمة واسعة فقد عاش عاشقا ولهانا للعروبة والاسلام ، غيورا على كل مالهما من مآثر وأمجاد ، مدافعا عن قيمها ومثلهما ، ومنافحا عن كيانهما بفكره الحر وبمبادئه الطليقة وبصراحته المدوية .

فجـــزاه اللــــه خيــــرا ،،،

* * *

المصـــادر والمراجـــع

أولا : الكتب

١ ـ تاريخ حضرموت السياسى — لصلاح البكرى

٢ ـ تاريخ الشعراء الحضرميين — للسقاف

٣ ـ شعراء اليمن المعاصرون — لهلال ناجى

٤ ـ مصادر تاريخ اليمن — للحبشى

٥ ـ فن المسرحية — للشاعر

٦ ـ مسرحية همام — للشاعر

٧ ـ نظام البردة — للشاعر

٨ ـ مؤتمر الأدباء السابع سنة ١٩٦٩م

ثانيا : الـــدوريـــات

١ ـ مجلة الرسالة

٢ ـ مجلة الفتح

٣ ـ مجلة ابوللو

٤ ـ مجلة الهلال

ثالثا : المخطـــوطـــات من شعر باكثـــير

١ ـ ازهار الربى فى اشعار الصبا

٢ ـ باكورة الشعر

٣ ـ العدنيات

٤ ـ الحجازيات

فهرس

* * *

من إصدارات النادي الأدبي الثقافي بجدة

- شمعة على الدرب « نثر » للدكتور عارف قياسة ـ طبع .
- اطياف العذارى « شعر » للشاعر مطلق الذيابى ـ طبع .
- عندما يورق الصخر « شعــر » للاستــاذ ياسر فتوى ـ طب
- ورد وشوك « مطالعات » للاستاذ حسن عبدالله القرشي ـ طب
- فى معترك الحياة « مجموعة آراء » للأستاذ عبد الفتاح أبو مدي
ـ طبع .
- كبوات اليراع « تصويبات لغوية » للشيخ ابى تراب الظاهر
ـ طبع .
- الوجيز فى المبادىء السياسية فى الاســلام « نظرات اســلامية
سعدى ابو جيب ـ طبع .
- اوهام الكتاب « تعقبات مختلفة » للشيخ ابى تراب الظاهري
ـ طبع .

البلاد
طبعت بمطابع دار البلاد
جدة ـ ص . ب : ٧٦١٤
ت : ٦٧١٦٤٦٦ خمسة خطوط